سيرة

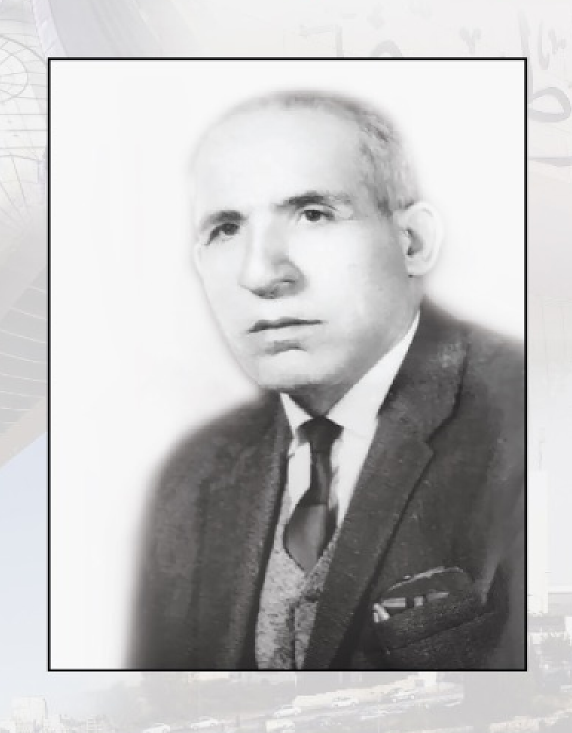


إصدارات مئوية الدولة الأردنية 2021

د. هاني حمود الرفوع

قراءات في سيرة ومسيرة الرعيل الأول

عمر العناني (1928 - 1933 م)



قراءات في سيرة ومسيرة الرعيل الأول

(عمر العناني)

(1928 - 1933م)

- **قراءات في سيرة ومسيرة الرعيل الأول (عمر العناني) (1928 - 1933م)**
- **سيرة**
- **المؤلف: هاني حمود الرفوع**
- **الناشر: وزارة الثقافة**

عمان ـ الأردن

شارع وصفي التل

ص . ب 6140 ـ عمّان

تلفون : 5699054/5696218

فاكس : 5696598

بريد إلكتروني: info@culture.gov.jo

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2021/10/5970

923.75

الرفوع ، هاني حمودة

قراءات في سيرة ومسيرة الرعيل الأول: عمرالعناني / هاني حمودة الرفوع.- عمان وزارة الثقافة، 2021.

(197) ص

ر.أ. 2021/10/5970

الواصفات:/ التراجم الذاتية/ / التربويون/ / فلسطين/ / الأحداث التاريخية/ / تاريخ الأردن/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

- **الإخراج الفني: نسرين العجو.**

رقم الردمك (0- 733 - 94 - 9957 - 978)

- **جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.**

- All rights reserved. No part of this book may be reproduced. stored in a retrieval system. or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

سيرة

هاني حمود الرفوع

قراءات في سيرة ومسيرة الرعيل الأول (عمر العناني)

(1928 - 1933م)

2021

المحتوى

الفصل الثالث 61
العناني في ربوع مضارب عشائر السعوديين في بصيرة وجوارها

الفصل الرابع 83
العناني في مضارب الأهل والعشيرة في الشوبك ووادي موسى والبترا

الفصل الخامس
جولة العناني في البترا ومشاهداته

الفصل السادس
الأحوال الاجتماعية

الإهداء

في الزمن الصعب ...... الزمن الحزين

زمن الكورونا

إلى الأرواح الطاهرة .... إلى أرواح من فقدنا من الأحبة

إلى روح أخي أحمد (أبو لؤي)

لهم الرحمة وجنات النعيم

الدكتور هاني حمود الرفوع

الأردن ـ عمان 2021/8/31

المقدمة

عادة ما تكون المذكرات مرجعًا مهمًّا؛ تؤرخ لحقبة تاريخية وزمنية حساسة من تاريخ الأمم، فكيف إذا كانت مذكرات معلم أمثال عمر العناني مثقفًا ومحاربًا قادمًا من فلسطين ليمارس مهنة المتاعب؛ التدريس، في مرحلة حساسة من تاريخ الإمارة، حيث يخيم شبح الجهل، والأمية، والفقر، والمرض؛ في منطقة ملتهبة من مناطق بلاد الشام، زمن الانتداب البريطاني؛ سلطة القهر، والفرقة، والكراهية، والكيل بمكيالين.

وقد نهج العناني نهجًا متميزًا في تدوين مذكراته، وكان حريصًا على نقل الواقع على حقيقته، بعيدًا عن قواعد النقد والصناعة الأدبية، لتأتي تعبيرًا عفويًّا صادقًا يصور واقعًا في ربوع الأردن لفترة زمنية امتدت ست سنوات (1928م - 1933م) بما فيها من خير وشر، وملامح صمت، وضعف، وحزن، وفرح، وخلجات نفس، ومقاومة، ورفض.

يبرر العناني هذا الأسلوب الذي انتهجه في الكتابة بقوله: (هذه اليوميات أو هذه الصور الإنسانية الحية، أرجو أن تأخذ بالروح التي أملتها في إطار الواقع زمانًا ومكانًا، وهي ليست مذكرات يسجلها صاحبها ليدل بها على الناس، أو ليدافع بها عن مواقفه أو مواقف الآخرين، وإنما هي لوحة التقطها أثناء عمله بين الأهل والعشيرة، وأرجو مخلصًا أن تثير في نفس القارئ ما أثارته في نفسي من إيمان بالحقيقة القائلة «إن أول عمل مخلص هادف لإصلاح الواقع هو معرفة الواقع بكل ما في الواقع من مضحكات ومبكيات، وبعدها الانتقال من هذا الواقع

1- العناني، مذكرات، ص5.

أنظر: سليمان الموسى، إمارة شرقي الأردن، نشأتها وتطورها في ربع قرن (1921م1946-م)، وزارة الثقافة، ص183.

إلى واقع جديد أفضل»).[1]

وتعد المرحلة الممتدة من عام (1921 - 1928م)، من عمر الدولة الأردنية امتداداً لمرحلة من الفوضى، والغزوات، وضعف السلطة الحاكمة التي سبقت، لكن فجر جديد مفعم بالنشاط والحيوية، نشاطًا هاشميًا عربيًا أردنيًا يصبو إلى الحرية والاستقلال والحياة الفضلى، تم فيه كثير من الإنجازات مثل توقيع المعاهدة الأردنية ـ البريطانية عام (1928م)، وعقد المؤتمر الوطني الأردني، ونشأة الحركة الوطنية، وتأسيس الأحزاب السياسية.[1]

فقد كانت مذكرات معلم في البادية الأردنية (ضرب المكانس) أول مذكرات معلم، دونت واقعًا أردنيًا، وسجلت مشاهدات وحكايات مع الأهل والعشيرة، بصراحة وشفافية، تخلو من التنميق والمجاملات، وعكست واقعًا معاشًا.

فقد جاء المعلم عمر العناني من فلسطين، التي تعيش مواجهة حقيقية مع الاستعمار البريطاني ـ الصهيوني، لتوأم الروح الأردن، حاملاً فكرًا وحدويًا قوميًا، مناضلاً من أجل وطنه وأمته، ليعيش الحياة ـ مع توأم فلسطين، وأرض رباطها ـ بكامل تفاصيلها البسيطة والمعقدة وتحدياتها وتغيراتها، وعدوها المشترك، وكان شاهد عيان على تفاصيل حياة جزء عزيز من وطننا الغالي ـ جنوب الأردن ـ والواقع الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي لريف وبادية الأردن، ذاكرًا أحداثًا، وتواريخ، وأسماء قادة من الأردن وأحرار العرب والمسلمين، شكلت في مجملها نسيجًا تاريخيًا، يستحق القراءة والتأمل.

يمر كل إنسان في حياته بالكثير من المواقف والأحداث، ويشعر في أوقات عديدة أنه بحاجة إلى البوح والتعبير عما يجول في داخله ويبحث عن مكان آمن ليفرغ هذه المشاعر والأحداث التي حصلت، وربما يكون لزهوة الشباب أو تقدم العمر أثر على ذلك، وهذا ما يشعر به الباحث أثناء قراءة رسالة موجهة من الكاتب من مكان سكناه في ولاية ميريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية مؤرخة 2000/4/10 إلى أحد أحفاده طالبًا فيها بضرورة إعادة طباعة هذه

1- أنظر: العناني، مذكرات، ص5.

المذكرات مرة ثانية؛ معللاً بكثرة تساؤلات الناس عنه ومتى تظهر الطبعة الثانية .

لقد كان العناني صادقًا بسرد الأحداث والمواقف التي وقعت معه والمشاعر التي أحس بها طوال حياته دون أن يخاف من الأحكام التي قد يطلقها الآخرون عليه أو مواقفهم منه .

ولكن الباحث يشعر في بعض الأحيان أن هناك شيئًا في السطور وبين السطور، مما كان يخفيه صاحب المذكرات دون أن يشير إليه ومنها :

الشعور بالتفوق والتميز والنرجسية، وإظهار تفوقه العقلي والثقافي والجسدي عمن سواه، وغالبًا ما كان يظهر بدور البطل، والمتعلم والمثقف في وسط بيئة تفشت فيها عوامل التخلف والجهل؛ مما منحه شعورًا بهذا التفوق والتميز وإن كان من بيئة لا تختلف كثيرًا عن بيئته الجديدة، وربما حفزه ذلك إلى ما كان يعشعش في المجتمع من الخرافات والخزعبلات، وأضاع على الباحث كثيرًا من التفاصيل المهمة في حياة المجتمع آنذاك .

وبالرغم من قصر المدة التي قضاها في كل بلدة من بلدات الجنوب الأردني وإلمامه بتفاصيل حياة المجتمع إلا أن هناك بعض النقص في المعرفة في طبيعة حياة القبائل وأحوالها وترحالها وأنسابها، وهل هي من القبائل المستوطنة أو الوافدة طلبًا للماء والكلأ أو ممارسة بعض المهن في تلك المناطق كتجوال عشائر النور في المناطق المختلفة، أو أماكن التماس المشترك في المناطق بين مختلف القبائل الأردنية، بحيث أنه لم يفرق بين الريف والبادية وخاصة أن القبائل الأردنية (الفلاحين) غالبًا ما كانوا أشباه بدو، والخلط بين طبائع وعادات وتقاليد القبائل الأردنية بمختلف شرائحها .

يلاحظ الباحث أن الكاتب لديه معرفة شبه دقيقة في سرده للمواقع والأحداث التاريخية دون أن يشير إلى تلك المصادر والمراجع من قريب أو بعيد، والواقع يحتم الإشارة إليها لما فيها من روايات وأفكار مختلفة كما يرد في مشاهداته وزياراته للبترا ومقام النبي هارون، وربما يشعر الباحث أن الكاتب قد أعاد صياغة المذكرات في فترة متأخرة سمحت له بالإطلاع على مصادر ومراجع حديثة في وقتها .

يؤخذ على العناني في حديثه عن القبائل والعشائر في وادي موسى أنه اعتمد على الروايات الشفوية حول أنساب تلك القبائل وأسباب تسميتها؛ مما قد يثير مشاعر الرفض والاعتراض من قبل البعض.

وعلى أية حال لقد أضاءت لنا المذكرات جوانب من حياة المجتمع الأردني، وسلطت الضوء على قدرة المجتمع نفسه على مواجهة التحديات والتغلب عليها، والقضاء على كل عوامل الفرقة والتخلف، ونبذ مشاعر الكراهية، وغياب الثقة بين القيادة والمجتمع، وأوضحت لنا قدرة القيادة الهاشمية على المرونة والتعامل مع سياسة الأمر الواقع مما جنبها الكثير من الأزمات والإخفاقات والكوارث التي كان يعيشها واقع الحال في المجتمعات العربية الأخرى، ومكنها من السيطرة على التحديات الداخلية والخارجية، وكانت هذه المذكرات بحق وثيقة تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتعليمية لفترة مهمة من تاريخ نشوء الدولة الأردنية؛ لهذا كلِّه استحق منا الدراسة والبحث .

تمهيد

تبرز الحاجة ملحة لمزيد من الدراسة والبحث والتحليل في تاريخ الأردن الحديث، خاصة في مرحلة التأسيس، في وقت تحتفل الدولة الأردنية هذا العام (1921م) بمرور مئة عام على تأسيس النظام العربي الهاشمي، ونشأته على جزء عزيز من الأرض العربية، ليكون قاعدة عربية مؤقتة لوحدة الأرض والإنسان العربي.

وتبدو مهمة الباحث شاقة وصعبة في الكشف، والتحليل التاريخي، والنفسي للواقع المعاش للإنسان والأرض؛ ولواقع الحياة بتفاصيلها الدقيقة، والغوص في أعماق إنسانها ونفسيته، ومشاعره وأحاسيسه وخلجات نفسه، وفرحه وحزنه، وتطلعاته وآماله .

ورغم وفرة المصادر والمراجع العربية، وغير العربية، من أبحاث، ووثائق رسمية، ومذكرات وغيرها، التي تضيء جوانب مشرقة من تاريخ هذا البلد العربي ونظامه الهاشمي إلا أن الحاجة للمزيد من الدراسات لا زالت قائمة.

ولما رأيت أن من واجبي كباحث، وإدراكًا لأهمية دراسة تاريخ الأردن الحديث، وبيان جهود القيادة الهاشمية والرعيل الأول من الأردنيين وأحرار العرب الذين ساهموا بكل تفان وإنكار الذات في تأسيس الدولة، ومجابهة كل التحديات في كافة المجالات؛ أن تكون هذه المساهمة المتواضعة في بيان الجهد المبذول.

فقد رأيت في كتاب من يوميات معلم في البادية «ضرب المكانس» لمؤلفه المعلم عمر العناني ضالتي في حقل التربية والتعليم، وهو المعلم المعار من قبل حكومة الانتداب في فلسطين إلى إمارة شرقي الأردن،حيث مارس مهنة التدريس في

مدارس جنوب الأردن لسنوات امتدت من عام (1928م ـ1933م) في المزار، وبصيرة، ووادي موسى، والشوبك.

وتعد مذكرات العناني من أوائل السير الذاتية التي كتبت في الفترة الحرجة من عمر الإمارة، وفيها رسم المعلم العناني بصدق وعفوية لوحة فنية تصور الواقع في ربوع ومضارب جنوب الأردن؛ دون تشويه أو رتوش لوحة فيها مزيج وظلال من ملامح وبصمات، ومشاعر وخلجات روح الأهل والعشيرة في هاتيك المضارب، عكست ثلاثية الأرض والإنسان والزمان، وصراع الخير والشر، وكان منسجماً مع نفسه وأهله، وليس غريباً عنهم؛ وهو ابن جنوب فلسطين، وإن كان ملعب صباه ولهوه في ربوع حلحول والخليل في فلسطين؛ فإن ربوع الكرك، والطفيلة، وبصيرة، وضانا ، ومعان، والشوبك، ووادي موسى مهوى الفؤاد والروح والذكريات.

وكان العناني من خلال حكاياته وأخباره، و زياراته، ورحلاته، منسجماً مع نفسه وذاته في رسم واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في فترة من فترات الانتداب البريطاني، ودور القيادة الهاشمية بقيادة عبدالله الأول بن الحسين المؤسس، والرعيل الأول في تثبيت أركان الدولة، وبناء المؤسسات، ومجابهة التحديات، ونشر الوعي التعليمي والثقافي ومحاربة الأمية والجهل والتخلف.

فقد قسم العناني مذكراته إلى حكايات، وأخبار، وقصص عاشها، وكان فيه شاهد عيان، ولما كانت خدمة العناني التدريسية بين سنوات (1928 ـ 1933م). كانت سنوات التأسيس الأولى، لذا جاءت تكشف اللثام عن بعض القضايا الداخلية والخارجية، وأسلوب الإدارة الناشئة؛ والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. ويمكن القول أنها تشكّل رافداً للدارسين والباحثين في التاريخ الحديث للأردن في حقبة التأسيس، وإنه وقف فيها على كثير من تفاصيل الحياة.

وأشار إلى دور القيادة الهاشمية والبناة الأوائل في إدارة البلاد، واتخاذ القرارات السياسية والإدارية، وترسيم حدود الدولة، وإلحاق لواء معان والشوبك ووادي موسى إلى الإمارة، والحكومات المحلية، والقضاء على حركات التمرد،

والعصيان، والفوضى، والهجمات الوهابية، ودور الشخصيات الوطنية وشيوخ القبائل والزعامات المحلية في بناء الدولة، وتأسيس الأحزاب، ودور المعتمد البريطاني والمستشارين في البلاد، وتوقيع المعاهدة الأردنية ـ البريطانية في عام (1928م)..

ولما دوّن العناني مذكراته بعناية ما يجعلها مصدراً معاصراً للسنوات التي وثّق بها بداية الجهد ورسم طريق المستقبل رغم كل التحديات ومرارة الواقع.

ومع عمق الإنجازات والمكاسب التي تحققت في مختلف المجالات والميادين منذ تأسيس الإمارة،كان ميدان التربية والتعليم وما يزال، واحداً من أهم الميادين والمجالات التي حازت على اهتمام القيادة والشعب وكامل الرعاية، ولعل نظرة على تطور التعليم ومجالاته تكشف لنا كشفاً بيناً عن هذه العناية والاهتمام، فإذا ما رجعنا إلى الوراء وخاصة في تلك الحقبة موضع البحث رغم شح الإمكانيات، وتفشي الأمية، فقد عملت الدولة على تحقيق وتوفير الشروط الموضوعية لنشر التعليم وتعميمه ليشمل أكبر القطاعات من المجتمع بقدر ما تستعد لرسم طريق المستقبل.

ففي عام (1922ـ1923م) كان عدد المدارس الحكومية لا يتجاوز (44 مدرسة)، وعام (1929م ـ 1930م) بعد المعاهدة البريطانية ـ الأردنية 1928م) ارتفع العدد ليصل إلى (53 مدرسة) منها (47) مدارس ذكور و (6) مدارس إناث، وكان عدد المعلمين (101) معلماً وعدد المعلمات (19) معلمة[(1)]، وتستمر المسيرة والتطور.

فقد نشأت أول وزارة للمعارف في شرق الأردن عام 1940م خلفاً لمديرية المعارف[(2)]، الأمر الذي يظهر زيادة الاهتمام بالتعليم وشؤونه كماً ونوعاً من قبل القيادة السياسية في البلاد وتطور المؤسسات التعليمية، مما كان له أثر كبير في تحسين نوعية التعليم ومحاربة الجهل والأمية، ولتستمر مسيرة الخير والعطاء في بناء المؤسسات التعليمية والمعاهد والجامعات.

1- انظر: الحصري، ساطع، حولية الثقافة العربية،السنة الأولى،ج(1)، ص46. ومحافظة، علي، تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإمارة (1921-1946م)، عمان، 1989م، ص147.

عمر العناني في سطور

من خلال معرفتي للسيدة حفصة عمر العناني ابنة المؤلف، وهي تربوية، وصاحبة مدرسة الطليعة الخاصة في جبل الحسين - عمان، ومن المهتمين بتربية جيل طلائعي من أبناء الأردن، ولها الأيادي البيضاء في رعايته من منتصف السبعينيات ولغاية عام (2016م) العام الذي أغلقت فيه مدرسة الطليعة الخاصة.

ولقد أشارت إلى موقف والدها وإصراره - كما هي سيرته - على أن تكمل دراستها وبقية أخوتها، أثناء عمله في غزة، إذ استطاعت السيدة حفصة أن تدخل مدرسة حلوان الثانوية - سكن داخلي - في مصر العربية، قريباً من القاهرة، ثم تواصل تعليمها الجامعي في جامعة القاهرة، وتتخرج فيها سنة (1962م) رغم قساوة الظروف والمعيقات الاجتماعية كما أكدت بنفسها، ثم لتحصل على ماجستير إدارة مدرسية من جامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية.

ذكرت السيدة حفصة أن والدها من مواليد قرية حلحول - قضاء الخليل عام (1905م)، وأكمل فيها تعليمه الابتدائي، وواصل تعليمه الثانوي في مدينة الخليل، ثم تخصص في مجال اللغة العربية في كلية المعارف في مدينة القدس الشريف لمدة سنتين دراسيتين، وتخرج منها عام (1927م) ليمارس مهنة التعليم بداية في الأردن.

وانتدب عام (1928م) للتعليم في شرقي الأردن، في بلدة المزار/الكرك، وتنقل للعمل في بلدات عديدة في جنوب الأردن (بصيرة، وادي موسى، والشوبك)، وأكدت أنه كان يعتبرها من أحلى سنوات ومراحل العمر حتى وفاته.

وفـي عام (1933م) عاد عمر العناني إلى فلسطين ليعمل فـي حقل التربية والتعليم أيضًا، وعمل مديرًا لمدرسة (سعير) الابتدائية فـي قرية سعير من قرى الخليل، وتنقل بين عدة بلدات من الخليل، حيث تزوج، وبنى علاقاته الاجتماعية التي استمرت حتى عام (1947م)، العام الذي بدأت فيه بريطانيا الانسحاب من فلسطين، بعد أن عملت على تمكين اليهود من السيطرة،وإمدادهم بالمال والسلاح، وملاحقة الثوار العرب والفلسطينيين فـي الأرض المحتلة.

وشارك العناني المتطوعين والثوار في فلسطين القتال فـي مستوطنات (كفار عصيون)، وكان منزله فـي حلحول أثناء النكبة عام (1948م) مأوى للثوار واللاجئين وملتقى المثقفـين للدفاع عن حق الشعب الفلسطيني فـي الحرية والاستقلال، وعودة اللاجئين إلى مناطقهم التي هجِّروا منها؛ وإزاء هذه الأوضاع المأساوية التي عاشتها فلسطين؛ قرر العناني العيش في قطاع غزة؛ بعيدًا عن السلطات الصهيونية، وذهب متسللاً إلى غزة، واستطاع الوصول إلى هناك على الرغم من تمكن الجماعات اليهودية من سلبه ممتلكاته الشخصية، وبعد وصوله غزة تم تعيينه مدرسًا للغة العربية فـي مدارسها الثانوية، وتمكن من لم شمل أسرته فيما بعد.

وفـي عام (1955م) عاد العناني إلى حلحول، وعمل معلمًا فـي مدارس مدينة الخليل حتى عقد السبعينيات من القرن الماضي، وفـي عام (1984م) اضطر للسفر للعيش مع بعض أفراد أسرته فـي الولايات المتحدة الأمريكية، وكان دائم التواصل مع الأهل فـي الأردن وفلسطين، والقيام بزيارة طلبته فـي الجنوب والاستفسار عنهم، ودائم الحنين والشوق لملاعب الصبا، وحاول العديد من المرات العودة للعيش فـي حلحول؛ لكنه لم يفلح لرفض الأبناء أن يعيش وحيدًا بعيدًا عن أسرته فـي المهجر.

بعد التقاعد انشغل بالكتابة والتأليف، فصدر له من المؤلفات: (بين الجد والهزل)، (جذور الصبر)، (حامل عصا الترحال)، (ضرب المكانس)، وجميعها تمت

طباعتها في مدينة القدس الشريف، و(ضرب المكانس) الطبعة الأولى كانت سنة (1972م)، والتي لم يتيسر لنا الاطلاع عليها، والطبعة الثانية في دار وائل للنشر /عمان سنة 2001م والتي بين أيدينا .

انتقل العناني إلى رحمة الله تعالى، في ولاية ميريلاند بتاريخ 31/1/ 2005م، حيث ووري جثمانه الطاهر هناك.

الفصل الأول

الأردن قبيل نشوء الإمارة

الأحوال العامة في الأردن

تمر الأوطان بمراحل الازدهار والتخلف، كما الإنسان بين السعادة والشقاوة، وتختلف الأوطان في هجرها وخرابها بعد عمرانها لأسباب منها: الكوارث الطبيعية والإنسانية بمختلف أشكالها من زلازل، وأوبئة، وجفاف، وحروب، وفقدان الأمن، وسنوات تيه وغيرها.

أما الأردن فكانت منطقة عامرة حتى مطلع القرن السابع عشر، شأنها في ذلك شأن بقية مناطق الشام، ولا سيما المنطقة الممتدة من نهر الزرقاء شمالًا حتى وادي عربة جنوبًا، وتشمل اليوم منطقة البلقاء، والكرك، والطفيلة، ومعان، والعقبة، والشوبك، ووادي موسى.

ولكن الأردن في القرن السابع، والثامن، والتاسع عشر الميلادي[1] مر بظروف أمنية، ووبائية عصيبة وقاسية؛ أثناء فترة الحكم المملوكي والعثماني من فقدان أمن، وصراعات، وفتن، واضطرابات، وكوارث، وخراب عمران؛ وكان لها ثمارها الفجة على حياة الإنسان الأردني وعيشه ومعيشته، وتحولت حياة الاستقرار إلى حياة الترحال والتنقل، والرغبة في العيش في عمق البادية وصحاريها؛ طلبًا للأمن، وهروبًا من سطوة السلطة القمعية، ولسان حال الإنسان زمانها يقول: «السلطان من لا يعرف السلطان».

1- سليمان الموسى، إمارة شرقي الأردن، ط1، ص19 والزركلي، خير الدين ، عامان في عمان (1921-1923)، تحقيق ومراجعة عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط(1)، 2009م، ص 45.

إن استتباب الأمن يؤدي إلى ازدهار القطاعات الاقتصادية، وفقدانه يؤدي إلى الفوضى؛ فقد عطلت الطرق التجارية بين بلاد الشام، ومصر، وقارات العالم، وتوقفت حركة القوافل التجارية المحملة بالسلع والبضائع العالمية،التي كانت تنطلق ذهابًا وإيابًا من الشام عبر مدن وقرى الأردن وفلسطين إلى مصر ثم لبقية أقطار العالم، والأخرى التي تنطلق من الجزيرة والحجاز وتلتقي بالعقبة، ثم عبر سيناء إلى مصر، أو عبر طريق الكرك ـ الشوبك ـ وادي موسى إلى غزة ثم مصر؛ وتراجعت حركة البيع والشراء، رغم بعض إجراءات السلطة الحاكمة في معالجة الوضع ووضع الترتيبات الأمنية بالاتفاق مع القبائل؛ لتوفير الأمن والحماية للطرق والقوافل التجارية، وطرق الحج؛ لكن التعديات لم تتوقف بل زادت بعد امتلاك البدو وحصولهم على البنادق، ومطالبتهم بمزيد من الهبات العينية والنقدية وعدم اقتصارها على شيوخ وزعامات المناطق؛ وعاش الناس في المنطقة في ضيق وفقر وعوز وضنك.

أما الصناعة والتي غالبيتها عائلية ومنزلية[1]؛ وتقوم على أدوات بسيطة وبدائية، وورش تصليح لهذه الأدوات المستخدمة، ومعظمها مستلزمات زراعية مثل المحراث، القدوم، والمنشار، والمطرقة، والفأس، والمناجل، وأدوات لدراسة الزرع (فصل الحب عن القش)، أو أدوات حياكة وخياطة مثل الإبرة والمسلة، وأدوات الألبان وقرب المياه وغيرها فقد تراجعت مع تراجع القطاعات الأخرى.

أما الزراعة عماد الاقتصاد[2]، فكانت معظم المحاصيل الزراعية والحيوانات ومنتجاتها للاستهلاك المحلي، والتخزين، وجزءٌ للتجارة في سنوات وفرة الأمطار والغلال، فمن كان لديه فائض يباع للبدو، ومناطق الحجاز، والحجاج، وكانت الأغنام والماعز ومنتجاتها تباع في أسواق الخليل والقدس وغيرها من مدن فلسطين.

وبالمقابل كانت القهوة، والأرز، والتبغ، والأقمشة والملابس، والبنادق، والبارود، والقمح، والشعير يشترى من فلسطين في فترات الجفاف والمحل.

1- محافظة، علي وآخرون، التربية الوطنية، دار جرير للنشر، عمان 2016م، ط2، ص 131،. وفريدريك ج. بيك، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ترجمة بهاء الدين طوقان، عمان، الدار العربية للتوزيع والنشر، 1935، ص 102.

2- عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، ص 158. وموقع وزارة التنمية السياسية.

ولقد واجهت الزراعة[1] عنوان الاستقرار وتأمين الغذاء مشاكل جمة، من ندرة الأمطار، وبدائية الأدوات والوسائل الزراعية، وتفشي الأمراض والفطريات، وهجمات البدو وتعدياتهم، التي تزداد في سنوات المحل والقحط؛ وقد عاثوا فسادًا وخرابًا، وقتلًا إن اقتضى الأمر؛ فهجر الفلاحون قراهم ومزروعاتهم، وتركت وأهملت الزراعة، وعم الخراب، ولسان حال الفلاح يقول: «نحن نزرع والعربان تقلع»، وفي يوم البيدر يأتي البدوي ليقول: «أنا شريكك في الغلة».

ولما كان سكان الأردن[2] في معظمهم ينتظمون في فئتين هما: فئة القرويين الذين يعملون في الزراعة وتربية المواشي وهم أقرب للبداوة من الاستقرار، أو بدو شبه رحل، والفئة الأخرى البدو الرحل الذين يقيمون في بيوت الشعر طوال العام ولا يستقرون في مكان، ويعيشون على تربية الإبل والماشية.

وظهرت حركة التبدي[3] جلية في تلك المناطق وهي (الانتقال من الاستقرار إلى التنقل والترحال حياة البداوة)، وأدى إلى كثرة العربان الرحل التي تحوم المنطقة من شمالها إلى جنوبها، وتركز معظمها في مناطق جنوب الأردن، وتحولت كثير من البلدات والقرى والقلاع؛ إلى خرائب في مناطق الكرك، والشوبك، ومعان، والطفيلة، وغيرها، وأدى كذلك إلى التقلبات في التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية وفق الواردات والضرورات الأمنية، وساءت العلاقة بين السلطة، والمجتمع، وبين فئات المجتمع نفسه، فكانت الغزوات والغارات، ونهب الحاصلات الزراعية، ودفع الإتاوات، والخاوات، وفقدان الأمن. وعجزت الدولة عن توطيده، والحد من هذه الاعتداءات، وملاحقة المجرمين في عمق الصحراء والبادية؛ لعدم امتلاكها وسائل الملاحقة والمتابعة الحديثة؛ ولأن اهتمامها منصرف لجباية الضرائب والتجنيد

1- عربيات، سليمان، الزراعة في عهد الإمارة شرق الأردن (1921 - 1946م)، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ط1، ص 75.

2- الموسى، سليمان، إمارة شرقي الأردن، ص364.

3- خريسات، د.محمد، والعبيدي، رابعة، الشوبك في الزمان والمكان، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 2016م، ص42.

الإجباري، وتوزيع الإقطاعات الواسعة والمال على المتنفذين، وليس إلى التطوير والتحديث وبناء دولة القانون والمؤسسات.

لذا حددت الحياة الاقتصادية أنماط الحياة الاجتماعية المختلفة المعيشية، والعمرانية، والقيمية للمجتمع، فأعظم ما كان يملك الفرد والجماعة ومصدر فخره أعداد ما يملك من الحيوانات، وكمية الحاصلات الزراعية، والأسلحة الشخصية من البارودة، والشبرية (الخنجر)، ومن المساكن بيت الشعر، أو بيت الطين.

والممتلكات البيتية محدودة، لا تخرج عن الحاجات الضرورية مثل الفرشات، واللحف، والمخدات، والبسط، والقدور، والطناجر، والصحون الفخارية المصنوعة محليًّا، وبعض الأواني الزجاجية الصينية.

وتبدو الحالة الاقتصادية واضحة وبينة في حالات الزواج[1] فالمفهوم الاجتماعي السائد آنذاك «من طين بلادك حط على خدادك»؛ الأمر الذي جعل زواج الأقارب، الأفضل للأهل والأكثر شيوعًا، كونه الأقل تكلفة، مثل زواج البدل وهي أن يتفق اثنان على تزويج بعضهما من ابنة أو أخت الآخر بمهر مسمى أو دون مهر، وزواج القاصرات ممن لم يكملن سن البلوغ وهي طفلة لا تدرك معنى الزواج، وزواج الدية (غرة مدى) وهي أن تكون المرأة جزءًا من الدية التي يدفعها أهل القاتل لأهل القتيل، وهي تزويج الفتاة لأحد أبناء أهل المقتول، وكانت ظاهرة في المنطقة دون مراعاة لشعور الزوجين. في الوقت الذي لعب نمط العيش والبعد المكاني؛ حاجزًا أمام زواج المرأة من خارج المنطقة، وبعدها عن مضارب الأهل والعشيرة، والزواج من الغريب ـ في العرف ـ يكاد يكون نادرًا وشبه مستحيل.

وكانت ظاهرة المهور العينية في المجتمعات العربية والأردن، من حيث تقديم النقد، والأرض، والحيوانات، والأسلحة، كجزء من المهر أو المهر عاجله وآجله.

1- محافظة، علي، الحياة الاقتصادية في عهد الإمارة 1926-1946، مجلة التنمية الأردنية، العدد الأول، عمان، وزارة الثقافة والإعلام، 1973): ص16.

وكان واقع المرأة[1] في المجتمع الريفي والبدوي غاية في الصعوبة، وإن كان هناك فرق بين حياة المرأة في الريف والبادية من حيث الأعباء الملقاة على عاتق كل واحدة منهن، فالأعمال لدى الفلاحين من حيث الزراعة ومتطلباتها من حراثة وزرع وحصاد ونقل، ومتابعة الأغنام وحلبها، وأعمال البيت وجلب المياه وتربية الأطفال كبيرة؛ فالمرأة الفلاحة ذات دور رئيسي منفردة كانت أو مشاركة في الأعمال الزراعية، بينما المرأة البدوية لا تمارس شيئًا من الأعمال الزراعية، ودورها في تربية الحيوانات لا يقاس مع المرأة الفلاحة؛ لأن الإبل المنتشرة في الصحراء يحلبها الرعاة، وتبقى أعمالها مقتصرة على تربية الأولاد وأعمال البيت القليلة.

ولم يكن الرجل أقل شقاء ومعاناة من المرأة وإن كان المجتمع ذكوريًّا[2]؛ فإن العبء على الأسرة واحد، وضنك العيش ومرارته يتجرعها الجميع، وإن نالت النساء والأطفال النصيب الأوفر.

الأردن وفلسطين في مطلع القرن العشرين

أحدث انقلاب جمعية الاتحاد والترقي(الاتحاديون)[3] على السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، والسياسة الاتحادية ضد العرب، والتي أقصتهم عن مواقع المسؤولية، ومركز القرار، وإهمال اللغة العربية، وجعل اللغة التركية اللغة الرسمية، وتهميش المنطقة وإهمالها، ودخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط (ألمانيا، والنمسا) شرخًا كبيرًا في العلاقات العربية ـ التركية، إلا أنهم بقوا موالين للدولة العثمانية في بادئ الأمر، ومحاولين رأب الصدع وتجنب الحروب،رغم إدراك العرب للنوايا والمخططات الاستعمارية في تقسيم المنطقة.

1- أنظر: حكمت، نجمية، (65 عامًا من حياة امرأة أردنية، رحلتي مع الزمن)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ص13

2- محافظة، علي، تاريخ الأردن، ص 125-127.

3- الريحاني، أمين، ملوك العرب، مذكرات تحسين علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، طبعة 2004، ص.28.

وبعد دخول الحرب، شط الاتحاديون في ممارسة الظلم والقتل والاعتقال، ضد العرب ومفكريهم؛ ما دفع العرب إلى البحث عن مخرج من المأزق؛ بعد فشل مطالبتهم بالإصلاح والتحديث، والعدالة، والمساواة، واللامركزية والرابطة العثمانية في ظل الدولة الإسلامية الجامعة، إلى مرحلة الانفصال، والاستقلال لصالح الوحدة العربية.[1]

بدأ أحرار العرب المشاورات والمباحثات حول المستقبل العربي في ظل المتغيرات المحلية والدولية؛ وبدأ التواصل مع الشريف الحسين بن علي أمير الحجاز، كون الشريف صاحب إرث ديني، وتاريخي، وسياسي؛ واتفق على أن يكون القائد والرائد للنهضة العربية.

وكان للشريف موقف من كل التطورات الجارية، انطلاقًا من إيمانه بالوحدة العربية، منسجماً مع موقف الأحزاب والجمعيات، والمثقفين، والمفكرين العرب، حيث حذر السلطات التركية من دخول الحرب ونتائجها الكارثية، وحاول ثني الاتحاديين عن سياسة الاضطهاد، والاعتقالات، والتتريك ضد العرب والمطالبة بحقوقهم؛ ولم يكن ببال الشريف تزعم حركة ضد السلطان العثماني؛ إذ بقي مدار البحث الأوضاع السيئة التي يعاني منها العرب، خاصة ما فعله جمال باشا بالأحرار في سورية وبلاد الشام، وإرسالهم الضباط العرب في الجيش العثماني إلى جبهات القتال، والتجنيد الإجباري.[2]

وشعر الشريف الحسين وقادة الفكر العربي، أن الدولة العثمانية لا تعدهم شركاء لها، بل تخطط للقضاء على هويتهم القومية؛ لذلك استقر الرأي على الانفصال بشتى الطرق والوسائل، وحتمية الحصول على الاستقلال والنهوض بالواقع المأساوي في

1- الحسني، محمد بن علي، تاريخ الثورة العربية الكبرى. المجلد الثاني. الدار العربية للموسوعات. 2013م، م2، ص9 .

2- ياغي، إسماعيل أحمد(1995م)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض: مكتبة العبيكان، ص 76.

المنطقة العربية في كافة مجالات الحياة خاصة بعد دخول الدولة الحرب.

وقد أسفر التشاور والتباحث عن ميثاق عربي (ميثاق دمشق سنة 1915م)[1] وكان الأساس الذي ارتكزت عليه مباحثات الشريف الحسين مع بريطانيا ـ فيما بعد ـ دخول العرب لجانب الحلفاء، والعمل على مشروع الدولة العربية، وإعلان الثورة، بالتعاون مع الدول الأوروبية،رغم احتلالها لبعض المناطق العربية.

وأبرز ما جاء في ميثاق دمشق، على بريطانيا الاعتراف باستقلال البلاد العربية في آسيا باستثناء عدن، وإعطاء الأفضلية لبريطانيا في المشاريع الاقتصادية، وعقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، وبيان حدود الدولة المنشودة على آسيا العربية، ولم تتعرض لأفريقيا العربية، أو ما احتل من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

بدأ الشريف الحسين اتصالاته مع بريطانيا وممثلها هنري مكماهون من (14 تموز عام 1915م ـ 10 آذار عام 1916م)، وتم إعلان الثورة العربية الكبرى في (10 حزيران عام 1916م).

ونجحت القوات العربية في المرحلة الأولى بقيادة أنجال الشريف الحسين في السيطرة على سواحل الحجاز من القنفذة جنوبًا إلى العقبة شمالًا (مرحلة الحرب في الحجاز حزيران 1916م/ تموز 1917م)، وتحرير مدن الحجاز الرئيسية (مكة، وجدة، الطائف).أما المدينة المنورة فلم يتمكن العرب من تحريرها في البداية لوجود خط سكة الحديد الذي يربط المدينة المنورة بدمشق؛ إذ تمكن الأتراك من الحصول على التعزيزات والإمدادات الحربية.ووجود حامية تركية كبيرة فيها.[2]

1- عبدالكريم، أحمد عزت وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، دار الرسالة، جامعة الدول العربية، 1989م،ص 150. ومحافظة، تاريخ الأردن المعاصر ، ص 147.

2- اللصاصمة، احمود حرب، الهاشميون والوحدة العربية في التاريخ المعاصر، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص13-32. وقدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ص 120.

وفي شرقي الأردن (تموز 1917 م ـ أيلول 1918م)[1] المرحلة الثانية من التحرير، كان الأردن ميدان ومركز معارك الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين الذي انتقل من ميناء الوجه على ساحل البحر إلى العقبة بعد تحريرها بتاريخ (6/ تموز/ 1917م) بمساعدة الأردنيين؛ واتخذ من العقبة مركزًا للقيادة، وكان تحريرها منعطفًا تاريخيًّا أعطى للثورة بعدًا جديدًا، ونقطة تحول سياسي وعسكري؛ وأظهر مقدرة وقدرة القوة العربية، ومركزًا لتجمع القبائل العربية، والتفافها حول الثورة، وبذلك اتخذت طابعًا قوميًّا، بخروجها من إطار الحجاز إلى ثورة الأمة بكاملها.

وتحمل أبناء الأردن أعباء تلك المعارك، وقدموا تضحيات عظيمة بذلوها من دمائهم، وأرواحهم، وأموالهم، وشكل أهالي الأردن وفلسطين غالبية ألوية الجيش الشمالي، وتم تحقيق النصر في معارك معان، ووادي موسى، والشوبك، والطفيلة؛ ونجحت القوات العربية في تأمين سير القوات البريطانية من مصر إلى فلسطين، وحصار القوات العثمانية ومنعها من المشاركة في جبهات القتال، في الوقت الذي أقام الجيش البريطاني في العقبة قاعدة للتموين والإمدادات، وقيام طائراته بعدد من الغارات على معان؛ ردًّا على الطائرات التركية والألمانية التي كانت تغير على العقبة، وكان الجيش البريطاني قد استولى على أريحا وجوارها، وعبرت حملة من القوات البريطانية نهر الأردن وهاجمت القوات التركية في السلط، وعمان، ومرتفعات البلقاء، ومع أن الحملة تمكنت من دخول السلط إلا أنها لم تستطع الاستيلاء على عمان؛ فاضطرت للتراجع إلى مواقعها غرب النهر.

ثم قامت القوات البريطانية بأكثر من حملة إلى الشرق من نهر الأردن، واستولت من خلالها على السلط، وعمان، ومناطق البلقاء من القوات التركية.

المرحلة الثالثة[2]: مرحلة الحرب في سوريا واستكمال تحرير شرق الأردن (من

1- الريحاني، ملوك العرب، ص 67. ومذكرات الأمير زيد، الحرب في الأردن (1917-1918م)، ط2، مركز الكتب الأردني عمان، 1990م، ص67.

2- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ص 502.

أيلول إلى تشرين أول 1918م)، وقد حققت قوات الثورة بقيادة الأمير فيصل عزل درعا، من خلال قطع خطوط المواصلات التي تربطها بدمشق وحيفا وعمان، وإجبار القوات التركية على الإنسحاب، ومطاردة فلولها، ودخول القوات العربية دمشق في 30/ أيلول/ 1918م، ورفع العلم العربي فيها، والاستمرار بالتقدم نحو حلب شمالًا.

واستمرت المعارك طوال صيف عام (1918م)[1]. وقام الجيش البريطاني في فلسطين بهجوم ضد الجيوش التركية والألمانية بعد أن تمت الترتيبات بينه وبين قيادة الجيش العربي الشمالي، وشارك العرب بدور فعال في الهجوم، وتوسيع رقعة السيطرة، وتعزيز مركزهم السياسي، فالقوات العربية هي القوات الوطنية التي ترنو إليها أبصار العرب آنذاك، وانتهت العمليات العسكرية باستسلام الدولة العثمانية لقوات الحلفاء يوم في تشرين الأول عام (1918م).

ومما جعل القوات البريطانية تحرز انتصارًا حاسمًا على الأتراك في فلسطين عام (1917م) والاستيلاء على بئر السبع، وغزة، ويافا، والخليل، وبيت لحم، والقدس، وفرضت حكمًا عسكريًّا استمر حتى عام (1920م)، عندما استبدلت به إدارة مدنية.

وتم توقيع هدنة مدروس في 30/ تشرين أول/ 1918م)[2]، وكانت قوات الجيش الشمالي قد نجحت في تحرير المناطق العربية كافة، أما المدينة المنورة، فبعد توقيع الهدنة فقد اضطر قائد الحامية والقوات العثمانية للاستسلام أمام قوات الأمير عبدالله بن الحسين.

ويجدر أن نشير إلى أحداث مهمة، وقعت خلال الحرب العالمية الأولى، توقيع اتفاقية سايكس ـ بيكو عام (1916م)[3] السرية بين بريطانيا وفرنسا، في الوقت الذي

1- نوار، عبدالعزيز سليمان، ونعني، د.عبدالمجيد، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، ط6، 2000 م، ص 106.

2- هايمان، نيل م.،الحرب العالمية الأولى، ترجمة حسن عويضة،أبو ظبي، ط1 2012 م ـ ،ص320.

3- طقوش،د.محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط2، 1434 2013- م، ص 402.

كانت بريطانيا تتفاوض مع الشريف الحسين بن علي، ولم يعرف الشريف بأمرها إلا في نهاية عام (1917م) بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا وتسريبها لبنود الاتفاقية؛ ومن خلال هذه الاتفاقية تم تجزئة البلاد العربية وتقسيمها بين بريطانيا وفرنسا، حيث وقعت البلاد تحت ما يعرف بـ الانتداب البريطاني والفرنسي.

وثانيًا إعلان بريطانيا «وعد بلفور»[1]عام (1917م) والذي جاء على شكل رسالة من حكومة جلالة الملك البريطاني إلى زعيم الحركة الصهيونية اللورد روتشيلد، ونصت على منح اليهود الحق في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وهدفت بريطانيا من هذا التصريح كسب اليهود الألمان والنمساويين والعناصر الصهيونية لدعم دول الحلفاء، وتحريك يهود الولايات المتحدة للضغط على الولايات المتحدة لدخول الحرب إلى جانب الحلفاء؛ وقد حظي بالفعل بدعم الولايات المتحدة الأمريكية ودخولها الحرب إلى جانب الحلفاء.

وعزمت بريطانيا بجعل فلسطين مستعمرة لحماية المصالح البريطانية[2]،تأمين قاعدة مرتبطة بها وبالغرب، وخلق دولة لليهود معتمدة عليها في توفير شروط استمرارها في المنطقة.

الأردن وفلسطين تحت الحكم الفيصلي

دخل الأمير فيصل دمشق في بداية تشرين الأول عام (1918م)، وتم رفع العلم العربي فيها، وشكلت حكومة عسكرية مؤقتة باسم الشريف الحسين، ترأسها علي رضا الركابي، وقصد الأمير أن تتولى حكومته إدارة سوريا بأكملها، لكن القائد العام لجيوش الحلفاء في سوريا العسكري البريطاني اللنبي، أصدر بيانًا تضمن تقسيم

1- عبدالرحمن، د. عبدالرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط6، 2016، ص36-63.

2- عبدالكريم، أحمد عزت وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، دار الرسالة، جامعة الدول العربية، 1989م،ص 302.

سوريا إلى ثلاث مناطق عسكرية باعتبارها كلها «بلاد العدو المحتلة»، المنطقة الجنوبية (فلسطين) وتتولى القوات البريطانية إدارتها مباشرة، المنطقة الشرقية (سوريا الداخلية وشرق الأردن)، ويتولى إدارتها العليا الأمير فيصل، ويكون الحاكم العسكري العام (رضا الركابي)، مسؤولًا أمام اللنبي بصفته القائد العسكري العام، بالإضافة إلى مسؤولية الركابي أمام فيصل عن المنطقة الغربية (لبنان والساحل السوري كله) وتتولى القوات الفرنسية إدارتها مباشرة، وهكذا أصبحت شرقي الأردن تابعة للإدارة العسكرية العربية.[1]

كان الطموح العربي والهاشمي يرنو إلى إنشاء دولة واحدة في مناطق سوريا الطبيعية، لتثبيت أسس الدولة العربية السورية، فقد ألغى الأمير فيصل الحكم العسكري في البلاد يوم (5/ شباط/ 1920م)، وأصبح الحكم مدنيًّا وإدارة مدنية، ولكن الأطماع الاستعمارية كانت لها بالمرصاد.

فقد وقفت بريطانيا وفرنسا ضد توجه الحكومة العربية الفيصلية وتعرضت لضغط شديد من بريطانيا وفرنسا كي تقبل الانتداب. وكان رد الفعل العربي أن المؤتمر السوري اتخذ يوم (8/ آذار عام (1920م)[2] قرارًا بإعلان استقلال سوريا الطبيعية ووحدتها، ونادى بالأمير فيصل ملكًا عربيًّا هاشميًّا عليها.

رفضت بريطانيا وفرنسا الاعتراف بالدولة العربية الجديدة، وعقد مؤتمر سان ريمو عام (1920م)[3] واتخذ قرارًا بفرض الانتداب الفرنسي على سوريا الداخلية ولبنان، وفرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وشرقي الأردن.

1- قاسمية، خيرية، الحكومة العربية الفيصلية (1918-1920م)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م، ص96.

2- ألماظ، ماري شهرستان، المؤتمر السوري العام 1919-1920، ط1، بيروت، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ص 40. ومحافظة، علي، «قرارات المؤتمر السوري الأول»، الفكر السياسي في الأردن، وثائق ونصوص (1916-1946م)، ج2، 2011، ص 29.

3- سعيد، أمين، الثورة العربية، م.س، م (2)، ص 130-133.

وهب أبناء بلاد الشام لمقاومة الدولتين الاستعماريتين، وتطورت الأحداث إلى دخول القوات الفرنسية بقيادة الجنرال الفرنسي غورو دمشق، واصطدامه بقوات الجيش العربي في معركة ميسلون يوم 24/ تموز / 1920م[1]، خسر العرب المعركة، ولم يبق أمام فيصل وأحرار العرب إلا استئناف العمل السياسي، وخاصة مع بريطانيا التي قدمت العهود والوعود الكاذبة.

وعينت الحكومة البريطانية في حزيران عام (1920م)[2] السير هربرت صموئيل مندوبًا ساميًا على فلسطين، وطرحت مستقبل إدارة منطقة شرقي الأردن، وطبيعة علاقة الإدارة البريطانية في فلسطين ودور المندوب السامي وصلاحياته إزاء الفراغ السياسي والأمني في منطقة شرقي الأردن، بعد معركة ميسلون، ودور الأهالي وشيوخ وزعماء المنطقة وإمكانية التواصل معهم ومحاولة معرفة مطالبهم.

وجرت محادثات بريطانية مع زعماء شرقي الأردن؛ أسفرت عن تشكيل (الحكومات المحلية)[3]، والتي لم تدم طويلًا وانتهت بقدوم الأمير عبدالله المؤسس عمان في آذار عام (1920م)، وتأسيس دولة الأردن الحديث.

وطرحت مسألة شرقي الأردن، وموقف بريطانيا من مجيء الأمير عبدالله، في المؤتمر المنعقد في القاهرة في آذار (1920م)[4]، برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني؛ وقد توصل المؤتمر إلى ضرورة الاتفاق مع الأمير عبدالله، ووجه تشرشل الدعوة للأمير لمقابلته في القدس، وتمخض لقاء القدس[5] عن الاتفاق على بقاء الأمير عبدالله في شرقي الأردن، وتشكيل حكومة وطنية، تسترشد بمندوب بريطاني يقيم في عمان، وتواجد قوات وقواعد بريطانية على الأرض الأردنية.

1- الحصري، ساطع، يوم ميسلون، بيروت، دار الاتحاد، 1945، ص115-175.

2- المسيري، عبدالوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م2،دار الشروق، 1999، ص95.

3- الموسى، سليمان، إمارة شرقي الأردن، ص 50.

4- الشناق، عبدالمجيد، تاريخ الأردن وحضارته، ط4، عمان، 2012، ص167.

5- قاسمية، خيرية، وعبدالهادي، عوني، أوراق خاصة، بيروت، 1974م، ص 48-49. والموسى، تأسيس الإمارة، ص106-122.

ولم تتوقف بريطانيا فقد عملت على استصدار قرار من عصبة الأمم المتحدة بالانتداب على فلسطين عام (1922م)[1]، على ضوء قرارات مؤتمر القاهرة عام (1920م)، ومحادثات تشرشل ـ عبدالله؛ طبقت ـ كما ورد في مذكرتها عام (1922م) صك الانتداب البريطاني على فلسطين، وشرق الأردن، وتضمين وعد بلفور في صك الانتداب، كما ورد في المادة (25)، حيث كان المندوب السامي البريطاني على فلسطين في الوقت نفسه مندوبًا ساميًا على شرقي الأردن، وينوب عنه المعتمد البريطاني في عمان.

وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري (عام 1920م)[2]، ثم الحكم المدني البريطاني، وعينت اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل أول مندوب سامي لها في فلسطين (1920 ـ 1925م)؛ حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ـ الغربي.

وبقيت الإمارة الأردنية تتمتع بقسط من حرية العمل والاستقلال خلال السنوات (1921م - 1924م)[3]، إلى حد كانت فيه بعض الأحيان ترفض وجهات نظر سلطات الانتداب. ولكن حاجة الإمارة للمعونة المالية والفنية، والوضع الأمني الداخلي، وأزمة مناطق الجوار، والتواجد الفرنسي في المنطقة، شكل نقاط ضعف استغلتها بريطانيا لفرض سيادتها وسيطرتها على جهاز الحكم والإدارة في الأردن، خاصة أن حكومة فلسطين المنتدبة لم تكن راضية عن الروح الاستقلالية في الأردن، وكانت ترى أن من حقها أن تدير شؤون البلاد ما دامت الخزينة البريطانية هي الممولة.

وقامت بريطانيا عام (1923م) بتوحيد القوات العسكرية في شرقي الأردن تحت القيادة العسكرية البريطانية، ومراقبة جهاز الحكم الأردني، والرقابة على الإنفاق المالي من قبل المعتمد البريطاني وحكومة فلسطين ووزارة المستعمرات، وتعيين الكولونيل هنري كوكس ـ حاكم لواء نابلس ـ معتمدًا بريطانيا في عمان، ولكي تستكمل سلطات

1- الشرعة، إبراهيم، تاريخ الأردن وفلسطين، عمان، دار وائل، ط2، 2015، ص 33.

2- الشناق، عبدالمجيد، تاريخ الأردن وحضارته، ص169. والموسى، إمارة شرق الأردن، ص186.

3- انظر: الموسى، إمارة شرق الأردن، ص70.

الانتداب قبضتها على البلاد، عملت على إسناد رئاسة معظم دوائر الحكومة الأردنية إلى موظفين إنجليز، وبعض العرب جيء بهم على سبيل الإعارة من فلسطين[1]

وقد ألغت الحكومة الأردنية مبدأ الإعارة سنة (1939م)، بعد أن احتفظت ببعض هؤلاء الموظفين، بهدف الإفادة من خبراتهم الفنية، فتعاقدت معهم بصفتهم الشخصية وليس كموظفين معارين من حكومة فلسطين، ومن العدل والإنصاف أن نقول أن معظم هؤلاء العرب قدموا للبلاد خدمات نافعة يجب أن تذكر وتشكر.

التعليم في الأردن في العهد التركي

شهد التعليم في المنطقة العربية تراجعًا كبيرًا في العهد العثماني من حيث نوعية التعليم وجودته وتنظيمه، وأغفلت مناطق الريف والبادية التي تشكل غالبية السكان في المنطقة العربية يومها، وتناقصت أعداد المتعلمين، وتفشت الأمية في المجتمع العربي.

ولم ينل التعليم حظًّا إلَّا في مطلع القرن العشرين، قبيل فترة الحرب العالمية الأولى، ولأسباب منها إدراك الأتراك لأهمية المنطقة، وولاء وانتماء أهلها للخلافة، وشعور وتنامي الوعي الفكري والسياسي العربي، ورفض محاولات التجهيل والتهميش، والخلاف مع ولاة مصر الذين قاموا باستخدام الأراضي الأردنية للتواصل مع مناطق بلاد الشام؛ ومن أجل تبرير وجود القوات العسكرية العثمانية وحلفائها على الأرض العربية، دفعهم لإجراء بعض عمليات التنمية والتطوير في مجال التعليم؛ وإن جاء مقتصرًا على تعليم أبناء شيوخ العشائر والموالين للسلطة؛ لتطويع هؤلاء الأبناء وإعدادهم مستقبلًا للولاء للسلطان، لا للتعلم والمعرفة بحد ذاتها.[2]

وأصدرت الدولة العثمانية متأخرة عام (1869م) قانون المعارف[3]، والذي تضمن

1- المرجع السابق، ص 186-189.

2- محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص 147.

3- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص67-68. والصباغ، ليلى، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، ط1، 1999، ج2، ص308.

تشكيل مجلس للمعارف في الولايات أنيط به العديد من المهام الإدارية والتربوية، كإنشاء المدارس الجديدة، واختيار المعلمين، وتقسيم التعليم إلى المرحلة الابتدائية (مكاتب الصبيان) مدتها أربع سنوات، والمرحلة المتوسطة (الرشدية) مدتها ثلاث سنوات، المرحلة الثانوية (المكاتب الإعدادية) مدتها أربع سنوات حيث بدأت بفتح المدارس الأساسية في مراكز المدن، دون أي دعم حكومي، وكانت من مسؤولية الأهالي الذين يقدمون مساعدات مالية وعينية للمعلمين أيضًا.

وأنشأ العثمانيون في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مدارس ابتدائية في مراكز المدن الكرك، والسلط، وعمّان، وإربد، ومعان، والطفيلة؛ فيما أُنشئ البعض الآخر في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني مثل مدرسة عمّان (1916)[1]، ولم يكن هناك أي معايير أو أسس لاختيار المعلمين سوى إتقان اللغة التركية، وكان المعلمون من أشد الناس غلظة وجفوة.

أمّا في العهد الفيصلي (1918ـ 1920) فقد ازداد الاهتمام بالتعليم، وفتح المدارس، واتخذت الحكومة العربية قرارًا باعتماد اللغة العربية لغة رسمية في التدريس.[2]

وكان أهالي شرق الأردن يدركون أهمية التعلم والتعليم؛ رغم كل هذه التحديات، فعمدوا إلى نظام التعليم الأهلي المعروف بالكتّاب في المدن والقرى وإن كانت في غالبها مقتصرة على الذكور، كحلول مؤقتة وبديلة، تدُرّس فيها مبادئ الرياضيات والحساب واللغة العربية إلى جانب العلوم الشرعية، والمدارس المسيحية في البلاد، كان لها الفضل الأكبر في قبول الطلبة؛ مثل مدرسة الروم الأرثوذكس في الكرك.

فكانت الوسيلة الوحيدة لدى الأردنيين، لمكافحة الجهل، الأمية في مفاصل المجتمع، في الوقت الذي كان اهتمام السلطة الحاكمة بسط النفوذ وتأمين طاعة الرعية، وجمع الضرائب، وإخماد الثورات، والتجنيد الإجباري، ولم ينعكس حتى هذا

1- المحاسنة، هادي عبدالفتاح (بحث منشور)، أحوال التعليم في منطقة شرق الأردن في العهد العثماني، ص227.
2- الشناق، تاريخ الأردن وحضارته، ص251.

الاهتمام على أي مجال من مجالات حياة المواطنين، سوى بعث الخوف والخشية من ذهاب الأبناء إلى المجهول.

وقد زاد وعي الأردنيين ـ على المستوى الشعبي ـ بأهمية التعليم ودوره في السلطة والنفوذ، حينما أجريت انتخابات في مدينة الكرك لاختيار ممثل اللواء في مجلس المبعوثين العثماني، ونجح الشيخ قدر المجالي في الانتخابات؛ إلا أن الحكومة التركية ألغت عضويته في المجلس لأنه أميّ لا يجيد القراءة والكتابة.

لذا أخذ التعليم أهميته بين الزعامات المحلية وأصحاب النفوذ، وبدأوا يدركون أهمية ذلك في تثبيت أركان سلطتهم ونفوذهم ومستقبل أبنائهم، وأخذ كثير منهم يرسلون أبناءهم إلى دمشق، وبيروت للدراسة والتعليم.

ومما زاد من اهتمام المواطنين بالتعليم، في عهد الإمارة استقطاب الوافدين من العرب وغيرهم؛ لشغل المناصب القيادية في الإمارة، ومنافستهم الأردنيين، وخاصة مع تنامي مؤسسات الدولة المختلفة من عسكرية ومدنية وحاجتها إلى المتعلمين، مع حرص الأمير عبدالله على نشر التعليم، رغم التحديات.[1]

الأردن والتحديات الداخلية والخارجية

تزامن عمل العناني (1928 ـ 1933) معلماً في جنوب الأردن، أثناء سنوات التأسيس (1921 ـ 1928م) كشاهد عيان على التطورات التي شهدتها الإمارة في جميع المجالات، وسعي الأمير عبدالله والأردنيين الجاد لبناء دولة المؤسسات والقانون؛ بدءًا من إنشاء إدارة مركزية، مستعينًا بذوي الخبرة والمكانة من رجالات الأردن وأحرار العرب، وتوطيد الأمن في كافة المناطق، وإرساء سلطات الدولة الجديدة، ويلحظ الباحث ندرة الإشارات إلى أخطر التحديات الداخلية والخارجية التي عاشتها البلاد خلال

1- القسوس، عودة، مذكرات، ص53-54. والموسى، سليمان، من تاريخنا الحديث، ص169-171. وأبو الشعر، هند، تاريخ شرقي الأردن، ص 560.

الفترة السابقة من الغارات بين القبائل، وحركات العصيان والتمرد، والعصابات من قاطعي الطرق وأصحاب الإتاوات والخاوات، والخارجين على القانون في المناطق الخالية من السكان، فقد كان صمته وهو الذي عاش الحياة بكامل تفاصيلها؛ دليل واضح على تلاشي واختفاء الكثير من عوامل الفوضى وفقدان الأمن، ومحاولات الإدارة الناشئة السيطرة على الوضع، ومعالجة كل التحديات بالحكمة والتروي.

ومثلًا من خلال السرد والوقائع التي تحدث عنها كاتب المذكرات؛ يستشف الباحث حجم ونوعية التحديات التي واجهت الإدارة الأردنية، من دور المعتمد البريطاني والمستشارين البريطانيين في البلاد، ومستوى اتخاذ القرارات السياسية والإدارية، ودور أمير البلاد المؤسس عبد الله بن الحسين، في إدارة البلاد وتقريب العناصر الوطنية والعشائرية للسلطة المركزية الجديدة، وموقفه من البريطانيين وموقفهم منه أيضًا، وموقف الأهالي وشيوخ العشائر من سلطة الانتداب، وموظفي الدولة من خلال بعض الشخصيات التي تناولها الكاتب بمعرض حديثه. وزوال خطر (الأخوان) (الوهابيين) (1922ـ1925م)[1] عن الأراضي الأردنية؛ وبات خطرهم من ذكريات الماضي، بعد أن عملت الحكومة الأردنية بالتعاون مع العشائر للتصدي لغاراتهم المتكررة، وتوطيد الأمن على الحدود في العقبة، ومعان، والشوبك ووادي موسى بعد إلحاقها بالإمارة، وجهود الملك عبدالله المؤسس مع الملك علي بن الحسين ملك الحجاز في ضمها.

إضافة إلى موقف الإدارة الأردنية الجديدة أثناء حدوث الكوارث الطبيعية والبيئية من جفاف، وقحط، وانحباس الأمطار، وحدوث زلزال خلال الفترة من عام (1927م)[2] وقد أدّى إلى وفيات، وتدمير العديد من المساكن، وظلّ الناس في شرقي

1- العناني، عمر ، المذكرات: سمر البادية، ضرب المكانس، من يوميات معلم في البادية، عمان، دار وائل، 2001، ص 86. والموسى، إمارة شرق الأردن، ص147.

2- عقل، د. محمد، «سنة الهزة الكبيرة» 1927م، زلزال يضرب فلسطين والأردن، موقع عرب 48، تاريخ النشر 2013/4/17.

الأردن وفلسطين يؤرّخون لها باسم «سنة الهزة الكبيرة»، وسنوات غزو الجراد في الأردن منها عام (1927).[1]

وقد اشتملت المذكرات على قليل من التوضيحات والشروحات لبعض المفاهيم والمصطلحات؛ تعريفًا ببعض الأعلام أو الأماكن أو المصطلحات، وكان على الباحث عمل ملحق شروحات يوضح بعض المفاهيم والمصطلحات الواردة.

وقد تمنى العناني أن تأخذ هذه اليوميات والمشاهدات بالروح التي عاشتها وإطارها المكاني والزماني، واصفًا إياها لوحة فنية التقطها أثناء عمله مع الأهل والعشيرة، متمنيًا على المشاهد أن يأخذها بظلالها ويعيشها كما عاشها و كتبها قائلاً «إن أول عمل مخلص هادف لإصلاح الواقع هو معرفة الواقع بكل ما في هذا الواقع من مضحكات وبعدها الانتقال من هذا الواقع إلى واقع جديد أفضل».[2]

(الحركة الوهابية) «الإخوان»، وردت إشارة عن (الرجال السعوديين أهل اللفات البيض)[3]

الدعوة الوهابية أو (الوهابية) أطلقت على حركة دينية إسلامية قامت في هضبة نجد (منطقة الدرعية ـ الرياض) من أرض السعودية اليوم، في القرن الثامن عشر الميلادي على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (1703 ـ 1792م) إذ أعلن الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة التوحيد الدعوة (السلفية)، ومحاربة مظاهر الشرك واستغلال عوام الناس، متحالفًا مع الأمير محمد بن سعود لنشر الدعوة الوهابية.

وترى الحركة الوهابية أنها جاءت كحركة تصحيحية لتعاليم الدين الإسلامي، وما اعتراه من من تشويه وانحراف في المنطقة العربية، وبلاد الإسلام، وتنقية للكثير من

1- القضاة، أحمد حامد إبراهيم، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 11، العدد 2 ،2017م (الكوارث الطبيعية في إمارة شرق الأردن ـ الجراد كحالة 1928-1930)، ص 72.

2- العناني، مذكرات، ص5.

3- العناني، مذكرات، ص86.

العقائد والعادات والممارسات، وهي ليست من تعاليمه ومبادئه.

وأسست على إثرها الدولة السعودية الأولى والتي تمكنت من السيطرة على أجزاء واسعة من الجزيرة العربية، إذ قامت بمهاجمة نواحي من مناطق بلاد الشام، والعراق، واليمن؛ فشنت سلسلة من الحروب تكللت بتوحيد أجزاء من الجزيرة العربية، وأخضعت بلاد الحرمين لسيطرتها، وهاجمت مناطق من الأردن، استطاعت القبائل الأردنية صد هجمات الإخوان الوهابيين والانتصار عليهم في مواقع عديدة، وإزاء الأحداث المتكررة من قبل الحركة الوهابية رأت الدولة العثمانية ضرورة الاستنجاد بوالي مصر محمد علي باشا بعد أن شعرت بخطورة هذه الدعوة، .

وفي عام (1233هـ/ 1818م)، حاصرت قوات الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا عاصمة الدولة (الدرعية قريبًا من الرياض)؛ وتمكنت من السيطرة عليها، إلا أن الوهابيين وآل سعود تمكنوا من الانتصار في جولة أخرى، ورد القوات المصرية وتأسيس الدولة السعودية الثانية على يد الأمير تركي بن عبد الله بن محمد، وتمكنت من التوسع بشكل محدود، غير أنها سقطت بسبب الصراع والحروب الداخلية عام 1309هـ/ 1891م، ثم قامت الدولة السعودية الثالثة من جديد في أوائل القرن العشرين حاضنة للدولة السعودية الأولى والثانية عام (1902م)، تحت قيادة الأمير عبدالعزيز بن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية، والذي تمكن من استعادة مدينة الرياض ليؤسس إمارة الرياض، وتمكن من ضم منطقة الإحساء سميت (إمارة نجد والأحساء)، وتمكنت الإمارة من التوسع حتى استطاعت عام 1921م السيطرة على إمارة حائل، وأصبحت تعرف باسم سلطنة نجد وملحقاتها، ومن ثم مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها واستمر الاسم قائماً حتى إعلان قيام (المملكة العربية السعودية) عام 1932م.[1]

1- انظر: عبدالرحمن، عبدالرحيم، عبدالرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط5، 1990م، ص102. والريحاني، أمين، «تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها»، بيروت، ط8، د.ت، ص55. وحسن، عبدالفتاح بو عليه، تاريخ الدولة السعودية الثانية 1256-1309هـ/ 1840-1891م، الرياض، دار المريخ، 1991م، ص280.

الفصل الثاني

العناني في مضارب
الأهل والعشيرة في الكرك

العناني المتهم بقضية موت الفرس الكحيلة

أطلق الأردنيون مصطلحات متنوعة على سلالات الخيل، وهي: بيوت الخيل، أرسان الخيل، سلايل الخيل، أصول الخيل، ويشير هذا التنوع بالمفردات؛ إلى عمق وعراقة تاريخ الأردنيين مع الخيل، والفروسية وميادينها، وبذات سياق المصطلحات؛ إذا قال الأردنيون (فرس) قصدوا بذلك الأنثى من الخيل، وإذا قالوا (احصان) قصدوا الذكر من الخيل، ولا يجمعون لفظ الفرس على أفراس بل يقولون (خيل)، ويجمعون الحصان على (حِصِن)، ولا يقولون (أحصنة).[1]

من أنواع الخيل العربيه الأصيلة:[2]

1. اكحيلة ـ الجمع كحيلات، سميت بذلك لِكَحلٍ في عينيّ جدة هذه السلالة، ويضرب بها المثل بجمالها، وسرعتها، ورشاقتها، وخفة حركتها، وتعد من أفضل الخيول العربية المُخَصّصة للركوب، تتميز بكبر حجمها، وضخامة عضلاتها، ويغلب عليه اللون البُنّي. ويدعى الحصان كحيلان.

2. المِخلديَّة ـ الجمع مِخلديات، بإعطاء اللام شيئًا من التضخيم، ويقصدون بذلك

1- انظر: العزيزي، روكس بن زائد، الخيل في حياة الأرادنة/ ص56.

2- انظر: الملك عبدالله الأول بن الحسين، جواب السائل عن الخيل الأصائل، وزارة الثقافة، 2011 ، ص12. والعزيزي، روكس، الخيل في حياة الأرادنة، ص75. والعناني، مذكرات، ص8.

التعظيم، والمخلدية نسبة الى خيل خالد بن الوليد.

3. مِعْنقِيّة ـ الجمع معنقيات والحصان معنقي، سميت سلالتها بهذا الاسم لطول عنقها، ورشاقة جسمها، وهي تامة الخلق طويلة العنق، بشكل يتناسب مع قوامها!.. ومن هنا جاءت تسمية هذه السلايل من الخيل بالمعنقيات!

والخيل العربي من أقدم سلالات الخيول وأفضلها لقدرتها على الركض مسافات طويلة، وجمال شكلها، وخفتها، وتتميز برأسها الطويل، وذيلها المرتفع، وجبهتها العريضة، ومنخرين كبيرَيْن، وفماً صغيرًا، وعنقها ذات شَكْل مُقوَّس، ولها قصبة هوائية كبيرة، والمعظم منها جسمها مُقعَّر، للكثير منها حدبةٌ بسيطةٌ بينً عينيها، وهي جيبٌ يساعدها على التعايش مع البيئة الصحراوية وقساوتها. وهي تمثل رمز الوجاهة والعز والغنى والنسب، وعنوان تباهي وفخر لمن يملكها، وهي لهم بمثابة السيارات الفارهة اليوم، لذا رأى العناني أن يركب خيلًا للحفاظ على مكانته كمعلم، فنرى ما حدث!!!

عندما عين العناني معلماً في قرية المزار من متصرفية الكرك عام (1928م)، لم يكن من وسيلة مواصلات ونقل، سوى الدواب والخيول، ولا بد من الذهاب إلى الكرك لاستلام الراتب الشهري، يتساءل العناني ما وسيلة النقل التي سوف يستخدمها؟؟ هل يستخدم حمارًا أم بغلًا، ربما يجلب له الاستهزاء والسخرية من تلاميذه في المنطقة!!! هل يستأجر فرسًا!!! إلا أنه غير معتاد، ولم يسبق له ركوب الخيل.

أخذته العزة بالإثم على أية حال، فاستأجر فرسًا (الكحيلة)[1] تعود في ملكيتها للشيخ منيزل النوايسه ـ أحد شيوخ منطقة المزار ـ وعندما هم بامتطائها؛ تعالت ضحكات التلاميذ وقهقهاتهم!، لم يدر بخلد العناني أن هناك أصولًا وقواعد للخيل والفروسية، ركب العناني الفرس على غير المعتاد في ركوب الخيل، والمتعارف عليه، لقد امتطى (الكحيلة) من الجانب الأيمن، والأصل من الجانب الأيسر، وأصبح مثار

1- العناني، مذكرات، ص 7 ـ11.

حديث أهل المزار واستغرابهم وسخريتهم.

وما كان من العناني بعدما توارى عن أعين الناس ـ على حد قوله ـ حتى نزل عن ظهر الجواد، وركب قدميه، ووصل الكرك، ليبيت ليلته ضيفًا على مدير مدرسة الكرك الثانوية السيد حسن أبو غنيمة ـ أحد الرواد التربويين في عهد الإمارة سيأتي الحديث عنه ـ ، وفي الصباح فوجئ عندما أراد إعلاف (الكحيلة) بموتها، وعند إحضار الطبيب البيطرى ـ بعد نصيحة مدير المدرسة العارف بالعادات والتقاليد، ومكانة الخيل لدى العربي، بضرورة التقرير الطبي بسبب الوفاة تجنبًا لأي مشكلة قد تحدث، وقد أفاد التقرير الطبي بأن «وفاة الكحيلة ناتج عن إصابتها بتلبك معوي» ـ . وعندما رجع العناني إلى مضارب الشيخ وأخبره بوفاة الكحيلة... ويا لهول الخبر.. صاعقة، نزلت على رأس الشيخ ـ . وفقدان مؤلم، ونازلة غير متوقعة على الأهل والصغير والكبير، ولسان حال العربي عادة ما يقول:

إذا ما الخيل ضيعها أناس ربطناها فشاركة العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

ـ يستلهم القارئ من حديث الشيخ منيزل النوايسه عمق الألم وفداحة المصاب بموت الكحيلة مخاطبًا العناني بقوله: «هل تعلم بأن هذه الكحيلة!!.. هل تعلم نسبها وحسبها.. أنها من خيل بني هاشم، وابنة عمتها ـ المخلدية (فرس خالد بن الوليد)، لكن الكحيلة أعلاها نسبًا وحسبًا، الله يكون في عونك على حملك (حملك: ما وقع عليك من مسؤولية).. أما وقد ماتت الكحيله، فالعرف السائد أن الجاني والمتسبب بالموت ليس مكلفًا بدفع ثمن الكحيلة وحدها، بل عليه أن يدفع ثمن مثانيها وفوائضها (أي بناتها وحفيداتها) للمالك، ولمن له حق في ذريتها، والتي قد تصل إلى أربعين مهرة (صغير الخيل)، فالمرء العربي يعد صهرًا لمن يبيعه مهرة أكثر ممن يزوجه ابنته».[1]

1- العناني، المذكرات، ص 8ـ9.

ونرى ذلك من خلال الحوار المتشنج بين النوايسة والعناني (المتهم) بقتل الكحيلة؛ كل يدافع عن وجهة نظره.

ويقول العناني: «وما ذنبي في الأمر؟؟ ولم هذه المقدمة الطويلة العريضة؛ إذا كانت المرحومة قد ماتت بقضاء الله وقدره!!.. اتق الله يا شيخ منيزل.. إنني لم أركبها طويلًا، وقد ترجلت عنها حالما تواريت عن البلد فأنا لم أعتد ركوب الخيل».[1]

الشيخ: إن فرسي الكحيلة تحوي محاسن الخيل لأن فيها الثلاث الواسعة ـ وهي من صفات الخيل الأصيلة عادة ـ وهي أنفها وصدرها وحافرها، والثلاث القصيرة وهي، أذنها، و»قينها» (وهو موضع القيد في قوائمها)، وذيلها.. أما الثلاث الطويلة وهي عنقها وساقها ومعرفتها (شعر رأسها وعنقها)... ثم يضيف النوايسه قائلًا: أنك قتلتها، وأنت تسابق عليها في الميدان.

العناني: سل أهل مؤتة الذين مررت بهم في طريقي.... هل كنت أقودها أم أركبها[2] .

لم يقتنع الشيخ النوايسه ببراءة العناني من دم الكحيلة، وما كان على العناني إلا أن يحاول مرة أخرى مع الشيخ!!

حاول العناني ووجهاء المزار الصلح ودفع ثمن الكحيلة، بعيدًا عن المحاكم، لكن المحاولة فشلت، ووصلت إلى طريق مسدود أمام تعنت الشيخ، الذي قال مستهزئًا باللهجة الكركية (يا حليلك يا هالعوس) ـ يقصد سخافة العرض، ثمن الكحيلة وحدها!!! ـ وأخيرًا بعد أخذ ورد ورحمة وشفقة بالعناني طرح النوايسه عرضًا بقوله: «رحمة بك ثمنها عشرون دينارًا، وثمن مثانيها ـ أي ذريتها ـ مائتا دينار».[3]

ولما كان راتب المعلم ـ كما ذكر العناني ـ خمسة دنانير (وهو الأعلى في رواتب

1- م.س، ص 8.

2- م.س، ص 7.

3- م.س، ص9.

موظفي الدولة الأردنية)، كان عليه العمل أربع سنوات كاملة لجمع ثمن الكحيلة وذريتها، وبعد إصرار، ورفض، وتعنت الشيخ؛ سارت القضية إلى المحكمة، وبعد إطلاع المحكمة على كافة البيانات والأدلة، حكم رئيس المحكمة عبدالحي مراد ببراءة العناني من دم الكحيلة. وأثناء الجلسة، وبعد تلاوة قرار البراءة من المحكمة، حدث هرج ومرج بين الحضور ترى ما الأمر!!!

ذكر العناني ـ على حد قوله ـ أنه دخل قاعة المحكمة رجل مهيب لايعرفه اهتزت له جنبات القاعة... وقف الجميع ... يقولون رفيفان باشا... رفيفان باشا، وينهض رئيس المحكمة، وأجلسه إلى جانبه على منصة المحكمة، (إنه ارفيفان باشا زعيم حكومة الكرك سابقًا، وأحد زعامات عشائر الكرك ـ سيأتي حديثٌ عنه لاحقًا)

تبدأ حوارية الباشا إرفيفان[1] ورئيس المحكمة عبدالحي مراد، تبين بعض الضغوطات الاجتماعية التي تتعرض لها الزعامات المحلية، على إثر العادات والتقاليد والأعراف السائدة ، وكدليل على نزاهة القضاء الأردني في بواكير نشأة الإمارة واستقلاليتها رغم التدخلات المحلية والاستعمارية.

يستشف الباحث من خلال حوار الباشا إرفيفان مع رئيس المحكمة عبدالحي مراد أنه جاء بناء على دخالة الشيخ منيزل النوايسه عليه يقول الباشا: «اسمع يا شيخ عبدالحي.. منيزل النوايسه، وضع مريره ـ عقاله ـ في رقبتي وشاهد علي، يلزم أن تحكم الخطيب العناني في ثمن ـ الكحيلة وتوابعها ـ ، ورغم تأكيد رئيس المحكمة على صدور الحكم ببراءة العناني وتسجيله في محاضر المحكمة قبل قدوم الباشا، وأنه لا يجوز تغيير قرار المحكمة النظامية، إلا أن الشيخ إرفيفان باشا طالب بتغيير الحكم وإلغائه مؤكدًا على دخالة الشيخ منيزل عليه، مهددًا رئيس المحكمة بالنقل عقابًا لعدم انصياعه لطلب الباشا؛ وكان ما أراد الباشا ونقل القاضي ـ كما ذكر صاحب المذكرات ـ ، ثم استأنف الشيخ منيزل الحكم، فجاء الحكم كما حكمت المحكمة سابقًا، وحكم على

1- العناني، المذكرات، ص 10.

الشيخ منيزل بمصاريف المحكمة وأتعاب المحامي. [1]

النظرة الاجتماعية للسرقة (سرقوني فسرقتهم)[2]

يتغلغل الاعتماد على النفس في حالة النزاعات في ظل غياب السلطة المركزية، سواء أكانت المسأله سرقة مال أو عقار، أو ادعاء ملكية أرض، أو التسبب بأذى جسدي، أو حدوث قتل، وعندما يشعر رجل أو (جماعة) أنه مظلوم ويرغب في أن تقوم الجهات القضائية التقليدية برفع ذلك الظلم عنه؛ فإن عليه أن يقيم ادّعاء من خلال سرقة مضادة، أو تهديدًا بالعنف للوصول إلى تسوية وصلح أو استرجاع ما فقد منه، فالاعتماد على النفس يسير متلازمًا مع الطبيعة الضعيفة للسلطة في النظام التقليدي، وضعف السلطة المركزية.

وعلى الرغم من أن السرقة مخالفة للقيم الحضارية، وليس أدلّ على ذلك من تسمية السارق (الخاين) أو (الحرامي) باعتباره قد خان المجتمع، والعقوبات المشددة له في النظام التقليدي، يستنكر الناس السرقة، ويتطيرون من مالها، فيقولون (إن مال الحرام يسحق مال الحلال)، أي أن مال السرقة يضيع ويضيع معه مال الحلال.

وعلى الرغم من هذا؛ هناك نوع من السرقة مسكوت عنه، بل مباح في مجتمعات الريف والبادية في تلك الفترة وهي: ما يطلق عليها (سرقة رد النقا)[3]؛ لأن السرقة قد تقع على مال فرد أو جماعة من عشيرة معادية، أو خصوم آخرين، وهو نوع من الغزو البسيط.

ولكل فرد من العشيرة أن يستعمل جميع الطرق من أجل سرقة مضادة؛ لأن الظروف غير الطبيعية، سواء بين الأفراد أو الجماعات من هاتين المجموعتين؛ تجعل السرقة مشروعة عرفًا، بل أمرًا مباحًا، والقيام به واجب يُكلف به أي فرد من أفراد

1- م.س، ص 12ـ24.

2- م.س، ص 25.

3- انظر: أبو حسان،محمد حمدان، تراث البدو القضائي، وزارة الثقافة، ط5، 2017م، ص492.

القبيلة، والسارق يكون مجال اعتزاز العشيرة وفخرها؛ لأنه حقق بهذا العمل نصرًا، وانتصارًا للعشيرة، ولا توجد أية عقوبة، وتدخل في باب الثأر أو رد النقا..... ويعني رد النقا (المعاملة بالمثل مع إعلان الحرب، أو الخصومة).

ومن المتعارف عليه في القضاء العشائري، في قضايا السرقة القاعدة المعروفة (البينة على المدعي واليمين على المنكر)، مراعيًا ظروف القضية، أما إذا لم يستطع المدعي إثبات دعواه فإنه يكون مخيرًا باتباع أحد الأمور التالية:[1]

1- للمدعي أن يطلب حلف اليمين من المتهم بالسرقة، فإن رفض المتهم ذلك يحكم عليه بالسرقة.

2- للمدعي أن يطلب تبشيع المتهم(البشعة) فإن رفض ذلك يحكم عليه القاضي بالسرقة ـ فيما بعد ألغي مثل هذه الأمر، في القضاء العشائري (ستشرح لاحقًا) ـ.

3- كما أن للمدعي أن يلجأ إلى تكليف المتهم بأن يسلك طريق التنقيط أو التوسيد، (التنقيط أو التوسيد إحدى وسائل الإثبات للجريمة عند العرب في حالة عدم وجود الإثباتات والأدلة) و يلتزم بالنتيجة.

ويعنون العناني ما حدث معه بعد عودته في السنة الثانية من عام (1929م)[2] إلى مركز عمله في المزار وتعرضه للسرقة (سرقوني فسرقتهم) من أحد مرتب مخفر المزار، فكان شفافًا وواضحًا وصريحًا مع نفسه في طرح القضية التي تعرض لها شخصيًّا، وكيف كانت ردت الفعل لديه، وإصراره على القيام بالثأر ممن سرقه، وإعادة المسروقات.

وقد تبين من سرد العناني لمجريات الحادثة الدور الفعال للإدارة المحلية الأردنية في تقديم الخدمات المناسبة للمعلم ومدى ما يتمتع به من مكانة لدى الدولة والأهالي؛

1- انظر: أبو حسان، تراث البدو القضائي، ص495.

2- العناني، مذكرات، ص495.

وذلك من خلال ما قامت به متصرفية لواء الكرك ودوائرها المختلفة، وبيان عملية التنسيق بين الدوائر في الإدارة المحلية على الرغم من بداية نشوء الإمارة الفتية وأجهزتها، ولقد رأى متصرف الكرك آنذاك أن من واجب الدولة توفير السكن الملائم للمعلم الوحيد في القرية، وإبعاده عن الشعور بالوحدة والغربة ـ كون المعلم من فلسطين ـ وعمل من خلال قائد مخفر المزار بتوفير السكن حتى ولو كان في المركز الأمني، لصعوبة توفير السكن في قرية لا يزيد عدد البيوت فيها عن عشرين بيتًا، كون معظم سكانها يعيشون في بيوت الشعر، ولا يقطنون قريتهم إلا في أوقات محدودة من موسم الشتاء، وتخلوا من أماكن السكن والترفيه والضيافة، وهذا ما تم من توفير السكن في مركز أمن المزار. مما دعى قائد مخفر المزار بتوفير سكن داخل المخفر للمعلم العناني والمبيت مع الجند من مرتب المخفر.

وجد العناني الترحيب والتكريم والحفاوة من قائد المخفر ورفاقه، وقيامهم بعمل وليمة له، إذ أنه يعد (ضيف لحم)، وليس غير ذلك، إذ كان من العادات والتقاليد العربية حسن الضيافة وتكريم الضيف بما يتناسب مع مكانته، واحترامه وتقديرًا لدور المعلم وأثره في المجتمع وحرص الدولة على توفير كافة سبل الراحة له.

ولما كانت بلدة المزار ومؤتة تخلو من أماكن الترفيه وقضاء وقت الفراغ، وتقتصر على وجود عدد محدود من المحلات التجارية، بعض أصحابها تجار من البلدان العربية المجاورة، لأن النظرة التقليدية لدى بعض أهل الجنوب بما فيهم أهل الكرك؛ كانت تعوقهم إلى حد ما عن ممارسة بعض أنواع التجارة؛ فقد كان بعضهم يعتبر التجارة والبيع والشراء عيبًا، إذ أن يكون المرء تاجرًا معناه عدم الأمانة، وبيع منتجات رديئة على أنها جيدة، وزيادة الأسعار، ثم على الشخص أن يكون غشاشًا لينجح في التجارة؛ فكان بائع الخضار والفاكهة من نابلس، وتاجر آخر من الخليل، وتاجر من بلاد نجد، وتاجر كركي صاحب دكان يسمى فارس الصرايرة، وآخر يسمى فلاح النوايسه، وصاحب مطحنة مؤته كركي يسمى محمد العلاوي. وكان العناني يقضي بعض أوقات الفراغ مع أصحاب المحلات يجاذبهم أطراف الحديث والسمر، وهي عادة

منتشرة في الريف لخلو المنطقة من أماكن الترفيه وقضاء أوقات الفراغ.[1]

وفي ذات يوم كان العناني جالسًا أمام أحد المحلات التجارية، دخل كاتب مخفر المزار؛ يحمل ورقة نقدية من فئة الخمسة جنيهات يريد صرفها، وإذا بها مطوية بطريقة تشبه طوي نقوده، ولم يخطر ببال العناني أنها من نقوده ـ على حد قوله ـ ، وأنه قد تعرض للسرقة ممن؟ من أحد مضيفيه!!!

وكان العناني يملك من النقود خمسة جنيهات ذهبية، وخمسة جنيهات ورقية قطعة واحدة، وثلاثة جنيهات ورقية، وأنه وضع القطع الذهبية في أسفل الحقيبة، والثلاثة الأخرى في أعلى الحقيبة، وزيادة في الحيطة طوى الأوراق النقدية من قرنها على شكل مثلثات فيما إذا فقدت يتم معرفتها.

وقد أشار العناني أنه أقتدى بنصائح أستاذه مصطفى الدباغ[2] ـ وهي الإشارة الوحيدة إلى أحد أساتذته في فلسطين، وسيأتي ذكره فيما بعد ـ بقوله على لسان أستاذه: «لا تضع نقودك في جيب واحد، وضعها في جيوب متفرقة». وبعد أن تأكد كاتب المذكرات من فقدانه لفئتي خمسة جنيهات قطعة واحدة، والثلاثة جنيهات، وقيام المذكور بشراء مسدس ألماني من المبلغ المسروق، ويقر العناني أنه لم يكن باستطاعته أن يفعل شيئًا، وخاصة أن المتهم أحد أفراد المرتب الأمني، وجرى العرف أنه في حال لم يستطع المدعي إثبات دعواه، وليس لديه ما يكفي من الأدلة والإثبات؛ يطلب من المتهم حلف اليمين، فإن رفض المتهم ذلك يحكم عليه بالسرقة من قبل القضاء العشائري إذا ما عاد الأمر للقضاء العشائري أخبر العناني قائد المخفر بالأمر، والآخر ليس باستطاعته أن يفعل شيئًا سوى أن يحلف الجنود اليمين (البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر)، وحلف الجند اليمين جميعًا، والوحيد الذي غضب واستشاط غضبًا بعد حلف اليمين المتهم مبديًا اعتراضه، وعلى أثر هذا الموقف خرج العناني

1- العناني، مذكرات، ص12.

2- م.س.، ص 12.

مقررًا عدم المبيت في المخفر، واتخذ من سطح مطحنة محمد العلاوي سكنًا، مصرًّا على الرد والثأر لمفقوداته مهما كانت النتيجة، وهو يعلم ما سيكون من نتائج، خاصة أن الطرفين موظفو حكومة، ومحكومون بالقانون والأنظمة المعمول بها، في وقت كان القضاء العشائري معمول به أيضًا.

وقد عرف العناني ـ خلال فترة مكوثه في المخفر ـ البرنامج الأمني لفرقة المزار آنذاك والتي يبلغ عددها (20) جنديًّا، وأن هناك جولات ودوريات تفتيشية ليلًا، ويستشف الباحث ـ من سرد العناني ـ أن هناك ضبطًا وربطًا أمنيًّا وحرص الدولة في ـ مرحلة تأسيس الإمارة ـ على توطيد الأمن في ربوع منطقة الكرك وجوارها من خلال هذه الجولات.

من هنا بدأت المعركة في نفس ووجدان العناني وقراره الانتقام والثأر والتخطيط لسرقة من اعتدى عليه وخانه بعرف البادية (الخائن)، وما عليه إلا (رد النقا) والمعاملة بالمثل، وأن مثل هذا السلوك مسكوت عليه في عرف المجتمع آنذاك في حالة الاعتداء أو الإيذاء للأفراد أو الجماعات، وربما يكون مصدر فخر للأفراد والجماعات في حالة نشوب خلافات ونزاعات وتعدي بين الأفراد والجماعات في ظل غياب السلطة المركزية.

وقد نفذ العناني ما يجول في فكره من روح انتقامية وثأرية، وداهم المركز في منتصف الليل مستغلًا خروج العسكر في دورياتهم التفتيشية الليلية، وكان المركز خاليًا إلا من كاتب المخفر المعني، والذي كان يغط في سبات عميق، ويصور العناني تلك اللحظات وما في النفس من لواعج خوف ورهبة، وحذر، وخطر وهو يدخل مركزًا أمنيًّا، لا سيما إذا قبض عليه، وأساليب التعذيب والتنكيل المتبعة، والتفنن فيها؛ والتي لا زالت معمول بها منذ العهد التركي. لكنه في نهاية المطاف استطاع أن يحصل على مبتغاه البندقية والمسدس المسروق، وإخفاء المسروقات في منطقة البيادر وتحت القش (التبن).

وأخذ العناني على نفسه عهدًا أن لا يمكن أحدًا منه، وقد جرت له بعض المطاردات من قبل الجند، لكنه استطاع التخلص منهم؛ والذي ساعده في الهروب من قبضتهم صغر سنه إذ كان لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، ونشأته القروية في مدينة الخليل وحلحول، واشتراكه في سباق العدو والجري في مدارسها.

وكأني بالعناني وهو يشرح جو الخوف والرهبة النفسية التي يعيشها في تلك اللحظات؛ يترجم لنا بصورة فنية أقرب إلى الواقع آنذاك، وهي مشاعر الإنسان العربي في ظل الاحتلال والسيطرة الأجنبية و سيطرة الاتحاد والترقي تارة، والسيطرة البريطانية تارة أخرى؛ والخوف من السلطة القمعية ورفضهم أساليبها، وكان لسان حال المواطن المسكين يقول: (السلطان من لا يعرف السلطان)، والتي لا زالت بقايا جذورها من الفزع والخوف والرهبة في ـ بداية تأسيس الإمارة ـ ماثلة في نفوس الناس كرهًا وحقدًا، والعناني ـ ابن فلسطين ـ التي لا زالت تعيش ثورة 1929م[1]، ليس ببعيد؛ مما دفعه الى أن يسلك سبل عدة في طلب الحماية والنصرة أثناء ملاحقة السلطات له وطلبه؛ فنراه يطلب الحماية والنجدة من أحد مشايخ المنطقة قائلًا له: «يا شيخ أنا طنيب عندكم ومعلم لأولادكم.وحمايتي واجبة عليكم»، وكان الرد من الشيخ: «أنت وهم أبناء حكومة، ونحن لا شأن لنا بكم»[2] والذي أبدى معارضته، وبأنه خلي طرف ـ سنشرح لاحقًا مصطلح «الطنيب» و«الدخيل».

حتى جاء الفرج متأخرًا على ـ حد قوله ـ في الساعة الثالثة مساء بعد اقتحام الجند منزل أحد تجار المزار النجدي محمد الفوزان ـ وكان متخفيًا فيه ـ ولم يتمكنوا منه للموقف الذي أبداه التاجر وزوجته في حمايته حينها، وقدوم الشيخ محمد منيزل القطاونة باحثًا عن العناني يقول العناني: «خرجت لأني أعلم أنهم لن يمسوني بسوء طالما أنا معه؛ لما له من المنزلة ولما يتمتع به من الشجاعة والشهامة، ومن المنزلة عند

1- جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، دار الشروق، بيروت،1998، ص 162ـ198.

2- العناني، مذكرات، ص 18.

سمو الأمير عبدالله هذا هو حاتم طي ذلك العصر، والحديث عن كرمه يحتاج إلى كتاب خاص». ـ على حد قوله ـ والشيخ محمد منيزل القطاونه ـ حقًّا كما ذكر العناني ـ فهو أحد زعامات الكرك، اشتهر بمواقفه مع الثوار في الأردن وفلسطين ضد الإنجليز، وشارك بالثورة ضد الحكم التركي (الهيه)[1]، واشتهر بالكرم حتى أطلق عليه لقب (حاتم طي الكرك)، وذاع صيته في الحجاز وبلاد الشام وغيرها من المنطقة العربية.

ويذهب كل من الشيخ محمد بن منيزل القطاونة والعناني إلى المخفر ويقول العناني: «ألقيت السلاح وسرت بجانبه إلى المخفر وسار خلفي أربعة جنود مدججين بالسلاح دخلنا المخفر فقال أبو السيد (محمد منيزل) مخاطبًا قائد المخفر: «لقد بلغني من ابني الطالب في المدرسة ما فعلتم بالأستاذ وأنا أنزل(أسكن) ـ كما تعلمون ـ على رأس وادي الحسا فجئت خصيصًا من أجل هذا الأمر ماذا يقول الناس عنكم وأنتم عشرون جنديًّا تطاردون عيلًا (ولدا صغيرا)»[2]

ونورد معظم ما تم من حديث من الشيخ القطاونة، لأهميته في تفهم السلطات الأمنية منذ بداية التأسيس للمجتمع المحلي، والزعامات الجادة المؤثرة في مجتمعها والتي تنال احترام السلطة والأهالي.

وتداول الشيخ الحديث مع قائد المخفر الذي أجاب: (إننا لا نريد منه شيئًا وكل ما في الأمر أنه سرق من المخفر مسدسًا وبندقية، ونريد أن نأخذ إفادته ـ أقواله ـ)[3]، وما كان من الشيخ محمد، كما يصف الكاتب «إلا أن أخرج مسدسه»[4]، ويصف العناني ذلك بقوله: «وكان نصابه يبرق لأنه مطعم بالفضة وقال» هذه (ردنتي) أي مسدسي خذوها بدل مسدسكم وهذه بندقيتي «وكان نصابها هي الأخرى مطعما بالفضة»

1- السوارية، نوفان، والطراونة، محمد، إضاءات جديدة على ثورة الكرك (1328هـ/ 1910م)، ط1، الأردن، الكرك، دار رند للنشر والتوزيع، 2000، ص36 ـ 38.

2- العناني، مذكرات، ص21.

3- انظر: العناني، مذكرات، ص21.

4- م.س، ص22 ـ23.

خذوها بدل بندقيتكم». ثم استطرد قائلًا «أنه أستاذ يعلم أولادنا وهو ضيف علينا وعليكم». فأجاب قائد المخفر «تسلم يا أبا السيد لا نريد منك شيئًا وإنما نريد أخذ إفادته ـ أقواله ـ».[1]

فقال الشيخ (خذوا إفادته)، ولكن قائد المخفر أبدى أنه لا ضرورة لها اليوم (لا لزوم لها اليوم ولكن غدًا سنأخذ إفادته)، ربما كانوا يبيتون له أمرًا ومكيدة ولا يستطيعون تنفيذها بحضور الشيخ صاحب الهيبة والمكانة المحترمة والسمعة الطيبة وهذا ما تم لاحقًا في المطاردة الأخيرة بعد انتهاء اللقاء مع الشيخ محمد منيزل وتأكيده لقائد المخفر على حماية العناني قائلًا «أنه في وجهي»..... وهذه الكلمات لها تبعاتها عند القضاء العشائري الذي كان نافذًا ومعمولًا به إلى جانب القضاء المدني.

أما العناني فقد استغل الفرصة بحضور الشيخ محمد منيزل وفي ظل حمايته، فتناول أمتعته، وحقائب كانت له، وينقلها لإحدى المحلات التجارية في بلدة المزار، إذ لا مجال بالتأكيد للمبيت في المخفر بعدما حدث ما حدث، والخوف كل الخوف مما سيحدث لاحقًا وفي غروب شمس[2] ذاك اليوم كما يشير العناني تم طلبه من قبل المركز الأمني، لكنه تمكن من الفرار بالمصادفة هذه المرة عبر السيارة اليتيمة العائدة إلى الكرك والتي تصادفت مع هذه اللحظات المخيفة في ذهنية العناني لما كانت تكتنز مخيلته وذاكرته من وحشية التعذيب وتنكيل من قبل السلطات القائمة البريطانية في فلسطين والأردن.

لقد تنفس العناني الصعداء بوصوله إلى الكرك وعلمه؛ بالإجراءات الأمنية الفورية التي اتخذت بحق الجند من مرتب مركز المزار، إذ تم سجنهم جميعًا، وما على العناني إلا أن يعود إلى مدرسته دون خوف أو وجل.

وينقل العناني فحوى الاتصال بين رئيس محكمة الكرك، مع قائد مقاطعتها والإجراءات التي اتخذت، والذي جرى على مسمعه (فقال صدقي باشا: أن جميع

1- م.س، ص23ـ24.

2- العناني، مذكرات ص24.

«مرتبات» أي جنود المزار قد وضعوا في السجن العسكري، فليعد إلى مدرسته ولا يخشى أحدًا، وفي الصباح سألت القادمين من المزار فأخبروني أن جميع جنود المخفر قد نقلوا من المزار، واستبدلوا بغيرهم فذهبت إلى المدرسة»[1]. ويدهش الباحث في تاريخ الإمارة الفتية مثل هذه الإجراءات الإدارية الفورية المتقدمة في الحفاظ على كرامة الإنسان الأردني، والتأكيد على واجبات الأجهزة الأمنية في ظل ظروف سلطة الانتداب التعسفية، وسلطة الأتراك التي ليست ببعيدة عن موظف الحكومة والناس وعدالة القضاء الأردني ونزاهته.

ويذكر العناني أنه أجريت له محاكمة بتهمة السرقة والسطو على دائرة حكومية، ومركز أمني، وقد أعد الخصم (الجنود) كل البراعة الحقيقية والشهود كانوا حراس القرية ـ كانت مهمة هؤلاء حرس القرية حمايتها من اللصوص والحرامية ليلًا ونهارًا، وكانت تدفع مخصصاتهم من الأهالي ـ وفي النهاية يقول العناني أن حبل الكذب قصير، وقد قامت المحكمة بتبرئته.[2]

ولكن ما مصير البندقية والمسدس يا ترى؟؟؟؟؟؟

يذكر العناني ثورة (1929م) الفلسطينية في سياق حديثه عن مصير البندقية والمسدس[3]، وهذا ما كان بالفعل تاريخيًّا لقد كان يتم دعم الثوار في فلسطين بالأسلحة والذخائر تبرعًا وشراءً من الأردن وأهله. فقد عاشت فلسطين إبان ثورة (1929م)، أهوال الإجرام البريطاني وسياسة العصابات الصهيونية المتطرفة، وعمدت السلطات البريطانية بالتعاون مع العصابات الصهيونية في فلسطين إلى فرض سياسة الأمر الواقع من السيطرة على الأرض، والإنسان، من قتل وتشريد وتهجير، ومصادرة الأراضي، ومنع كافة سبل العون والإمداد والمساعدة، والتضييق على أي مدد يأتي من شرقي

1- م.س، ص23.

2- العناني، مذكرات ، ص 24.

3- م.س، ص23.

النهر سواء ملاحقة جماعات المجاهدين، والمناضلين الراغبين في الالتحاق في صفوف الثوار في فلسطين، ورصد كافة التحركات بين الأردن وفلسطين عبر النهر والبر، ومتابعة مصادر المدد من عتاد وأسلحة وذخائر، وملاحقة المتطوعين والمجاهدين القادمين عبر الأردن، والضغط على الإدارة الجديدة في شرقي الأردن بمختلف الوسائل والسبل.

لقد أشار العناني أنه تعرف على تاجر من تجار المزار من مدينة الخليل، وكان متحمسًا له في موضوع محاكمته لأنهما كلاهما من الخليل، فسلمه العناني البندقية والمسدس، فباع البندقية بثلاثة جنيهات، وأرسل المسدس مع ابنه ليباع في فلسطين لأن ثورة عام 1929م كانت مستعرة، والثوار وأهل فلسطين بحاجة السلاح.

عاد الابن من فلسطين، ليخبر والده والعناني، وليقدم مبررًا لطمعه وجشعه وخيانته الأمانه بقوله «أنه بينما كان يخوض نهر الأردن ليقطعه الى فلسطين، إذ بالجنود البريطانيين يداهمونه، فألقى المسدس في النهر».[1]

كان مبررًا لوالده والعناني مقنعًا؛ لما عرفه الجميع عن السلطات البريطانية ومتابعتها شديدة السطوة على المنافذ البرية والبحرية الأردنية، ومحاصرتها للجانب الأردني، خاصة في ظروف ثورة 1929م.[2]

وعلم العناني أثناء زيارة للخليل لاحقًا، أن المسدس قد بيع في منطقة الخليل بقيمة خمسة جنيهات.. وعند عودته إلى الكرك، بلغ من قبل إدارة المعارف بالنقل إلى قرية بصيرة من منطقة الطفيلة، فقام بشراء مجموعة من الأغراض بقيمة الخمسة جنيهات بالدين من دكان الأب، وعند الاستحقاق والطلب أخبره أنها ثمن المسدس الذي باعه ابنه.[3]

1- م.س ، ص23.

2- م.س، ص 24.

3- العناني، مذكرات، ص 24.

لقد أغنى العناني بصراحته وعفويته والتزامه الموضوعية بمعلومات مهمة؛ إذا ما حللت يستطيع الباحث استنتاج الكثير عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والأعراف والعادات والتقاليد السائدة، وإدارة الدولة في بداية نشأتها وحرص الرعيل الأول رغم التحديات الداخلية والخارجية على بناء مؤسسات الدولة التنفيذية، والتشريعية، والقضائية وتطويرها وبالذات الجهاز الأمني والقضائي والتعليمي.

الفصل الثالث

العناني في ربوع مضارب عشائر السعوديين في بصيرة وجوارها

ضرب المكانس (مشاجرة العناني مع الضابط البريطاني هورسفيلد)

ركب العناني حصانه المدعو (الهجام)، وحمل أمتعته على بغل مستأجر، متجهًا جنوبًا صوب الطفيلة باتجاه بلدة بصيرة، عابرًا وادي الحسا ذو الطبيعة الوعرة، وفي مدة تزيد على الأربع ساعات ـ كما أشار ـ بقوله «ووصلت الطفيلة مساء، ونزلت ضيفًا عند السيد عبدالمجيد جويحان، وتوجهت صباحًا إلى قرية بصيرة».[1]

يصف العناني القرية بقوله: (وجدتها عدة بيوت خشبية جاثمة على قمة جبل مرتفع يشرف على وادي عربة وذهبت إلى المدرسة، وإذا بها بناء خشبي مستطيل الشكل، يزيد طوله عن الثمانية أمتار وعرضه ثلاثة أمتار ونصف، في سقفه ثلاثة أقواس حجرية، يرتكز عليها الخشب، وفي البناء نافذة واحدة من جهة الغرب، وباب صغير من الجهة الجنوبية، وعليه حوش تبلغ مساحته خمسة أمتار طولًا في أربعة أمتار عرضًا وهذه المساحة هي ميدان الرياضة ومكان النزهة، وفي أقصى هذا المستطيل اقتطع ما يقرب من المتر والنصف، يرتفع قليلًا عن أرض الغرفة، وهذه هي مكان سكن الأستاذ، والمدرسة محاطة بالبيوت من جميع جهاتها».[2]

وقد تعرض الأردن خلال هذه السنة (1930م)[3] إلى هجمات من الجراد الذي

1- العناني، مذكرات، ص25.

2- م.س، ص 25 ـ 26.

3- م.س، ص 26.

جاء على الأخضر واليابس، بما فيها مناطق بصيرة، وخاصة منطقة الضحل، ذات المناخ المعتدل صيفًا، الدافئ شتاءً، وهي من المناطق الرعوية، والغابات الشجرية، والأراضي الزراعية الخصبة، وتعاني الآن من التصحر والجفاف.

وشكلت الحكومة الأردنية فرقًا لمكافحة الجراد، وأرسلت فرقة خيالة بقيادة الضابط البريطاني المستر «هورسفيلد» إلى منطقة بصيرة والضحل، ونصبت خيامها على مشارف الضحل بالقرب من مخفر الضحل، وتكفلت عشائر السعوديين ـ سكان المنطقة ـ بتوفير كافة الخدمات للفرقة.

وفي ظروف جوية وبيئية غير مستقرة في فصل الشتاء، وبرودة الطقس، وشدة الرياح في منطقة الضحل، أبدى الضابط البريطاني المستر هورسفيلد وفرقته رغبتهم في مغادرة منطقة الضحل، والتوجه للبلدة طلبًا للدفء والسكن، وكون البناء المدرسي مناسب للمبيت، ومساكن البلدة محدودة وغير متوفرة، وتخلو من سكن مناسب له ولجميع رجال فرقته. استقر الأمر من مخاتير عشائر السعودي في تهيئة المكان المناسب لراحته في البناء المدرسي، وتأمين رجال فرقته الآخرين. ويستنتج الباحث من الحوار الذي تم بين العناني والضابط البريطاني عند قدومه المدرسة؛ عنجهية وصلف المستعمر المتمثلة بشخصية الضابط البريطاني المستر هورسفيلد، وكبريائه المتضخم وسلوكه المتمثل في موقفه من العناني، و قبلها سوء أدب وتصرف مع قائم مقام منطقة الطفيلة آنذاك السيد نجيب الحمود، الذي كان مدعوًّا من إحدى عشائر السعودي لوليمة غداء في مضارب سكناهم، وتم دعوة الضابط بمعيته، والذي رفض الأخير بدوره إلا أن يأكل وحده، وكذلك قيام العناني كعربي بواجب الضيافة وما تمليه العادات والتقاليد من تهيئة المكان وتنظيفه واستقباله على الرغم من يوم عطلته (يوم الجمعة)، وعمل الشاي ـ والذي قلما يكون متوفرًا عند الكثير وقتها ـ يرفض الضابط تناول الشاي قائلًا: (أنا لا اشرب من شاي العرب)، ويخاطبه العناني بما تمليه عليه العادات العربية والكرم العربي وواجب المعزب تجاه ضيفه قائلًا: (أنت الآن ضيف علي فيجب عليك أن تشرب من شرابي وتأكل طعامي)، وكما هو متعارف عليه من عادات عربية (أن

الضيف أسير المعزب)، فأجابه الضابط: (كلا)، فخاطبه العناني: «إذا رفضت ذلك فيجب عليك أن تخرج من بيتي». قال الضابط: (ومن الذي يستطيع إخراجي؟). قال العناني: (الحكومة)، وقال ضاحكًا ومستهترًا: (أنا الحكومة). خاطبه العناني قائلًا: «إذا كنت الحكومة فيجب عليك أن تعرف القانون ولا تنزل في بيت شخص بالقوة»[1].

ويقول العناني وما كدت أنهي كلامي حتى بادرني بضربة على ظهري بعصاه[2]، عندها لم أتمالك نفسي وانهلت عليه بعصا المكنسة لا أبالي أين تقع!!. حتى سقط على الأرض، ووقف الجند المرافقين له يتفرجون عليه ونظرات الشماتة والكراهية تملأ عيونهم، فالجند من أحرار العرب يملأ قلوبهم الكره، والحقد على الأجنبي المستعمر، كما ملأ قلوب أبناء فلسطين الكره والحقد الذي غرسه المستعمر البريطاني الصهيوني بأفعالهم، ولم يتقدم لتخليصه إلا مأمور زراعة الطفيلة آنذاك السوري الجنسية السيد لطفي سعيد. وملأ قلوب أبناء عشائر السعوديين التي تكفلت بتقديم واجب الضيافة له ولفرقته بكراهيته، وتأمينهم بكافة الاحتياجات طيلة تواجدهم في المنطقة، ومن برفقته من موظفي الحكومة في المنطقة.

وهذا ما ذكره العناني من كره عشائر السعودي لتصرفات الضابط البريطاني وبخلاف ما تعودوا عليه من إكرام الضيف، وطيب الاستقبال للجميع، بقوله ـ في سياق حديثه أثناء لقائه قائم مقام الطفيلة السيد نجيب الحمود ونقلًا عنه ـ ثاني يوم المشكلة ـ من أجل تقديم الشكوى بحق الضابط وإبلاغه بما جرى.

يقول قائم مقام الطفيلة نجيب الحمود ـ عن تصرفات هورسفيلد ـ مخاطبًا العناني: «..أنني لم أر أسفل ولا أحط من هذا الإنسان يعني هورسفيلد.تصور أنني ذهبت إليه في موضع المكافحة (مخيم الضحل ـ بصيرة)، فأقيم على شرفي حفلة غذاء، ودعاه

1- العناني، مذكرات، ص 26.

2- م.س، ص 27.

المختار ليأكل في معيتي، فلما استقر على الفراش منعني أن آكل معه).[1]

ورفض الضابط هورسفيلد في اليوم الثاني مغادرة مبنى المدرسة؛رغم بداية الدوام المدرسي، وحاجة الطلبة لممارسة نشاطهم التعليمي، متحججًا بالظروف الجوية، مبديًا نيته البقاء فيها، مما دفع العناني لمغادرة المدرسة إلى الطفيلة، لتقديم الشكوى بحق الضابط لدى قائم مقام الطفيلة، وبعدها قيام الطلبة بإلقاء الحجارة، وضرب الضابط، وطرده من المدرسة، ولولا تدخل مأمور زراعة الطفيلة السيد لطفي سعيد لحدث ما لا يحمد عقباه.[2]

وقد سبق ذلك قيام أهل البلدة؛ بعدما رأوا من تصرفات الضابط الرعناء، رفع أسعار الحاجات المطلوبة من قبله؛ بأثمان مضاعفة مثلًا: كان ثمن كل (عشر بيضات بقرش واحد)، بيعت له (البيضة الواحدة بقرشين).[3]

أحيط قائم مقام الطفيلة بتفاصيل المشكلة من قبل العناني، وفي هذه الأثناء كان هورسفيلد قد وصل إلى الطفيلة، وقدم شكايته، وأخبر المعتمد البريطاني في عمان كركبرايد ـ سيأتي ذكره لاحقًا ـ الذي كان له صولاته وجولاته في شرق الأردن سني الانتداب، والذي قام بدوره بتكليف مندوب من قبله للتحقيق بالمشكلة.

وقد ذكر العناني مجريات التحقيق[4] الذي جرى تحت سلطة الانتداب المنحازة، مما يبعث مشاعر القهر في نفس كل حر، وموقف موظفي الدولة من أحرار الأردن من المستعمر، والشعور الاستعماري المتمكن من نفسية المستعمر وأعوانه.

نورد بعض ما جاء في مجريات التحقيق، ليتبين القارئ ازدواجية المعايير، والانحياز المكشوف من قبل المحقق مع الطرف الظالم المستعمر.

1- العناني، مذكرات، ص29.

2- م.س، ص 29 ـ 30.

3- م.س، ص27.

4- م.س، ص 29 ـ 30.

سأل مندوب المعتمد العناني: ألست عربيًّا؟

جواب العناني: بلى.

سؤال: أليس من واجبك أن تكرم ضيفك؟

جواب: هذا ما فعلته، سله ألم أقدم إليه الشاي، وعرضت عليه الطعام، فقال: أنا لا آكل من أكل العرب؟؟

سؤال المندوب لهورسفيلد: هل حقيقة ما قال؟؟؟

هورسفيلد: نعم، ولكني لست مجبرًا أن آكل من طعامه أو شرابه.

فقال المندوب موجهًا كلامه للعناني: إذا كان لا يريد أن يشرب أو يأكل فهل ترغمه على ذلك بضربه بالمكنسة.

العناني يجيب: أنا لم أضربه بالمكنسة، وكل ما في الأمر أنني حين دخوله المدرسة، كنت أقوم بتنظيف المكان ابتدرني هو وضربني على أكتافي بعصاه، فرفعت المكنسة التي كانت بيدي أتقي بها ضرباته فأصابته المكنسة عرضًا.

المندوب: لماذا حرضت الطلاب على ضربه وقذفه بالحجارة وطرده من المدرسة.

العناني: لا علم لي بما حدث بينه وبين الطلبة، لقد غادرت منذ الصباح، عندما رفض هورسفيلد مغادرة المدرسة وبداية الدوام المدرسي، وها هو القائم مقام شاهد أنني جئت إليه منذ الصباح». [1]

اكتفى القائم مقام بالقول: نعم صحيح.

يذكر العناني أن ملف التحقيق أرسل إلى إدارة المعارف في عمان، ويصف موقع وبناء إدارة المعارف المتواضع، ويتكون المبنى من ثلاث غرف، واحدة مكتب لمدير إدارة المعارف السيد أديب وهبة ـ تقلد عدة مناصب في الدولة الأردنية فيما بعد

1- العناني، مذكرات، ص29.

سيرد ذكره ـ ، والأخرى للمفتش العام السيد محمد الشريقي ـ تقلد عدة مناصب في الحكومة الأردنية، سيأتي ذكره ـ ، وأخرى مكتب لكاتب المعارف منير الرفاعي ـ ويعتقد العناني أنه شقيق سمير الرفاعي ـ [1]

ويواصل العناني الحديث بقوله: «ويوم الخميس بعد الظهر حضر المفتش العام محمد الشريقي إلى بلدة بصيرة، وكنت يومها في ضيافة وجولة في مضارب عشائر السعوديين للنزهة والصيد فلم يجدني».[3]

وحل لليلتيي الجمعة والسبت ضيفا على الشيخ سالم الرفوع في (شق)[3] (مكان مخصص من ضمن بيت الشعر لاستقبال الضيوف) وسط ترحيب واحترام. وفي صباح السبت توجه المفتش العام السيد محمد الشريقي إلى مدرسة بصيرة، وبعد جولة تفتيشية تفقدية على نظافة الطلبة، وتناول طعام الغذاء، وانتهاء دوام الطلبة، وكان العناني يحدث نفسه بما ستكون عليه نهايته!!، جرى الحديث بموضوع هورسفيلد وملابسات المشكلة بمنتهى الشفافية والوضوح، رغم محاولة العناني الإكتفاء بداية بالرواية التي قالها في مجريات التحقيق، ومحاولة الشريقي معرفة حقيقة ما جرى للضابط، وعدم اقتناعه بالرواية التي قيلت في التحقيق قائلًا للعناني: دعك من هذا!! (أنه وقع على الأرض من شدة الضرب، هكذا ورد في شهادة الشهود).[4]

ويقول العناني: لقد ظللت أحاوره، فلما رأيته يرفض الاقتناع بوجهة نظري، قلت له: (لقد صفعته بهذه المكنسة التي تراها أمامك ما يزيد على أربع وعشرين ضربة، وانظر إلى تلك الحزمة أنها فراشي فسأضعها على ظهر الهجام وأعود إلى بلدي).[5]

1- م. س، ص30ـ31.

2- العناني، مذكرات، ص30.

3- م.س، ص30.

4- م.س، ص31.

5- م.س، ص30.

فقبض الشريقي على يدي اليمنى وشد عليها وقال: (سلمت يمينك)[1] وعاد إلى عمان.

وبعد أيام جاء رد دائرة المعارف الأردنية ما نصه: (أرجو أن لا تعودوا لمثلها مرة ثانية)[2]، وقد كانت هذه الحادثة مدار حديث الشريقي في حله وترحاله وزياراته التفتيشية للمدارس، وأثناء تسلمه مناصب وزارية في الحكومات الأردنية، ويبدو الدور الواضح للأحرار الأردنيين من موظفي الحكومة الأردنية في إفشال مخططات المستعمر البريطاني، ومقاومة الاتجاهات التي تعيق المطالبة بنيل الاستقلال والحرية للأردن والأردنيين.

قصة «ما بتعرفني» أنا عقلة ولد دبور الرصاعي، (مجنون حمده)»[3]

لقد توطدت العلاقة بين عمر العناني وأهالي بصيرة بعد حادثة ضرب المكانس، على حد قوله: «وأصبحت كأني واحدًا منهم»، وغالبًا ما كان فصل الربيع يكسو الجبل والسهل من بلدة بصيرة، حلة من الأزهار والأعشاب بلوحة فنية من مختلف الألوان والرياحين، تعطر المكان، وحيث الأجواء اللطيفة، والنسمات العليلة.

بصيرة ومناطقها الخصبة، وجودة هوائها، وحسن مراعيها، وغاباتها الكثيفة مثل غابة (الضحل، القعير) ـ والتي تغنى بها شاعر الأردن عرار أثناء مسيرة إلى الشوبك ـ، والتي للأسف باتت مهددة بالانقراض نتيجة التصحر، والرعي الجائر، والاحتطاب للتدفئة وبناء أسقف المنازل.

لقد استحوذت بصيرة على فكر وقلب العناني؛ ووجد نفسه في هكذا أجواء ملزمًا؛ أن يكون الدرس في هذه الفضاءات الخلابة، بين أحضان الطبيعة الساحرة، وسط

1- م.س، ص29.

2- م.س. ص30.

3- م.س، ص 32 ـ 35.

طلبة مؤدبين، أذكياء نابهين متشوقين للعلم والتعليم، وفي ذات يوم من هذه الأيام الطيبة، وإذا بفارس يمتطي جواده ـ ويصفه العناني ـ يكاد الشر يخرج من عينيه ووجه، يعترض تلك الجلسات الدراسية قائلًا: يا خطيب (المعلم يخاطب بهذا اللقب ـ أي يا أستاذ ـ)

العناني: (نعم)

لننظر ماذا جرى في هذه الحوار بين المعلم العناني، وعقله ولد دبور الرصاعي، والتي لا تعبر عن معتقد لدى عقله وحده؛ وإنما تعبر عن أفكار وعادات ومعتقدات كانت سائدة في مجتمع؛ تفشت فيه روح الخرافة والجهل والأمية، ودور الأرواح في أذهان الناس، ولبس لبوس الدين من بعض المنتفعين والمستفيدين، والحالمين بمكانة اجتماعية ومادية، وكون المجتمع يفتقر لمن يقرأ ويكتب، فكان المعلم في طليعة من ينظر إليهم لحل مشكلات مجتمعهم العقلية والنفسية والبدنية، حلًّا شافيًا وافيًا... وهكذا يقع العناني بخطر معتقدات اجتماعية قد لا ينجو من أهوالها ونتائجها.

قال عقله ولد دبور الرصاعي: «(بنت عمي ما هي راضية تتزوجني)، العناني: وما دخلني أنا بالموضوع.

عقله: اعمل لي عمل ـ (أي إعمل لها حجاب)

العناني: (أنا لا أعرف مثل هذا العمل)».[1]

عقله: كيف تكون خطيبًا تعلم الضعوف ـ أي الأولاد الصغار ـ ولا تعرف أن تعمل حجابًا ساحرًا.

العناني: لم أتعلم في المدرسة مثل هذه العمل، وأبحث عن شخص غيري.

عقله: أنت لا تعرف من أنا؟

العناني: كلا لا أعرف من أنت.

1- العناني، مذكرات، ص 32.

عقله: «أنا عقله ولد دبور الرصاعي» ـ (من قبائل البادية الأردنية) ـ ضرب يده على سيفه واستله إلى النصف مهدِّدًا قائلًا: (وحياة رأسي لئن لم تعمل الحجاب لأقطع رأسك بهذا السيف)»[1].

تدارك العناني الأمر خوفًا ورهبة، وطلب مهلة أسبوع، تدبرًا للأمر، وتفاديًا للنتائج.

لكنه بقي في حيص بيص من أمره ماذا يفعل؟؟ والساعات والثواني تمر كالبرق! وشبح عقله يطارده ليل نهار بوجهه المكفهر، وشرر عينيه المتطاير كالشهب، وإصراره على القتل.

وتقترب ساعة الموعد، وإذا بالعناية الإلهية تلهم العناني فكرة لا يستطيع عقلة أن يتخلص منها إلا بشق الأنفس؛ وربما يكون فيها حتفه، جاء عقله مخاطبًا العناني أين الحجاب؟ [2]

العناني قائلًا: «لعمل الحجاب عليك أن تحضر عشرين شعرة من شعر بنت العم (حمده)[3]»!!، قصد العناني من ذلك؛ أن يتخلص منه أولًا، وربما تعرض للقتل من أهل الفتاة، لكن عقله جلب المطلوب من شعرات حمدة فرحًا، وجاء بها إلى العناني، أخذ العناني الشعرات، طالبًا مهلة أسبوع آخر، وكان له ما أراد، لعل وعسى الفرج قريب، ويهتدي لفكرة تنقذه من هذه الورطة، ولما كان العناني منشغلًا بالخلاص من هذه الورطة؛ داعيًا الله أن ينجيه من عقله، يجوب المدرسة طولًا وعرضًا، ينظر فيمن حوله، ويطالع نجوم السماء، اهتدى إلى فكرة موادها الأساسية من أدوات المدرسة، ومواد غذائية، وخربشات ومعادلات رياضية تناول قطعتين من السكر(السكر كان عبارة عن قطع متماسكة معًا)، وغمسها بالحبر الأحمر ـ (يستخدم في الكتابة وتصحيح

1- العناني، مذكرات، ص 34 ـ 35.

2- م.س، ص 35.

3- م.س، ص 35.

دفاتر للطلبة) ـ، أخذ سبع ورقات كان قد كتب عليها بعض المعادلات الجبرية لطلبته؛ ولفها بخيط، وعندما جاء عقله بالموعد المحدد، أخبره العناني أن عليه أن يلتزم بالتعليمات المعطاة إليه وعلى مرأى ومسمع حمده، وفي الهزيع الأخير من الليل.

أعطى العناني تعليماته لعقله قائلًا: «تأخذ هذه السبع ورقات تحرق في كل ليلة ورقه فوق رأسها بعد أن تنام لمدة أسبوع، والقطعة من السكر تجلس بجانبها وتقول لها: لقد ذهبت للخطيب فاستخدم الجن ليجلب لك محبتي، وتضع قطعة السكر في الماء وتذيبها فإذا انقلب لون الماء أحمر، فإن الجن يكون قد نقل دم قلبها إلى الكوب ولا بد أن تحبك، وكنت أقصد من ذلك الإيحاء لها لعل وعسى، وإذا بقي الماء أبيض كما هو فان الجن يكون قد عجز عن تغيير قلبها وحينئذ لا حيلة لي في أمرك».[1]

وتنتهي قصة عقله بزواجه من ابنة العم، ويذكر العناني أنه في إحدى أيام الجمع، نزل مدرسة بصيرة مجموعة من موظفي الطفيلة منهم القائم مقام نجيب الحمود، وقائد المقاطعة عبدالهادي العرب اللبناني، وقاضي الصلح عبدالرحمن الرشيدات، وطبيب الصحة الدكتور الساطي ـ سيأتي شرح لهذه الشخصيات لاحقًا ـ ضيوفًا في المدرسة، وقد حضر عقله وقتها فرحًا بزواجه من حمده ونيل مناه، محملًا بالهدايا العينية والنقدية للعناني، وعلامات الفرح والسرور البادية على محياه قدم عقله شكره لهذا الجميل الذي لا ينسى من قبل الخطيب ـ المعلم ـ حاملًا خروفًا على ظهر حصانه، ومقدمًا أربعة جنيهات عثمانية ذهبًا حلوانًا لهذه المناسبة......

(العناني) الضابط المزيف في وادي عربة

وادي عربه الفاصل بين هضاب فلسطين في الغرب والمرتفعات الأردنية شرقًا، والذي يمتد بين خليج العقبة في الجنوب وملاحات جنوبي البحر الميت شمالًا، وهو امتداد لحفرة الانهدام الأفريقي، ويضمّ مناطق جانبي وادي الأردن، والبحر الميت،

1- م.س، ص 34 ـ 35.

والبحر الأحمر[1]. يعد وادي عربة منطقةً جافّة، ودرجات حرارة مرتفعة، ومناخ صحراوي جاف، وسطح رمليّ وحصويّ، وتغطّيه صخور الجرانيت، وتعتمد منطقة الوادي على مصدرين رئيسيين للمياه: المياه السطحية والمياه الجوفية.[2]

ورغم الطبيعة القاسية؛ ومخاطر الطريق البري بين فلسطين والأردن، من وعورة المسالك، وانعدام الأمن، وعمليات النهب السلب وسلب المارة ومستخدمي الطريق ما يملكون من سلع، وغيرها؛ كان التواصل مستمرًا بين الأردن وفلسطين.

ويصف سليمان القوابعة في روايته حوض الموت مخاطر قاطعي الطريق في وادي عربة بقوله: «مخاطر قطاع الطرق ويصفهم السكان (بالغدّارة)، إذ يخرجون لهم من بين الصخور، والرمال، يذبحونهم على حزام أو حفنة طحين أو لقمة خبز.... ونجد أمثلة وشواهد حية بثتها الرواية لشهود عيان عن عمليات السطو منها: «أنّ رجلًا غرّب يعمل في فلسطين وفي طريق عودته من نقب النخبار اعترضته مجموعة غدّارة وأرغموه على التخلي عمّا كسبه من قوت أولاده، حتى ملابسه الجديدة لم تسلم، وأمثلة أخرى منها العثور على قتلى في مغاور كان يختبئ بها بعض المسافرين من أهل المنطقة هربًا من قطاع الطرق».[3]

عزم العناني في العطلة المدرسية الصيفية على زيارة الأهل في فلسطين، ومرافقة القافلة المتوجهة من بصيرة إلى جنوب فلسطين ـ وغالبًا ما كانت تتوجه مثل هذه القوافل إلى فلسطين محملة بالسلع التجارية، والهدايا من السمن واللبن ـ كما ذكر ـ ووصف جودتها، ومذاقها اللذيذ، رافق العناني القافلة سالكة طريق وادي عربة.

يصف العناني مناطق وادي عربة ومناخها وقسوته، وملوحة المياه؛ التي لا يستطيع

1- الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، مدار الهدى، طبعة جديدة، ص 61. ووليام ليبي ـ فرانكلين هوسكنز، وادي الأردن والبتراء (1902م)، ترجمة أحمد عويدي العبادي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005م، ص 243.

2- الموسوعة الفلسطينية «وادي عربة». مؤرشف الأصل في 16 ديسمبر 2019.

3- القوابعة، سليمان، رواية حوض الموت، وزارة الثقافة، عمان، 2009، ص10.

الإنسان والحيوان تذوقها، ولولا ما يحمل من مياه على قلتها لماتوا عطشًا!، وتلاشي الغطاء النباتي إلا من بعض شجيرات الدفلى والغضا، وانتشار الزواحف والقوارض والحشرات، والحيات السامة مثل (حيات النشاب) التي تستطيع أن تسبح في الفضاء بضعة أمتار، وتملأ المكان أسراب البعوض والناموس، يدعى هذا المكان المخيف سطح سهل الأمعز ـ من مناطق وادي عربة ـ حيث صورة القتل والسحل ماثلة في كل مكان، وتربة كأنها رماد موقد، وعشب نحيل ضئيل، وأسماء مناطقه تثير في السامع والمشاهد مشاعر الخوف والرهبة، فكل كومة حجارة فيه شاهد على مقتل إنسان هذا مقتل فلان! وذاك مقتل علان!. وقد اتخذ قطاع الطرق من هذا الطريق (سطح الأمعز) مكانًا وميدانًا للقتل والسلب، كما في (نقب النخبار)، و(نقب الزويرة)، ومناطق أخرى من مناطق وادي عربة. وبعد مشورة مع رجال القافلة رفض العناني المبيت مع القافلة في هذا المكان المخيف (سطح الأمعز).

رافق العناني أحد رجالات القافلة دليلًا مقابل الأجر بعد رفضه المبيت مع القافلة في سطح الأمعز الموحش ومواصلة المسير، ويقول العناني: «واصلنا السير حتى انتهى بنا سطح الأمعز إلى أخدود طباشيري (نقب النخبار)، يبلغ ارتفاعه على الجانبين في بعض الأمكنة إلى ما يزيد عن مائة متر، وليس له إلا مدخل ومخرج، أحدهما في نهاية سطح الأمعز، ومخرج في نهايته في جنوب البحر الميت»[1]. اعترض العناني ورفيقه خلال المسير في نقب النخبار، مجموعة من قاطعي الطريق كالمعتاد، ولولا العناية الإلهية، وحمل العناني للمسدس، وصفارته الرياضية، ولباسه العسكري المزيف (ضابط مزيف)[2]؛ والذي احتمى به في الطريق خوفًا من هؤلاء الأشرار وحذره؛ بعدما سمع عن شرور هؤلاء، وسمعتهم السيئة التي ملأت الآفاق لوقع المحظور.

وصف العناني التنظيم والتخطيط من قبل قاطعي الطريق؛ بما يناسب تضاريس

1- انظر: العناني، المذكرات، ص39.

2- م.س، ص40.

المنطقة الجغرافية ووسائل النقل، لذا كان من عادة هؤلاء الأشرار أن يرسلوا أحدهم يجوب النقب، وغالبًا ما يكون راكبًا ذلولًا (جمل)، يراقب ويستطلع المكان، ومجموعة من رفاقه (المجموعة الثانية) يتمركزون على حواف الأخدود يهددون المارة، وفي حالة الامتناع والرفض تقتلهم مجموعة القناصة في أعالي الأخدود (المجموعة الثالثة)، بعدها يتقدم منهم راكب الذلول ويسلبهم ما يملكون من ملابس وأمتعة، وكون طبيعة نقب النخبار له مدخل ومخرج لا سواهما، مدخل من جهة سطح الأمعز، والمخرج من جنوب البحر الميت، يحتاج المار فيه إلى نصف نهار حتى يخرج منه، لذا رسموا خطتهم على أن يقوم راكب الذلول بجمع المنهوبات وملاقاتهم عند المخرج أو المدخل حسب جهة قدوم هؤلاء الأشرار، وغالبًا ما يكون قاطعو الطريق من الجهة الشرقية من الأردن، ومن الجهة الغربية من فلسطين.[1]

واصل العناني ورفيقه المسير، حتى خرجا من نقب النخبار[2]، وسلكا واديًا إلى الجنوب من البحر الميت تجري فيه المياه المنحدرة من سفوح الجبال من الجهة الغربية، وقد امتلأ الوادي بالأخاديد والصخور التي تدحرجها السيول من أعالي الجبال، وينتهي ليبدأ نقب الزويرة[3]، والنقب منحدرًا من الجبال العالية نحو الوادي وعر المسالك، صعب الدروب بعيد المسافة.

ويقول العناني: «بعد مسيرة ثلاث ساعات اهتزت جنبات الوادي بالأصوات وسمع تدحرج الحجارة هنا وهناك، قلت للدليل: ما هذا؟؟ قال: هذا ماء الزويرة حيث يقيم الصعاليك هنا على الماء، ينقضون على فرائسهم، وغالبًا ما يكونون هؤلاء الصعاليك من فلسطين».[4]

لقد هدأت بال العناني ورفيقه حمد الأكتع (الأكتع: من لا يعمل إلا بيد واحدة،

1- العناني، مذكرات، ص36.

2- م.س، ص39.

3- م.س، ص41.

4- م.س، ص41.

إذ كانت يده اليمنى شلاء)، لم يكن هذه المرة قاطعي طرق، وإنما قافلة تجار من مدينة الخليل، تعرف قائد القافلة على العناني قائلًا له: «الله يقطع دابرك يا حلحولي، موتتنا من الخوف».[1]

وصل العناني ورفيقه مدينة خليل الرحمن بسلام، وبعد يومين من وصولهم، وصلت القافلة القادمة من بلدة بصيرة إلى الخليل، وكانت القافلة تضم خيرة شباب البلدة ما ينوف على أربعين شابًّا، يحدوهم الأمل والعمل نحو فلسطين الحبيبة، ينشدون ويغنون، ويقول العناني قبل مغادرته القافلة: «كنت أسمعهم في الطريق يتغنون بالأناشيد... حفظت مطلع واحدة منها: عفلسطين عفلسطين والغظي غرب عفلسطين.. ومعناها إلى فلسطين إلى فلسطين لأن الحبيب اتجه نحو الغرب إلى فلسطين».[2]

لكن يد الغدر والخيانة لم تمهلهم؛ فقد تعرض لهم مجموعة من اللصوص، وقتل منهم أربعة شباب، عاد بعضهم إلى بلدة بصيرة بالقتلى، والبعض الآخر واصل المسير إلى الخليل. وكان العناني والأهل في حلحول في استقبالهم وضيافتهم.

لقد كانت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الأهل في جنوب الأردن وجنوب فلسطين، وخاصة مدينة الخليل وغزة علاقات عائلية وطيدة ومتميزة، وربما امتدت إلى مدن سيناء العريش، وقد كانت الطريق التي ـ وصفها العناني ـ نشطة بالقوافل التجارية البرية من وإلى جنوب الأردن ساهم في تراجعها ضعف الحكم التركي، وسيطرة الانتداب البريطاني وسياسته في التفرقة وإغفال الواقع الأمني وعدم الاهتمام في المنطقة.

العناني والحظ العاثر

بقي من العطلة الصيفية عشرة أيام ـ على حد قول العناني ـ، قرر العناني العودة

1- م.س، ص42.

2- م.س، ص43.

بالسيارة الأكثر أمانًا؛ بعد الأهوال والمخاطر التي عاشها في وادي عربة، وأعاد حصانه (الهجام) مع القافلة العائدة.

ويقول العناني: «ولما عدت إلى ـ بصيرة ـ وجدت الشخص الذي أمنته على الحصان قد ربطه زيادة منه في الأمانة والحرص، بالقيد عشرة أيام بكاملها يطعمه ويسقيه في مكانه، فلما دنوت منه وجدته كالمجنون».[1]

ذهب العناني بحصانه إلى عين الماء القريبة من البلدة، وتبعد عنها أربعة كيلو مترات، ولم يذكر اسمها، لكنها معروفة باسم (عين العبر) وهي حقيقة كما ذكرها العناني تنبع من صخرة صماء في بطن جبل أشم، وماؤها عذب سلسبيل، ولا زالت عين الماء هذه جارية ولم تتأثر كما باقي عيون الماء في المنطقة وربما في منطقة الطفيلة بأكملها.

لم يستطع العناني عند عودته من عين الماء؛ كبح جماح حصانه، والقول للعناني «ولم أخطو به غير بضع خطوات حتى انطلق كالمجنون، يجمح فوق الصخور ويقفز فوق الحواجز... حاولت كبح جماحه، وجذبت عنانه بكل ما لدي من قوة، لكنه كظ على اللجام وجذبني إلى الأمام، حتى كدت أقع على معرفته، وكنت أخشى على نفسي وتكون نهايتي، أو يعترضنا شخص أو أشخاص فيقتلون فاحتمل دماءهم، خاصة أن طرق وأزقة البلدة ضيقة جدًّا».[2]

ـ اللجام: هو عبارة عن قطعة حديد، وما يتَّصل بها من طوق جلدي متصل بنهاية كل طرف تُوضع في فم الحصان، ويتم تركيبه بشكل صحيح على رأس الجواد، وهو مصمم لإيقاف وكبح الحصان، كما أن وظيفتهُ منع الحصان من فتح فمه بشكل زائد، وهو بنفس الوقت يزيد من جمال رأس الحصان وصحته، يستخدمه الرَّاكب أو الفارس للسَّيطرة والتّحكُّم في الفرس».[3]

1- انظر: العناني، مذكرات، ص44.

2- م.س. ،ص45.

3- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الوطنية، ط (4)، 2004، ص816.

حصل ما كان العناني يخشاه؛ إذ اعترض الطريق شيخ في الثمانين من العمر ممتطيًا حماره، ولم يسمع صياح ونداءات العناني ولا مفر عن هذا المدخل الوحيد الضيق، وإذا بالشيخ وحماره يرتطمان في الأرض بعد عودتهما من الفضاء.

دخل الشيخ في غيبوبة شديدة نتيجة الحادث، وتجمع الناس، وإذا بأحد شيوخ المنطقة المتواجدين، يخاطب العناني الذي لا يزال في حالة اندهاش، وخوف، وترقب؛ بالقول « أنج بنفسك، قبل أن تقتل في فورة الدم... فأسرعت إلى المدرسة قبل أن يجتمع أهل الشيخ فيبطشون بي».[1]

لقد التف بعض شباب بلدة بصيرة وطلابها حول بناية المدرسة لحمايته، وخوفًا عليه، يقول العناني: «وما انتهيت من الصلاة والدعاء، حتى سمعت أحد شباب القرية بشير محمد الرفوع يناديني: يا أستاذ لا تخف نحن عشرة من شباب العشائر جئنا لنحميك وندافع عنك فأنت طنيبنا».[2] ولقد أرسل من يراقب حالة الشيخ الصحية، وجاءت البشرى أن الشيخ قد أفاق من غيبوبته، وأنه بصحة مستقرة.

انتهى الحدث بسلام، وذهب العناني برفقة وجهاء ومشايخ السعوديين ـ مشايخ بلدة بصيرة ـ وتم الصلح. يقول العناني: «وفي الصباح فرج الكرب ومكث الشيخ ست عشرة ليلة مريضًا، أقدم له الطعام من الحليب والبيض واللحوم، حتى شفي.... وأخذنا له كسوة كاملة من أخمص قدمه إلى قمة رأسه».[3]

التعليم الإلزامي في الأردن

لقد سعت الحكومة الأردنية مبكرًا، وجعلت التعليم مجانًا وإلزاميًّا، وقد فرضت وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم لاحقًا) بفرض التشريعات والعقوبات المناسبة؛

1- العناني، مذكرات، ص 44.

2- م.س، ص45.

3- م.س، ص46.

منعًا من تسرب الطلبة من مدارسهم في ظل ظروف اقتصادية صعبة، وتفشي الأمية في المجتمع الأردني.

لقد واجهت الحكومة الأردنية والأهالي؛ تحديات كبيرة كون المجتمع الأردني آنذاك بادية أو شبه بادية في معظمه، وتقضي الأسرة الأردنية معظم أوقات السنة في الحل والترحال طلبًا للماء والكلأ، بعيدًا عن الاستقرار، ويضطر من يرغب من الأهالي بتدريس ابنه الصغير، أن يكون معه مرافقًا من أسرته في القرية ـ وغالبًا ما يكونون من الرجال والنساء الكبار في السن ـ لتأمين احتياجاتهم ومتابعتهم في قرية تفتقر للخدمات العامة.

وقد كان لدى الأهالي الرغبة في تدريس أبنائهم، لكن الفقر شديد، والظروف الاقتصادية والاجتماعية صعبة، وحاجة الأهل الكبيرة لمساعدة الأبناء لهم في رعاية الأغنام، وأيام الحصاد وغيرها من المواسم، وإن كان لدى البعض منهم ممانعة في تدريس ابنه، أو الاستمرار في متابعة تدريسه كان لهذه الظروف، وربما كان للعادات والتقاليد أثرها فيما يخص تدريس البنات، ويلحظ الباحث في تاريخ الأردن الحديث تنامي إلحاق الأبناء بداية من المناطق ذات الاستقرار السكني مثل إربد والكرك والسلط، ومناطق الريف والبادية، منذ بداية تأسيس الإمارة وسن القوانين والتشريعات التي تشجع عليه؛ لحرص الدولة على توفير البيئة المناسبة رغم الإمكانيات المادية المتواضعة لدى الدولة والأهالي وحجم التحديات الاجتماعية؛ وحرصًا من الدولة أيضًا على تنمية العملية التربوية؛ فرضت بعض العقوبات لتغيب وتسرب الطلبة من المدارس، لذا من يتغيب عن الدوام المدرسي يجلب بالقوة الأمنية (الدرك)، ويقول العناني: «..كنا نجلب الطالب الذي يتأخر بواسطة قوة الدرك، إذ ينزلون على أهل الطالب فيما يسمى (حوالة الفرسان)، فيذبحون لهم الذبائح، ويعلفون خيولهم، علاوة عن الدخان، ثم يجلب ولي أمر الطالب إلى الحاكم الإداري الذي يحكم عليه بغرامة أقلها خمسمائة مل أو يحبس بدلها».[1]

1- العناني، المذكرات، ص47.

ويشير العناني إلى أنه ممن وقعت عليهم هذه العقوبات نتيجة التغيب لمدة أسبوع عن المدرسة، أحد الطلبة ـ من مدرسة بصيرة ـ وقام ولي أمره بدفع الغرامة المنصوص عليها بالقانون، وعودة الطالب لمدرسته، مما أثار غضب ولي الأمر وإصراره على الإنتقام. وقام بالعبث بمزرعة الذرة الصفراء المجاورة له، مدعيًا أن حصاني قد عبث بها.[1]

يقول العناني: «....وشهد علي في المحكمة، أمام قاضي الصلح عبدالرحمن الرشيدات الذي حكم علي بتاريخ 28/ 10/ 1930 بغرامة قدرها خمسمائة مل، وتضميني نفقات المحاكمة (100مل) ونفقات الكشف جنية واحد و(910 ملات). وبذلك انتقم مني»[2]

ويشير العناني إلى أن القاضي عبدالرحمن الرشيدات نقل من الطفيلة بموجب التنقلات الاعتيادية التي تجريها الحكومة الأردنية للقضاة، وحل مكانه السيد فلاح المدادحه ـ وقد شغل كل من القضاة المذكورين منصب وزير في الحكومات الأردنية سيأتي ذكرهم لاحقًا ـ ، فأعاد محاكمته وبرأه من التهمة.[3]

شمهروش ملك الجان في هيشة العطاعطة (محمية ضانا)

المجتمع الأردني جزء من المجتمع العربي والإنساني، وتحوي الثقافة العربية على العديد من القناعات والمفاهيم المتعلقة بالجن والأرواح ويتداول الناس كثير من الأساطير، والخرافات، والقصص، التي كانت تأخذ بنوع من الصدق والجدية منهم، وتعلل كثيرًا من المشاكل الصحية والاجتماعية لديهم بتأثير عالم الجن على الإنس.

تجمع الديانات السماوية على الإقرار بحقيقة وجود الجن، وقد ورد في القرآن:

1- م.س. ص47.

2- العناني، مذكرات، ص 47. ونعمان، الأرشمندت بولس، خمسة أعوام في عمان، وزارة الثقافة، 2011، ص 142.

3- العناني، مذكرات، ص47.

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (سورة الحجر آية (27)). وفيه سورة كاملة هي سورة الجن، ورد ذكره في الأدبيات العَربية بأنهم يتصورون على شكل الحيوانات مثل القطط والكلاب، ومنهم من يتصور بشكل الإنسان على هيئة مخيفة ومرعبة.

ويعتقد الناس أن للجن قوى مادية غير عادية، وقدرة خارقة للتأثير في حياة الناس الروحية، والجسدية والتواصل معهم، وإقامة العلاقات التي تشبه العلاقات الإنسانية ـ حسب الاعتقاد ـ، وما دام أن أجسام الجن غير مرئية، ولديه القدرة على التشكل بالشكل الذي يريد، يكون له وجود مادي مؤثر في حياة الإنسان.[1]

أما العلامات، والمشاهدات، والأحداث التي يشعر بها المصاب، مثل النطق بأصوات أخرى غير مفهومة، وحركات تشنج، وحركات غير مفهومة للناس، ولا يفهمها إلا المتعاملين بهذا الشأن ـ حسب الاعتقاد ـ وغالبًا يجد هؤلاء المشعوذين والمنتفعين من هذه المعتقدات السائدة في المجتمع؛ المبررات الكافية لإيهام الناس بذلك.[2]

في الوقت يرى فيه أهل الإختصاص غير هذا؛ وأن الأمر ما هو إلا أمراض نفسية واضطرابات عضوية وتهيؤات ليست لها علاقة بالجن، وإن الطب النفسي له تفسيرات وأبحاث في هذه الظواهر وترجع في غالبها إلى مشاكل نفسية ومادية واجتماعية يجد الشخص المتأثر؛ متنفسًا مبررًا للخروج من أزمته النفسية والاجتماعية.

ويذكر العناني أنه في خريف سنة (1930م)، وبعد أن توطدت العلاقات بينه وبين أهالي بصيرة يقول: «...وكلي سرور بالقرية وسكانها حيث جعلوا يحترمونني بعد زيارتهم لي في الخليل وحلحول، وحيث عرفوا أن المعلم ليس ـ سائلًا من الدرجة الأولى ـ وهي الصورة التي أعطاها لهم معلمو الكتاتيب الذين يتناولون أرغفة من الخبز والبيض».[3]

1- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2- دائرة المعارف الحديثة، ص 357.

3- العناني، مذكرات، ص48.

لقد جاء أمر مديرية المعارف للعناني بالنقل إلى مدرسة وادي موسى؛ وما عليه إلا أن يتوجه لتسلم المدرسة، ولقد وقع الخبر على العناني كالصاعقة، لكنه استجاب للأمر، واستأجر بغلًا وضع عليه أمتعته، وركب حصانه متجهًا نحو الجنوب إلى وادي موسى، سالكًا في طريقه هيشة العطاعطة (محمية ضانا).

وصف العناني هيشة العطاعطة (محمية ضانا ـ محافظة الطفيلة) وأجاد الوصف، إذ يقول: «دخلنا هيشة العطاعطة، وسرنا بها يومًا بكامله، وهي غابة ملتفة الأشجار، لم أر مثلا لتربتها الحمراء، ولا لروائح أزهارها، وضخامة أشجارها، التي حجبت عنا الشمس طيلة اليوم إلا من شعاعات متسللة بين الغصون تظهر كقطع النقود الذهبية وهي كثيرة الشبه بالغابات التي نقرأ عنها في أوروبا وأمريكا الجنوبية، غير أن لا أحد يعرف عنها».[1]

نزل العناني ضيفًا على فريق من العشائر القاطنة في المنطقة، والذين أقاموا بيوت الشعر في وسط الغابة الغناء، وكأنهم في حلم من أحلام الجنة، دخل الشق ـ مكان الضيافة في بيت الشعر ـ بداية هرع الرجال للاستقبال؛ لما رأوا من كياسة الملبس وعدة الحصان، ولكنهم ما لبثوا أن تراجعوا عن الاهتمام والتقدير؛ بعد أن عرفوا بأن الضيف خطيب منقول إلى وادي موسى ـ كما أشار العناني ـ .

ومن العادات العربية السائدة آنذاك أن الضيف المحترم وذو المكانة، عادة ما يكون (ضيف لحم)، أما غير ذلك يقدم له من الأطعمة الميسور (المتوفر). أما العناني الضيف فقد قدم له ـ كما أورد ـ بيضة، وكأسًا من اللبن، يقول العناني: «رفضت العشاء لأنه يعني الاحتقار حسب العرف السائد»[2]؛ وعلى خلفية ذلك؛ جرى حوار بين العناني وبين شيخ القبيلة؛ فيه كثير من التوتر والتشنج، معظمه أسئلة شخصية من قبل الشيخ، وأثناء الحوار، قدمت عجوز وشاب يلطمان، موجهين كلامهم للعناني: «يا

1- م.س، ص49.

2- م.س، ص49.

خطيب داخلين عليك ـ قلت ما الخبر؟؟ قالت: بنتي؟ قلت: ما خطبها. قالت: راكبها الجني»[1]، وعادة ما تلجأ المجتمعات الإنسانية حالة تفشي الجهل والأمية؛ إلى أمور وحلول غيبية؛ تعالج فيها مشكلات وظروف اقتصادية واجتماعية مستعصية؛حينها تذكر العناني قصة عقله ولد دبور الرصاعي وابنة عمه حمده، ونتائجها.

توجه العناني للكشف عن المريضة، فوجدها في غيبوبة، وكأنها في عالم الأموات، يقول العناني: «دخلت على الفتاة فإذا بها ملاك... وكانوا قد دثروها بأغطية صوفية؛ خوفًا عليها من البرد، فكتموا بذلك أنفاسها، رفعت عنها الغطاء لأوصل لها الهواء النقي، أخرجت كل من بالبيت لتبوح لي بمكنون سرها».[2]

أراد العناني أولًا الانتقام والثأر لنفسه من سخافة الاستقبال، وثانيًا: مساعدة المريضة إن كان باستطاعته، دعا العناني الشيخ وقال له: «أريد خروفًا أسود، وإن لم يكن أسود، فليكن أبيض منقط بالسواد.ثم احضروا بعد ذلك فلذة كبده، وأخرى من قلبه وقطعًا أخرى من سائر جسمه».[3]

لقد أدرك العناني المشكلة سريعًا بمجرد لقاء زوج الفتاة وحالته النفسية والشخصية، وأثر ذلك على نفسية الزوجة، ودور العامل الاجتماعي المؤثر في قضايا الزواج في المجتمعات العربية، وما واجهته المرأة العربية من ظلم وعنف، نتيجة عوامل عديدة منها الطمع والجشع.

نجح العناني في إنقاذ الفتاة من غيبوبتها، ونال ثقتها، وأمر لها بالأكل، بعد أن استخدم أساليبًا وطرقًا، تشعر السامعين والحضور أنه يمتلك السيطرة وحكم الجن، وباعثًا في نفس المريض الأمل بالشفاء والخلاص، رغم عدم قناعته بالمعتقد، والفكر السائد في هذه المجتمعات ومثيلاتها، وما زالت آثار هذه الخرافات والشعوذات باقية لغاية اليوم، رغم محاربة الدين الإسلامي والديانات السماوية الأخرى، لمثل هذه

1- العناني، مذكرات، ص50.

2- م.س، ص51.

3- م.س، ص51.

المعتقدات والأفكار، وقيام الدولة بسن التشريعات والقوانين التي تنكر وتجرم هذه الأفعال، ومرتكبيها، والمنتفعين منها، والمغرر بهم من سذج الناس ومغفليهم.

وبعد نيل ثقة الفتاة وجه العناني لها السؤال الآتي: متى تصيبك هذه الحالة[1] ؟؟؟؟؟

يقول العناني: «قالت: في اللحظة التي يقربني فيها زوجي، قلت: وهل تحبينه؟؟ قالت كيف أحبه وهذا أثر قربه، قلت: «لم تزوجته؟؟ قالت: «زوجني أبي طمعًا في ماله الوفير».[3]

ويذكر العناني أنه تم الطلاق، فقد طلقها الزوج وأخذ مهره، وقام العناني بشواء الخروف ولم يطعم أحدًا منهم جزاء احتقارهم له.

ولقد جاء العناني ـ أثناء حديثه ـ على ذكر القبائل التي تسكن مناطق محافظة الطفيلة، وانضواء عشائرها تحت اسم موحد مثل سكان منطقة الطفيلة (القصبة) ويطلق عليهم اسم عام الجوابرة، وأهالي بصيرة وما جاورها اسم عام موحد (السعوديين)، وأهالي ضانا والقادسية (بئر العطاعطة سابقًا) يسمون (العطاعطة)، ومناطق صنفحة، والسلع، والعين البيضاء وجوارها يسمون (الحمايدة).[3]

1- م.س، ص 52.

2- م.س، ص52.

3- العناني، مذكرات، ص52.

الفصل الرابع

العناني في مضارب الأهل والعشيرة في الشوبك ووادي موسى والبترا

(بيك باشا) يقول للعناني: «أنت هرامي»

(بيك باشا) «الفريق فريدريك بيك باشا»

عنون العناني حكايته هذه (بيك باشا) يقول لي «أنت حرامي»

(بيك باشا)، هو الضابط البريطاني (الفريق فريدريك بيك باشا)، وكان أول قائد بريطاني للجيش العربي من عام (1924م) لغاية إحالته على التقاعد سنة (1939م).[1]

الفريق فريدريك جيرارد بيك (1886 ـ 1970م)[2]، والمعروف عند الأردنيين باسم (بيك باشا) أو (الأحيمر)، كان ضابطًا في الشرطة البريطانية، ويختلط الأمر على البعض، عندما يقرؤون اسمه، حيث أن «بيك» ليس لقبًا تشريفيًّا إنما هو اسم عائلته الإنجليزية.

وفي 1920م، ـ وقتها كان في رتبة النقيب ـ ترك العمل في الجيش والشرطة البريطانية، وانتقل إلى إمارة شرقي الأردن، لمتابعة الوضع الأمني في الإمارة بقرار من حكومته. تَرَقَّى بيك إلى رُتْبَة كولونيل، وصدر أمر المندوب السامي البريطاني في فلسطين والأردن بأن يُشَكَّل سريتي أمن داخلي في الأردن، القوة الأولى: قوة أمن سيارة (الجوالة)عددها (100 رجل) تسند إليها حماية ومراقبة وحراسة الطريق بين

1- محافظة، تاريخ الأردن المعاصر، ص39.

2- انظر: الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص155 .

فلسطين وعمان، والقوة الثانية: تتألف من (50 رجلًا) لمساندة الضابط المسؤول في مناطق الكرك والجنوب الأردني بشكل عام، وضبطها أمنيًّا.[1]

تمكن فريدريك بيك خلال الأعوام بين (1921 ـ1923م) من تشكيل الوحدة الأمنية (الفيلق العربي)، من مختلف شرائح المجتمع الأردني وبالذات من أبناء البادية من ضباط، وجنود، وكان لها دور في إخماد حركات التمرد، والصراعات القبلية، وأحبَطَت الغارات الناتجة عن حركة العدوان سنة (1923م).

وبعده تسلم قيادة الجيش العربي عام 1939م الجنرال جون باجوت كلوب باشا ـ كثاني ضابط بريطاني ـ رئيس أركان الجيش العربي (القوات المسلحة الأردنية) (أبو حنيك)، وكان هناك ضباط بريطانيون آخرين، يشغلون مراكز القيادة في مختلف وحدات الجيش العربي، وبعض الأجهزة الأمنية، ومنها جهاز الاستخبارات العسكري؛ قبيل تعريب قيادة الجيش العربي من قبل الحسين المعظم عام (1956م).[2]

يذكر العناني مشاهداته في الطريق من بصيرة إلى وادي موسى سنة (1930م)، وبعد اجتيازه هيشة العطاعطة (محمية ضانا)، سلك طريقًا في منطقة صحراوية، مناخها حار جاف نهارًا، شمسها تكوي الجباه، شديد البرودة ليلًا، حتى وصل إلى ماء نجل (عين نجل)، وهي من بلدات الشوبك، ومركز منطقتها، ومن أكبر تجمعاتها ـ لغاية اليوم ـ، إذ أن اسم الشوبك يطلق على تجمعات سكانية عديدة، وليس هناك بلدة تدعى الشوبك وحدها، وتمتاز بمناخ معتدل صيفًا، وبارد شتاءً.

ويصف العناني ما ناله ورفيقه (الدليل) من وعثاء ومشقة السفر والجوع والعطش، حتى وصلوا نجل؛ وجلسوا ليأخذوا قسطًا من الراحة ويتناولون غذائهم بالقرب من عين الماء. وأثناء استراحة العناني ودليله، لاحظ قدوم رتل من فرسان الجيش العربي

1- الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين، م.س، ص189.

2- محافظة، علي، العلاقات الأردنية ـ البريطانية 1921ـ1957م، بيروت، 1973م، ص247، الرابط،على موقع NNDB people (الإنجليزية).

تتوارد عين الماء، ويصف هؤلاء الفرسان من الجيش العربي وخيولهم بقوله: «عند الظهر بدأت فرسان الجيش العربي الأردني تتوارد الماء، خيول مطهمة، وأسرجة لامعة وشوارب مقعدة، تصلح أن تجلس فوقها الصقور، أزرة لامعة، تنبعث منها ومضات مع إشراقة الشمس، تتدلى على جنوبها سيوف... مرتوية بزيت السلاح».[1]

ـ خيول مطهمة (الخيول المطهمة: السمين الْفَاحِش السّمن والمنتفخ الْوَجْه التام من كل شَيْء والمتناهي الْحسن والكريم الْحسب). وأسرجة لامعة (أسرج الفرسَ: شدّ عليه السَّرْجَ، أي الرَّحْل الذي يُوضع على ظهره فيُقْعد عليه الراكب).[2]

وفهم العناني أنه استعراض عسكري لأحد باشوات الجيش العربي آنذاك ـ قبل تعريب قيادة الجيش العربي ـ وهو أحد الضباط البريطانيين (فريدريك بيك باشا) القائد البريطاني للجيش العربي.

وأشار العناني لشخصية الباشا (فريدريك بيك باشا) بقوله: «وانتظم الجنود في صفين متقابلين.... ونزل من السيارة الباشا المنتظر، رجل مديد القامة، رياضي الجسم، لا تميزه عن غيره من الجنود إلا بزرقة عينيه وشقرة بشرته، وصغر شاربيه، وارتفاع أنفه إلى السماء، وبعد استعراض جنوده بصفته قائدًا للجيش الأردني ـ انتحى جانبًا ليسلم على مشايخ الشوبك الذين قدموا للسلام، بعدما شفهم الشوق والحنين إلى ملك الصحراء غير المتوج».[3]

يصور العناني انطباعاته حول شخصية القائد البريطاني وتصرفاته، التي تتوافق مع تصرفات، وسلوكيات الضابط البريطاني هورسفيلد قائد فرقة منطقة الضحل لمكافحة الجراد، وهي سمة شخصية المستعمر البريطاني التي تتسم بالكبرياء والصلف الإنجليزي،التي تفرض نفسها حتى على مار الطريق، ومن لا شأن له؛ ليقدم خضوعه

1- العناني، مذكرات، ص 53.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 2003م، ج9، ص154.

3- العناني، مذكرات، ص54.

للسيد البريطاني. بعث القائد البريطاني أحد الجنود يستدعي العناني، وربما كان أحد الجند من جنود المزار ممن «سرقتهم وسرقوني، ومددت يدي للسلام، فمد لي أطراف أصابعه، وكأنه يتقزز من السلام علي»[1]، ـ على حد قول العناني ـ ، عرفته بشخصي.

عكس اللقاء بين القائد البريطاني فريدريك بيك باشا بالعناني، روح الغرور والكبرياء والاستخفاف والاستعلاء العنصري، وسلطته النافذة في تلك الفترة، واطلاعه على مجريات الأحداث في الأردن بين ذلك حواره مع العناني وبأن الأخير «هرامي ـ حرامي» مشيرًا إلى قضية سرقة المزار، وعلى أية حال لخص العناني اللقاء بقوله: «ونهرني صائحًا: يا الله روح عن وجهي. وتمتم بالإنجليزية، قلت: ما كنت لأجيء لو لم تستدعني. وعدت إلى فراشي كاسف البال مكسور الخاطر».[2]

وبعد انتهاء الاستعراض العسكري، ومغادرة (بيك باشا) والفريق العسكري المنطقة، تقدم ضابط عربي من العناني معرفًا بنفسه، قائلًا: «أنا حكمت نوري قائد مقاطعة وادي موسى، وأريدك أن ترافقني وتصحبني، فأنا مدعو إلى تناول طعام العشاء في قرية ـ أبي مخطوب»[3]،ربما ـ على حد قول العناني ـ من باب جبر خواطر.

وقرية أبو مخطوب من قرى الشوبك، وتقع الى الشمال الشرقي من القلعة، وهي موطن عشيرة الهباهبة سابقًا ـ والذين عرف عنهم محبتهم للأردن، والخدمة في الجيش العربي، وخاضوا معارك الشرف والبطولة والشهادة على أرض فلسطين والأردن، وتقلدوا رتبًا عليا في الجيش العربي.

ـ أما اليوم فقد هجرت قرية أبو مخطوب من قبل أهلها ـ كما هي بعض مناطق الشوبك وقراها ـ في وقت مبكر من منتصف القرن العشرين، إلى داخل منطقة الشوبك (بلدة الزبيرية) وما جاورها، وإلى عمان والزرقاء، ومناطق مختلفة من الأردن.

1- العناني، مذكرات، ص 55.

2- م.س، ص55.

3- م.س، ص56.

ولما كانت العشائر الأردنية تحرص كثيرًا على بناء المضافات لاجتماعات الأهل والعشيرة وسهراتهم، واستقبال الزوار والضيوف، فقد كان استقبال قائد مقاطعة وادي موسى آنذاك، ومن في معيته، ومنهم صاحب المذكرات في مضافة عشيرة الهباهبة، والتي تتسع لقرابة (150 شخصًا) ـ على حد قول العناني ـ مما يشعر الباحث باهتمام الأردنيين وحرصهم على بناء تلك المضافات والدواوين بهذه السعة على الرغم من تواضع الكثافة السكانية في تلك الفترة في الأردن.

لم يرق للعناني طبيعة الاستقبال لشخصه الكريم، بعد أن تحققوا من أمره، وحقيقة أن الاهتمام والحفاوة غالبًا في المجتمع الأردني كانت للسلطة ورجالها آنذاك، وأصحاب النفوذ لديها؛ ربما يكون خوفًا ورهبة من السلطة لا زال يعشعش في وجدان وذاكرة الأردنيين من الأنظمة السابقة، وتفاديًا للرواسب الانتقام التي لا زالت لدى بعض رجال السلطة والمتنفذين فيها.

لم يصمت العناني إزاء ما اعتبره احتقارًا من قبل المضيف، وحق له ذلك ـ فكرامة العربي تملي عليه الانتصار لنفسه، رغم أنه وجد ما يبرر هذا السلوك كونه لم يكن مدعوًّا من قبلهم، وإنما من قبل قائد المقاطعة، يقول «اجلسوا القائد على فراش وثير في صدر المضافة وكلهم يحفون ويزفون بالقائد، وجلست على فراشي. وعندما أحضر الطعام وضعت الذبيحة أمام القائد، ووعاء طعام أمامي فيه بعض الفت (الثريد)، وعليه ضلعان ليس ما يجمعهما إلى بعضهما إلا غشاء رقيق كالغشاء الذي يجمع بين أصابع البط».[1]

وبعد الانتهاء من الأكل، وجلس الجميع يحتسون القهوة، تناول العناني ما كان يحمل معه من طعام وجلس ليأكل منه أمام الحضور، مما شكل حالة استفزاز واستنفار من الجميع، انتهت بتجديد عشاء خاص للعناني واعتذار مبطن.

1- العناني، مذكرات، ص 56.

هيشة الشوبك والتعدي البشري والبيئي على الغابات

تحدث العناني عن غابة (هيشة الشوبك)

من مرتفعات الشوبك غربي معان، وهي من أكثر مناطق الأردن ارتفاعًا عن سطح البحر (بين 1600 ـ1720 مترًا)[1]، تقع على الطريق الرئيسي الواصل بين الشوبك، ووادي موسى، وتطل على جبال حجرية تسمى آثار ـ البيضا ـ من مناطق البترا تمتاز هذه المنطقة باعتدال الطقس صيفًا، أما شتاءً فهي من أكثر المناطق برودة، وقد تشهد تساقطًا كثيفًا للثلوج، وذات طبيعة خلابة تتميز بجمالها، وربيعها، وبيئتها، والتنوع الحيوي فيها.

وتحتوي على أشجار البلوط البري المُعمر، وشجر البطم، والعرعر، والرتم، والكثير من النباتات، وقد عانت من تدهور الغطاء النباتي؛ جراء عمليات التحطيب الجائر لغايات التجارة والتدفئة، مما هدد التنوع البيئي والحيوي، واستنزاف الموارد الطبيعية، فقد استخدمت معظم أخشاب الغابة في بناء سكة الحديد الحجازي في منطقة جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية، بواسطة الحاميات العسكرية العثمانية، واستخدمت أخشابها أيضًا وقودا للقطار؛ بدلًا من الفحم الذي منعه الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى.[2]

وكان اهتمام الدولة الأردنية مبكرًا في الغابات، لدرء ما يهدد التنوع الحيوي، والطبيعي، والغطاء النباتي، والرعوي، لذا عملت على تنظيم دوريات لمراقبة وحماية الغابات، وتعيين طوافي حراج (حراس)، وضبط ومتابعة الاعتداءات على هذه الثروات الطبيعية، ومجابهة التحديات البيئية، من تلاشي الغطاء النباتي، والزحف الصحراوي، والضغط السكاني على الموارد الطبيعية، وحاولت الدولة بكل السبل الحد منها ـ لذلك أشير إلى وجود العقوبات للمعتدين على الغابات ومنها عقوبة التغريم والحبس ـ .

1- انظر: الرواشدة، محمد، الشوبك الأرض والإنسان، ص54. ووليام ليبي ـفرانكلين، م.س، ص196.

2- علي، محمد، لواء الشوبك، المكتبة الوطنية، ط1، 2011، ص60.

يذكر العناني ما واجهت غابة الشوبك (الهيشة) من تحديات بقوله: «دخلنا هيشة الشوبك وكنت أحسبها كهيشة العطاعطة (محمية ضانا) بأشجارها الباسقة، وأزهارها العطرة، وإذا بها أين الثرى من الثريا؟؟ هذه أشجارها صغيرة وأعوادها نحيلة وهي متفرقة الشجر متباعدة. قلت لصاحبي ولم أشجار هذه الغابة قميئة متباعدة، وأشجار هيشة العطاعطة ملتفة باسقة، قال: لقد كانت هيشة الشوبك (الغابة) أضخم وأعظم هيشة في الأردن، غير أن الجيش التركي في الحرب الأولى اقتلع أشجارها واستعملها وقودًا للقطارات الذاهبة للحجاز، بدلًا من الفحم الذي منعه عنهم الإنجليز».[1]

ومن خلال هذا الحوار الآتي الذي جرى بين العناني وإحدى الفتيات ممن كن يحتطبن من أطراف غابة الهيشة، يتبين أيضًا حاجة الناس الشديدة للاحتطاب، واستخدام الأخشاب؛ كوقود في التدفئة والطهي، لعدم توفر المحروقات، وضعف السيولة المالية لدى الناس، والفقر والحاجة كانت عنوان المرحلة آنذاك، وهذا ما يتمثل في أبيات الشعر الشعبي لإحدى الفتيات والتي جاءت ردًّا على تساؤل العناني بعد أن رأى أنهن يحتطبن من أطراف الغابة بعض الشجيرات كالشيح والرتم ولا يقتربن من الداخل، خوفًا من العقوبة والغرامة المادية.

سأل العناني الفتيات: «لماذا لا تحتطبن من الغابة فردت إحداهن شعرًا:

«يالله حسيبن عليك يا كايد   صاير حرامي على الهيشة

والناس في بيوتهم ظوعة (جوع وفقر) ـ من قلة الزاد والعيشة

قال العناني: ومن هو كايد الذي تدعين عليه؟؟؟؟

قالت: أما تعرف كايد حارس الهيشة (طواف الحراج)، واللي تطب ـ (تدخل الغابة) ـ منا الهيشة تحط (تدفع) غرامة».[2]

ويدل ذلك على مشاركة المرأة الريفية في جميع أعمال ونشاطات المجتمع الزراعي

1- العناني، مذكرات، ص58.

2- العناني، مذكرات، ص 58.

إضافة للمسؤوليات البيتية الملقاة على عاتقها في معظم الأحيان وحدها، في ظل مجتمع يعيش الفقر والضنك والحاجة والأمية المتفشية في مفاصله.

العناني في وادي موسى

وصل العناني وادي موسى ـ وهي الملحقة حديثًا مع ناحية معان والشوبك بالإمارة الأردنية عام (1925م)[1] بقوله: «وسرنا في طرق ومنحنيات وأودية حتى وصلنا إلى وادي موسى. سألنا عن المدرسة وإذا بها غرفة مستطيلة الشكل وهي جزء من جامع البلدة، احتلت قرنة ـ زاوية ـ من قرنه، واتخذت لي مسكنًا لعدم وجود مساكن في القرية، ووضعت ستارة تفصل بيني وبين الطلاب»...[2]

مكث العناني أيامًا لم يقم بزيارته أحد من أهل القرية على غير عادة أهل القرى في الكرم والرفادة وحسن الاستقبال، وخاصة أن القرى كانت تخلو من معظم الخدمات، وعاش العناني الوحدة والوحشة، والتي لم يتعود عليها، وقضى أيامًا وليالي ساهرًا متهجدًا ومتعبدًا، وعادة بعد العصر يركب حصانه (الهجام) إلى عين الماء القريبة (عين موسى) والتي تنبع من صخرة عظيمة، حيث يتوضأ ويصلي في المكان الذي كان يصلي فيه موسى ـ كما يعتقد ـ لقد كان امتناع أهل وادي موسى عن زيارته مبررًا ـ على حد قول العناني ـ لأن الخطيب (المعلم) الذي سبقه ـ وهو من مدينة يافا ـ لم يسمح بالزيارات؛ مما جعل أهل القرية يحجمون عن التعامل وتبادل الزيارات معه.

ويقول العناني أنه في صبيحة أحد الأيام، سمع صراخًا وعويلًا في الشارع القريب من موقع المدرسة، ودفعه الفضول لمعرفة ما يحدث!!، فقد تجمع الناس حول شاب ملقى على الأرض (هارون ولد موسى الطويسي) في حالة غيبوبة وحركات تشنجية؛ قام العناني بإجراء تنفسٍ اصطناعيٍّ ـ كما تعلم من دروس الكشافة ـ للشاب؛ فأفاق

1- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص 172.

2- العناني، مذكرات، ص59.

من غيبوبته، وانقلب الصراخ والعويل إلى أهازيج وزغاريد في الحي فرحًا بنجاته، وبعدها عرف أهل بلدة وادي موسى العناني، ونال الاحترام والتقدير عندهم.

فلقد كان الشاب وحيدًا، ويتيماً من الأم، ووالده من كبار رجال البلدة، وقد وضع كل ماله وثروته تحت تصرف ابنه هارون.

ولقد اعتبر الشاب هارون موسى الطويسي ووالده؛ ذلك معروفًا وجميلًا لن ينسى وهكذا كان!، من هنا بدأت صداقة أخوية وحقيقة بين العناني وهارون ولد موسى الطويسي استمرت سنوات طويلة.

وتم دعوة العناني من قبل هارون ووالده وبعد أخذ ورد، قبلت الدعوة، ويذكر العناني ذلك بقوله: «لقد كان جميع أفراد العشيرة في انتظار الخطيب الذي عمل المعجزة بإنقاذ حبيبهم من الموت، إنه شاب بين يديه الجاه والمال والفراغ. كنت أخرج وإياه بعد الدوام في نزهة على صهوات الخيل»[1] وغالبًا في رحلات الصيد والنزهة.

وادي موسى (إلجأ) مصيف الأنباط، ومقصد الزوار

الحق لواء معان ـ العقبة ـ الشوبك ـ وادي موسى، التابع لمملكة الحجاز الهاشمية، إلى إمارة شرقي الأردن (عام 1925م)، وقد كان من المفروض أن تكون تلك المنطقة جزءًا من الإمارة؛ ولكن ظروفًا غير عادية أدت الى تأخير ذلك مدة أربع سنوات، وقد كانت هذه المنطقة من ولاية سوريا في العهد العثماني. وفي الفترة ما بين (1918 ـ1920) أصبحت المنطقة تتبع للحجاز تارة أخرى، وسوريا مرة ثانية.....[2]

ولما تم ترسيم الحدود الجنوبية للأردن، ألحق لواء معان، الذي يضم ناحيتين هما ناحية العقبة وناحية الشوبك ـ وادي موسى إلى إمارة شرقي الأردن، ولتمتد حدود شرق الأردن جنوبًا لتشمل محطة المدورة، وعُين «مصطفى وهبي التل» مديرًا لناحية

1- العناني، مذكرات، ص 60.

2- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص،173، 183 .

الشوبك ووادي موسى سنة (1925م).[1]

ولم يكن إلحاق معان وجوارها العقبة، ووادي موسى، والشوبك؛ بالأمر السهل للحكومة الأردنية والأهالي؛ فالأهالي في حالة خوف من السلطة المركزية، خوفًا على أرزاقهم، وعدم الثقة بالسلطات ـ إذ لا زالت في الذاكرة الجمعية للأردنيين ممارسات السلطات التركية سابقًا ـ وللحكومة الأعباء المترتبة على الإلحاق من توفير الخدمات وإيجاد المؤسسات.

وفي عام (1926م) وصف تقرير رسمي أهلَ وادي موسى: «بأنهم يكرهون الحكومات والنظام»، قبيل حصول حركة عصيان ضد السلطات الأردنية، تشبه حركات العصيان في الكورة والكرك والسلط، والسبب هو وجود سلطة مركزية جديدة، وبإدارة إنجليزية، والعمل على شق طريق بين معان ووادي موسى، ولأن الأهالي كانوا يحملون السياح من «القطار» إلى البترا؛ مقابل الأجر، وهذا الطريق سيقطع عليهم أرزاقهم ـ حسب اعتقادهم».[2]

إذ أن الأهالي في الأردن يأخذون أي إجراء حكومي، على مبدأ عدم الثقة وسوء الظن، وبأنه يراد منه تحصيل الضرائب، وتقييد الحريات وإحصاء النفوس. وإن كانت الحكومة تهدف في حقيقة الأمر إلى تعميق مفهوم الإدارة والتجديد والتطوير والتحديث من وراء ذلك في مختلف القطاعات، حدث ذلك في وقت بدأت فيه الحكومة بفتح وتعبيد الطرق للسيارات، وتشجير المناطق، ومكافحة التصحر، ومد خطوط وشبكات الهاتف، وإنشاء مخافر ومراكز أمنية.

ولذا عندما أبلغ مدير الناحية مصطفى وهبي التل الأهالي في وادي موسى، عزم ونية الدولة على فتح وتعبيد الطريق بين معان والبترا، ومد شبكة الهاتف، وتحريج وتشجير المنطقة، ومخالفة ذلك يوجب العقوبة والغرامة، رفض الأهالي هذه الإجراءات؛

1- الشناق، تاريخ الأردن وحضارته، ص177.

2- انظر: الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص 183.

وقاموا بمهاجمة مخفر الدرك، ودار الحكومة، وطرد الجنود، وإتلاف الوثائق الرسمية، ومهاجمة العمال الذين يشتغلون في شق الطرق، وتخريب سكة الحديد، وقطع أسلاك الهاتف، وقتل في هذه الحادثة جنديان بين معان ووادي موسى، وكانت حكومة الأمير قد أمرت الجند بعدم المقاومة؛ لذا لم تحدث خسائر بين الأهالي، ولكن الأهالي ـ بعدها بفترة وجيزة ـ عادوا للقيام بأعمال العنف والتخريب، وهاجموا مخفر وادي موسى وأشعلت فيه النار، وقتل أحد الجنود.

لقد اضطرت الحكومة الأردنية أن تعالج الأمر بحزم وشدة، وفرض القانون، فبعثت بقوة أمنية، استطاعت أن تفرض الأمن، وتعاقب وتفرض الغرامات على المتمردين والمخالفين، وأعيد إنشاء المخفر، وشق الطريق، ومد خط الهاتف، وأصدر الأمير عبدالله بن الحسين عفوًا شاملًا عن جميع الذين قاموا بأعمال العنف والاضطراب عام1926م.[1]

أما مدير الناحية مصطفى وهبي التل (عرار)، فقد عزل، وهو المنفي والمبعد أصلًا؛ بدسيسة ومكيدة من قبل السلطات البريطانية إلى الشوبك، ولا زال ملاحقًا من قبلهم، كما كان الحال مع أحرار الأردن والعرب الآخرين.[2]

إذ قامت السلطات الأردنية بفتح تحقيق بأحداث الشغب، ويبدو أن عرار كحاكم إداري كان له موقف من الأحداث معارضٌ لموقف المعتمد البريطاني فريدريك بيك، لذا اتهم بالإهمال والتقصير، والقيام بأعمال تخالف القانون، وعدم تسديد ديون المجتمع المحلي، وقد صدر قرار من القضاء الأردني بتبرئته من هذه التهمة فيما بعد.[3] وخاصة أن عرار أثناء وجوده في الشوبك؛ قام بحماية بعض الأشقياء ـ كما كانت تطلق عليهم السلطات البريطانية ـ، إذ كانت السلطات البريطانية تلاحق شابًّا بدويًّا من عشائر

1- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص 183.

2- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص185.

3- التل، مصطفى وهبي، عشيات وادي اليابس، تحقيق زياد الزعبي، وزارة الثقافة، 2007، ص 351 .

البدول يدعى (سلامه البدول)[1]، وكان مطلوبًا حيًّا أو ميتًا؛ متهماً بدعم ثوار فلسطين ـ أشقياء فلسطين ـ وهو من رفاق المناضل والثائر الفلسطيني عيد الصانع الترابين (هبوب الريح) ـ سيذكر لاحقًا ـ حيث تلاحم النضال العربي الفلسطيني ـ الأردني، سمع عرار بمواقف الأول البطولية، وسمعته الطيبة في الأردن وفلسطين، قرر أن يكرم هذا الشاب، رغم حساسية المنصب الرسمي الذي يشغله، وردة فعل المعتمد البريطاني، أرسل عرار يدعو سلامة لزيارته في قلعة الشوبك مقر الحاكم الإداري، أراد فريدريك بيك استغلال الفرصة والقبض على سلامة البدول، ولما وصل وجنده القلعة كان عرار قد أعدَّ له مفاجأة صاعقة حيث طلب من سلامة أن يقدم القهوة بنفسه، وبعد أن شرب القهوة قال له عرار بكل هدوء أن الذي قدَّم له فنجان القهوة هو سلامة البدول الذي جئت للقبض عليه وأخبره أن سلامة (دخيل) على قلعة الشوبك وعلى أهل الشوبك وأنه لا هو، ـ أي عرار ـ، ولا أهل الشوبك سيسمحون له بالقبض على ضيفهم، فما كان من فريدريك إلا أن انسحب مع جنوده مُرغمين، وهكذا خرج عرار من الشوبك بدون وظيفة، وبغضب السلطات البريطانية، كعادتهم مع الأحرار والثوار بعد حادثة وادي موسى وممارسات وتصرفات عرار أثناء توليه منصبه الإداري كمدير ناحية الشوبك ووادي موسى.

الشاعر الأردني عرار والنور في مضارب الأهل في الجنوب

هناك العديد من الروايات حول أصل النور، ومنها ما ترجعهم إلى أصول هندية، قدموا المنطقة للعمل والعيش، واستوطنوا، ولم يعودوا لوطنهم الأصلي بعدها.[2]

أما نور الأردن فيتمسكون بأصولهم العربية[3]؛ التي تشير أنهم عرب أقحاح

1- البطوش، بسام، مواقف لا تنسى «عرار» يتحدى الضابط البريطاني فريدريك بيك، الدستور 2، نيسان، 2011م.

2- الجباوي، علي، عشائر النور في بلاد الشام، ط1، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص 255، صحيفة السوسنة، مقالة رحيل الغرايبة (مجموعات النّور في الأردن... هل لهم حقوق وعليهم واجبات)، على موقع واي باك مشين،2019م.

3- موقع خبرني، لقاء مع الشيخ فتحي عبدو موسى، 2010، على موقع واي باك مشين.

من بني مرة «قوم جساس»، حيث انتهت حرب البسوس بينهم وبين أبناء عمهم بني تغلب «قوم كليب والزير سالم»، بالشتات، والرحيل والترحال، وفقدان الأمن والاستقرار. إلا أن الرواية تلك ليس لها سند تاريخي، أو علمي، وأن كان يعود تاريخ وجودهم في الأردن إلى زمن بعيد. وكانوا يتجولون في مختلف مناطق الأردن، يقيمون بالقرب من القرى والتجمعات السكنية، ويتنقلون حسب الفصول، يعيشون في الخيم في تجمعات مغلقة، ومنعزلة، حيث يتم بناؤها على شاكلة خيم القبائل، وغالبًا لا توفر الحماية، والأمان، والخصوصية، ولا توفر الدفء لهم أو حمايتهم من الحر والبرد. وتكون غالبًا من الخيش؛ يختلطون في المجتمعات بأعمال من مثل: التسول، والغناء، والرقص، والحفلات، والسهرات الليلية، والقيام بأعمال التنجيم والسحر وقراءة الكف، وصناعة الأسنان وعلاجها، وصناعة الغرابيل، وختان الأطفال.[1]

يعتمد النور في كسب الرزق على المرأة، والبعض منهم على الأطفال، أو الأطفال والنساء معًا، يقيمون حفلات الغناء والموسيقى، والعزف على الربابة والشبابة، وقول «العتابا»، والمواويل، والقصائد الريفية، والضرب على الطبل، والمزمار وسط حضور وقبول، ورضى مجتمعي أيامها، وحيثما ينزلون تنشأ العلاقات والصدقات؛ وربما تحدث خلافات بينهم وبين أهل المنطقة، وهذا ما حدث بين أهل وادي موسى ومجموعة من النور؛ وتم منعهم من دخول المضارب.[2]

وقد تمكن «عرار» من حل بعض المشاكلَ التي تحدث بين القبائل والنور، واستطاع أن يخفف من غضب الأهالي في وادي موسى والمناطق المجاورة، ومنعهم النور من دخول مضاربهم ومناطقهم. وتمكن عرار قبل الرحيل من الشوبك، أن يرسي أكثر

1- جريدة الرأي، «غجر الأردن» نشر سنة 2017م، على موقع واي باك مشين.

2- «النور في الأردن بين الاندماج والنمطية»، الحقيقة الدولية، 2011 على موقع واي باك مشين،
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D988%%D8%A7%D98%A_%D8%A8%D8%A7%D983%_%D985%%D8%B4%D98%A%D986%

صداقاته متانة، وهي صداقته مع (النور)، حيث كان تواجدهم في ربوع الأردن ريفًا وبادية وحضرًا.[1]

لقد حاول العناني ـ وهو في ريعان شبابه أثناء وجوده في وادي موسى ـ السير على خطى عرار مصطفى وهبي التل، والدخول في معترك عالم النور بأسراره وتحرره من قيود العادات والتقاليد، وحريته المطلقة، وانعتاق غرائزه وجموحها، وهواجسه، بعد أن استطاع صديقه هارون ولد موسى الطويسي أن يخرجه من عزلته وانكفائه على نفسه إلى عالم آخر من عوالم الصيد والرحلات والسهرات.

أحب العناني بعدها الرحلات والصيد، وأثار في نفسه لواعج الحب في مضارب أحياء العرب يقول العناني: «قال صديقي هارون بعد أشهر طويلة من الصداقة: ألك هوية؟ قلت: وما الهوية؟ فتاة تحبها وتهواها وتبثك هواها. قلت: استغفر الله، وماذا يفعل أهلها لو علموا بالأمر؟ قال: لا شيء، غير أن تتزوجها إذا اتفقتما، ثم قال: وهل تعيشون في بلادكم بغير هوى؟ قلت: حتى ولا تستطيع أن تتلفظ بهذا الكلام. قال: وأنت كذلك؟ قلت: وأنا كذلك. قال: غور يا شيخ، وهل تعتبر نفسك من البشر وأنت لا تمارس الحب؟ وأقبلنا على حي من أحياء العرب»... لقد تغير عقلي وجسمي بعد تلك الليلة فسيولوجيًّا وكيميائيًّا، وصارت هوايتي بعد هذه الليلة، في أغلب الأحيان الخروج وصاحبي هارون لمطاردة الصيد.»[2]

فكان اللقاء الأول للعناني، يشبه حكايات عرار مع أصدقائه النور في مضاربهم.[3]

1- انظر: التل، عشيات وادي اليابس، ص104، ص، 350 ـ351.

2- العناني، مذكرات، ص 84ـ86.

3- انظر: التل، عشيات وادي اليابس، ص 350. والزيادات، تيسير محمد، والدبوش، حربي أحمد، (مصطفى وهبي التل) دراسة في حياته وشعره، ص 120.

وادي موسى

ذكر المؤرخون بأن وادي موسى كانت تسمى (إلجي)؛ إذ إن تلك المنطقة ذات جبال مرتفعة وحصينة، وقد ميزت هذه الجبال المنطقة عن غيرها، إذ إن هذا السبب هو الذي جعل منها مكانًا يلجأ الناس إليه ويحتمون فيها من الخطر والخوف من الحروب ومن الأخطار الطبيعية، ولهذا سميت (بإل جي) نسبة للحماية التي كانت توفرها للاجئين إليها. وقد سميت كذلك بوادي موسى نسبة إلى موسى عليه السلام، إذ إنه قد قدم إلى ذلك الوادي، وشرب من عين الماء التي سميت على اسمه عليه السلام، وقد اشتهرت تلك المياه بالعذوبة والنقاء.[1]

وقد وافق العناني المؤرخين حول التسمية (إلجأ)، لتوفر المياه، وحصانة الموقع، وتسمية عين الماء «عين موسى» بقوله: «أما حقيقة أمر هذه التسمية فذلك لأن موسى نزل بها في مروره من هناك»، والقبائل العربية النبطية التي سكنت إلجأ (وادي موسى)؛ هي التي اختطت مدينة البترا الصخرية، وأشار إلى الروايات الشفوية المتداولة بين السكان؛ وهذا ما يلاحظه الباحث في الحديث عن سكان إلجأ (منطقة وادي موسى).[2]

وأشار العناني إلى الخرافة المتداولة «عين موسى» بقوله: «عين موسى تنبع من صخرة عظيمة، ويتناقل السكان خرافة يقولون فيها، لقد سميت هذه العين بعين موسى؛ لأن موسى لما قدم من بني إسرائيل إلى هذا الموضع، وكاد يقتلهم العطش، ضرب تلك الصخرة العظيمة بعصاه، فانفلقت الصخرة فلقتين انفجر الماء من بينهما ولذلك سميت عين موسى»[3]. ولقد ذكر القرآن الكريم قصة سيدنا موسى عليه السلام وبني إسرائيل، وذكر الحادثة دون تحديد المكان، (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب

1- الحموي، ياقوت، معجم البلدان (1977م)، بيروت، دار صادر،ج.(5)، ص346. وانظر: السلامين، زياد مهدي، البتراء تاريخها وآثارها، وزارة الثقافة، 2018م، ص127.

2- العناني، مذكرات، ص62.

3- م.س، ص62 ـ 63.

بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)) سورة الشعراء (آية 63)

وأشار العناني إلى مشاهداته وتصوراته حول تخطيط البترا؛ ونظام الري والزراعة، وقنوات المياه، وتوزيع المياه وجرها من عين موسى، وطواحين المياه على تلك القنوات والتي لا زالت آثارها باقية لغاية اليوم. وتؤكد الحفريات والدراسات التاريخية على مدى اهتمام الأنباط في البحث عن مصادر للمياه، وتطوير تقنيات تجميعها والاستفادة منها؛ فقد حاول الأنباط ابتكار أساليب متعددة في كيفية تجميع مياه الأمطار، والحفاظ عليها (الحصاد المائي)، واتبعوا عدة تقنيات لخزن المياه السطحية من خلال بناء السدود، والبرك، والقنوات التي تعد من تقنيات الحصاد المائي، وابتكروا تقنية تصريف مياه الأمطار من المنازل، وإلحاق آبار وخزانات ومنشآت مائية أخرى بمعظم بيوتهم.[1]

سكان وادي موسى (إلجأ) عشائرها

يسكن وادي موسى وجوارها عشائر اللياثنة (بني ليث)، وترجع أصولهم إلى اليمن والجزيرة العربية، وعشائر الحويطات، البدول، العمارين، الرواجفة، السعيديين.

وذكرت بعض الروايات أن أبناء عشائر اللياثنة كانوا يُسَمَّون ب (أبناء الجبل)، نظرًا لقوتهم وشراستهم وضراوتهم في القتال؛ وربما يعود ذلك الى طبيعة المنطقة التي يسكنونها في وادي موسى والبترا.[2]

تطرق العناني إلى التركيبة العشائرية في منطقة وادي موسى معتمدًا على الروايات الشفوية، بقوله:»ويسكن وادي موسى في الوقت الحاضر أربع عشائر:[3]

1. الشرور: (الخليفات والسعيدات والرواضية والخلايفة).

1- السلامين، البتراء تاريخها وآثارها، ص 215.

2- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، م1، ط7، بيروت، ص210.

3- العناني، مذكرات، ص64.

يعتمد العناني كما ذكر في نسب هذه العشيرة إلى ما ذكره شيخ عشيرتهم إسماعيل بن فلاح الشرور، أن أصولهم تعود إلى قبيلة حرب الوهابية؛ إذ أثناء زحف الوهابيين في الدولة السعودية على مناطق جنوب الأردن ووادي موسى، أصيب أحد الجند الوهابي وهو شرار جد الشرور بالمعارك التي جرت بين الوهابيين والمصريين ـ أتى ذكرها ـ مما أبقاه للعلاج في وادي موسى، وتمكن من الزواج في المنطقة من ابنة من وفر له العلاج والخدمة أثناء فترة إصابته، وجاء من عقبه أبناء قبيلة الشرور. وقد سموا بهذا الاسم لشدة بأسهم وقوتهم؛ ويتخذون من منطقة قريبة من الوادي موطنًا لهم، عرفت فيما بعد بقرية الشرور (الطيبة)..

ـ وما أشير إليه من أحداث على لسان شيخ قبيلة الشرور الشيخ إسماعيل بن فلاح الشرور ثابت في الأحداث التاريخية في منطقة الجزيرة العربية، ومصر.

2. بني عطا[1]: (السلامين والفرجات والفضول والفلاحات).

وينقل العناني: «العشيرة الثانية من عشائر اللياثنة هم العطايا نسبة إلى جدهم عطا، والعشيرة فرعان؛ الفرع الأول السلامين ومختارهم كان هارون السلامين ويدعون أنهم نزلوا وادي موسى من قرية السموع، وأن أقاربهم السلامين لا يزالون يسكنون قرية السموع»،أما الفرع الثاني فهم الفرجات نسبة إلى جدهم فرج وشيخهم ضيف الله الفرجات دون الإشارة إلى بقية الفروع .

3. العلايا[2]: (النوافلة والعمرات والحمادين والغنيمات والشماسين والمساعدة)

وينقل العناني عنهم «أما العشيرة الثالثة العلايا وشيخهم عقلة بن معمر وهم عدة فروع العمارات ويقولون أن أصلهم من التعامرة في فلسطين، والنوافلة ويقولون أن

1- العناني، مذكرات، ص66ـ67. العربي، حمزة، جولة بين الآثار، تحقيق وتقديم ودراسة الدكتور تركي أحمد المغيض، دار الكندي، إربد، 2002، ج2، ص139ـ141.

2- العناني، مذكرات، .ص 65، الموسى،إمارة شرقي الأردن، ص 147، 323.

أصلهم من الظاهرية قرب الخليل في فلسطين، والحمادين يقولون أن أصلهم من قرية (الجدي) بالحجاز،دون الإشارة إلى بقية الفروع.

4. العبيدية[1]: الحسنات والهلالات والطويسات والمشاعلة والنصرات)

وينقل العناني عنهم: «وهم أيضًا عدة فروع، الحسنات وأصلهم من فلسطين وشيخهم محمد الحسنات، الهلالات وشيخهم عبدالله بن هلال وأصلهم من فلسطين، والطويسات وأصلهم من بادية الحجاز».

وقد أشار العناني إلى أحداث الفوضى والعصيان التي جرت في وادي موسى سنة (1926م) بعد إلحاق ناحية معان ووادي موسى والشوبك إلى إمارة شرقي الأردن، وقيام أهل وادي موسى بمهاجمة مخفر الدرك في وادي موسى، والاعتداء على الجند ودوائر الحكومة فيها، مبدين تخوفهم من قيام الدولة ببعض الإجراءات والإصلاحات مثل تعبيد الطريق الواصل بمعان، ومد خط الهاتف والذي فسر من قبل الأهالي بالتأثير على منافعهم السياحية وزيادة السلطة المركزية، وربما يكون ذلك أيضًا من تدخل السلطات البريطانية وقائدهم فردريك بيك (الأحيمر) ـ كما كان يطلق عليه من قبل الأردنيين ـ ، وقيام الحكومة بفرض سيطرتها ومعاقبة المتسببين في هذه الأحداث وممن سجن شيخ عشيرة الشرور (موسى بن مغنم).[2]

1- العناني، مذكرات، ص 66

2- العناني، مذكرات، ص 67

الفصل الخامس

لواء البترا (مدينة البترا ـ من عجائب الدنيا) ومشاهدات العناني

ويعود اسم اللواء إلى المدينة الأثرية (البترا) والتي تقع بين مجموعة من الجبال الصخرية، وتُشكل الخاصرة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية، وتحديدًا وادي عربة، الممتد من البحر الميت وحتى خليج العقبة.

وقد بناها العرب الأنباط قبل الميلاد، وتبوأت مكانةً مرموقةً، حيث كان لموقعها على طريق الحرير، والمتوسط لحضارات بلاد ما بين النهرين، وفلسطين، ومصر، والجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، دورًا كبيرًا جعل دولة الأنباط تمسك بزمام التجارة بين الحضارات.[1]

وكانت «البترا»، التي امتدت سيطرتها من دمشق شمالًا إلى عسقلان ـ فلسطين ـ جنوبًا، قد انقطعت أخبارها عن العالم الخارجي، وتراجع دورها التجاري بعد سنة (106م)؛ بعد أن تمكن الرومان من السيطرة على الطريق التجاري واحتلالها سنة (106م).[2]

وحتى عام (1812م) أعاد اكتشافها المستشرق السويسري بيركهارت (1784ـ

1- عباس، إحسان، بحوث في تاريخ بلاد الشام (تاريخ دولة الأنباط، عمان ،ط1، 1987م، ص 29ـ36. وحماد، حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية، عمان، دار أسامة للنشر، 2003، ص49 ـ 50. ووليام ليبي ـفرانكلين هوسكنز، م.س، ص185ـ195.

2- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، ج3، بيروت، 1972م، ص9. والملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، 2008م، ص250.

1817)[1]، عندما وصل إلى جنوب الأردن في طريقه إلى مصر، منتحلًا اسمًا عربيًّا (الحاج إبراهيم)، بوصفه تاجرًا لبنانيًّا، والذي رافقه حتى نهاية حياته القصيرة (ت 1817م) والتي انتهت بالقاهرة مسمومًا.

وكان قد قضى ما يقرب من عامين ونصف في سوريا، التي جاء إليها لتعلم العربية من أهلها، والتدرّب على العيش بين «السكان الأصليين»، وكانت قد أرسلته «الجمعية الأفريقية « في لندن التي كانت تعاني إحباطًا من فشل «مستكشفيها» وعدم تمكّنهم من «التوغل» في القارة الأفريقية. لم تكن له حكاية تُروى، وكان ملاحقًا من قبل رجال محمد علي باشا ـ إذ كان يعد جاسوسًا بريطانيًّا[2] ، وخوفًا من رجاله قرَّر الذهاب إلى القاهرة، عَبْر صحراء سيناء، ولم يدر بخلده أنه سيكون أمام أهم حدث في حياته رؤية البترا، المدينة الوردية التي لم يصلها قبله أحد من الأوروبيين.[3]

لقد كان بيركهارت مهتمًّا بمعاينة كل المظاهر الطبيعية للمناطق التي يمر بها، وتدوين ووصف عادات وتقاليد سكانها، وما يسمعه بينهم من أخبار وحكايات. ومن بين تلك «الأخبار» والحكايات» التي كانت منتشرة في البادية خبر «تلك الآثار التي يتحدث عنها الأهالي بإعجاب شديد».

لم تكن الحكايات والأخبار التي سمعها هي الدافع لزيارة منطقة وادي موسى (البترا) وحدها، بل ما رآه من موقع البترا من كتل من المرمر والصخور الوردية الموجودة في المنطقة ذات الطبيعة الصخرية.

لقد صدم بيركهارت ودهش أيما دهشة عندما رأى «البترا» رأي العين، وهو خالي البال عن معرفة شيء عنها، وهو أصلًا يخطط للوصول إلى القاهرة، عبر صحراء

1- بيركهارت، جون لويس، رحلات في الديار المقدسة والنوبة والحجاز، ج1 وج2. ، ترجمة فيصل أديب أبو غوش، وزارة الثقافة، عمان، 2005، ص 35.

2- بيركهارت، م.س، ص 237.

3- بيركهارت، م.س، ص 263.

(سيناء)، لذا لم يكن يستطع أن يتصرف تصرّف السائح، فيقوم بتسجيل ملاحظاته عن المناطق علنًا؛ بل كان يسجلها في غفلة عن أعين العربان البدو خوفًا ورهبة من عواقبها يقول في ذلك: «للأسف لا أستطيع وصف الآثار التي أمر بها، ولكن سأصف لكم حالي في هذا المكان (جنوب الأردن)، وحيدًا بلا حماية في مكان لم يدخله أجنبي أو سائح من قبل، فإذا قمت بفحص هذه الآثار أو رسمها أو كتابة أي شيء عنها أمام هؤلاء الأعراب الذين يحفّون بي؛ فإن فهمهم الوحيد لتصرفي هذا هو أني ساحر أقرأ الطلاسم وأدمدم لإخراج الكنوز الدفينة في المكان، وفي هذه الحال يقومون بضربي وتعذيبي لأقاسمهم الكنوز أو أدلّهم على أمكنتها، أما إذا أبيتُ وأنكرتُ معرفتي بذلك أو حاولت شرح مهمتي لهؤلاء السذج فإنهم سيسلبونني متاعي ويمزقون أوراقي التي هي أهم من حياتي (...) لذلك أترك هذه الآثار التي لم تقع عين إنسان على أجمل منها للمكتشفين الذين سيأتون في المستقبل تحت حماية مسلحة من الدولة حيث يدرسون المكان وينشرون عجائبه على العالم، وسيرى العالم أي فن وعبقرية يتمتع بهما أولئك الأنباط الذين صنعوا من الصخر آيات من الفن»![1] . نشرت مشاهدات ويوميات بيركهارت في كتاب له صدر بعد وفاته بعنوان «رحلات في سوريا والديار المقدسة»، هو الذي أثار خيال «الرحالة» ورسامين آخرين لرؤية هذه الآثار، وتعتبر لوحات الرسام الإسكتلندي ديفيد روبرتس، الذي زار البترا عام 1839، أول لوحات غربية للمدينة الوردية عالميًا.

أُدرجت مدينة البترا على لائحة التراث العالمي التابعة لمنظمة اليونسكو في عام (1985م)[2]. كما تم اختيارها كواحدة من عجائب الدنيا السبع عام (2007م).[3]

1- موقع التراث العالمي في الأردن، دائرة الآثار العامة الأردنية.

2- صفحة الأردن في موقع التراث العالمي (اليونسكو).

3- صفحة الأردن في موقع التراث العالمي (اليونسكو).

السيك (السيق)

لنرى ما يصف بيركهارت وهو يرى أول ملامح البترا، بعد عبور «السيق» (الشق الصخري العظيم) حيث يلعب الضوء، والظل لعبة لا نهاية لها: «.... فجأة يبرز أمامنا معبد يخلب الألباب بجماله وضخامته ونحته الذي لا مثيل له، وقد صمّم ليكون في هذا الموضع بحيث يفاجئ القادم عبر هذه الطريق المعتمة داخل «السيق» وقد ملت عيناه رؤية الجدران الصخرية الشامخة عن يمينه وعن يساره وكادت أنفاسه أن تتقطع لضيق الطريق المليئة بالهواء الفاسد، فيفاجأ بهذا المنظر الذي يخلب اللب بجمال نحته وحسن منظره والذي لا مثيل له في جميع الآثار التي شاهدتها في سورية، ولم تؤثر عليه حوادث الزمن، كأن النحاتين قد تركوه لتناول طعام الغداء.[1]

والعناني يصف السيق (السيك)؟؟ بقوله: «هو الممر الوحيد الموصل بين البترا والعالم وهو عبارة عن نفق مكشوف احتفرته السيول في صخور بترا الرملية.... دخلت هذا الممر وتلفت حولي فإذا بي أعيش في أعماق التاريخ البعيد البعيد، وكأني من أهل الكهف القائمين من أجداثهم، فانتابتني الرعدة، وغمرتني الرهبة، ونظرت حولي أطلب النجدة، فلم يجبني إلا وقع حوافر «الهجام» تتردد أصداؤها في جنبات النفق، وكأنها أصوات الغابرين ممن عمروا تلك الديار من قبل التاريخ ومن بعده، فازددت هلعًا وخوفًا، وتحسست جسدي وتفقدت نفسي، هل أنا حقيقة من الأحياء؟؟؟؟ أم أنا خيال من الماضي؟؟؟».[2]

وحقيقة يعتري كل من يزور البترا مشاعر الخوف والرهبة أثناء مسير السيق؛ ليفاجأ بجمال المنظر وعظيم الصنع، وروعة الظلال، وتمازج النور والضياء وانعكاسها على الصخور الوردية والمرمر، عندما يجد نفسه أمام الخزنة مندهشًا وغير مصدق لما يرى.

يتوقع بعض المؤرخين أن الوظيفة الأساسية (للسيق) شبيهة بوظيفة الطرق

1- بيركهارت،م.س، ص229 ـ 231. ووليام ليبي ـ فرانكلين هوسكنز، م.س، ص 196ـ195.

2- السلامين، م.س، ص 266.

الرومانية، فهو يؤمن الوصول إلى مدينة البترا التي تتخللها مواقع تاريخية ذات أهمية حضارية وروحية.[1]

وهو الطريق الرئيس المؤدي لمدينة البترا يبدأ عند السد وينتهي في الجهة المقابلة للخزنة، وهو عبارة عن شق صخري بطول حوالي (1200م) وبعرض حوالي (3ـ 12م)، ويصل ارتفاعه إلى حوالي (80م)، الجزء الأكبر منه طبيعي والجزء الآخر منحوت، ويشاهد الزائر أثناء مسيرة السيق بقايا لقوس يمثل بوابة المدينة.[2]

وقد زينت جوانب السيق بالمنحوتات النبطية ومعظمها منحوتات تمثل آلهتهم ومقدساتهم، ونجدها قريبة من هذه القنوات وملاصقة لها أحيانًا؛ لاعتقاد الأنباط وإيمانهم بأن المياه مقدسة ولأهميتها في المنطقة.[3] وعلى الجانب الأيسر للزائر باتجاه الخزنة يمكن مشاهدة مجموعة من المنحوتات أو المحاريب، تعرف باسم أصنام سابينوس، وقد سميت بذلك لوجود نقوش باليونانية، يقول النقش بأن سابينوس ابن الإسكندر، والذي جاء من سوريا، نحت هذه المحاريب تمجيدًا للآلهة النبطية، ومن المنحوتات المهمة أيضًا بقايا منحوتات تمثل قافلة تجارية من الإبل، حيث اشتهر الأنباط بالتجارة، وكانت من أسباب ثرائهم.[4]

الخزنة

وتعد الخزنة المَعلَم الأبرز في البترا، التي يزينها لون رمالها وجبالها الوردية حيث شهدت الأنشطة النبطية، ورحلات أهل الصحراء وأصول عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم وأفراحهم وأحزانهم ودياناتهم، مبنى شاهق محفور في الصخر يستقبل ولوج المدينة الوردية، يقف كل من يشاهده مذهولاً مندهشًا، وصفه رحالة ومكتشفون بأنه

1- العناني، مذكرات، ص96.

2- انظر: العناني، مذكرات، ص69. والسلامين، م.س، ص 256 ـ267.

3- السلامين، م.س، ص 266.

4- م.س، ص 236.

يشبه «القصور الأسطورية»، سواء من حيث إطلالة تمزج بين القلعة والحصن، أو محتواها المرتكز على أرجاء واسعة تضفي هيبة ومتعة على الأجواء، وذلك ارتباطًا بنقوش وتصاميم نبطية تعبر عن طموح نبطي ورؤى مقصدها مد جسور الحضارات بين بلاد الشام ومصر والعالم[1]. تتكون الواجهة الأمامية للمبنى من طابقين يرتكز الطابق الأسفل على ستة أعمدة، ويتكرر الأمر في الطابق العلوي مع اختلاف المساحة والقياسات، وبين الطابقين يتجلى مزيج الفنون المعمارية الهندسية النبطية، وتتكون مساحة الخزنة الداخلية من ثلاث غرف اثنتان على الجانب الغربي الأولى يتصدرها قبر يُعتقد أنه لأحد ملوك الأنباط، والثانية خالية تمامًا، بينما تشتمل الثالثة وهي الوسطى على بهو خالٍ في مقابل زاوية تتضمن مدافن صغيرة، ويوجد أعلى الخزنة قناة مائية لتصريف مياه المطر بما لا يؤثر على البناء.[2] يعتقد العناني أن هذه الأبنية بنيت كمعابد للآلهة الأنباط إذ يقول: «أما حقيقتها فهي معبد من معابد الأنباط العرب الذين هاجروا إليها في موجة من موجات الهجرات العربية من جزيرة العرب إلى أطرافها وقد كانوا يقيمون معابدهم للشمس، إما لاستقبالها عند شروقها أو لوداعها عند غروبها».[3]

وتتباين المعلومات التاريخية حول هدف الأنباط من إنشاء الخزنة؛ بحيث ترجعه آراء علمية متخصصة إلى حفظ الوثائق المهمة ضمن مبنى يستوعب القيادات والمستشارين بصورة آمنة، وتربطه أخرى بدواعي العبادة ـ وهذا ما أشار إليه العناني خلال حديثه عن المكان ـ خصوصًا مع رصد حفريات أثرية حديثة وجود مدافن أسفل ساحة الخزنة؛ يعتقد أن من بينها قبر الحارث الرابع ملك الأنباط في القرن الأول الميلادي...[4]

1- بيركهارت، م.س، ص233.

2- السلامين، م. س، ص 275ـ276.

3- العناني، مذكرات، ص 70.

4- انظر: السلامين، م.س، ص 268ـ276. وجريدة الغد، «خزنة البتراء»، نسخة محفوظة، 2016 على موقع واي باك مشين.

يقف العناني مندهشًا ومذهولًا من هول المنظر الذي يخلب العقول، ويسرد عليك قصص الأهل ورواياتهم وخرافاتهم، ونسج خيالهم، وحاجاتهم، وربما ما تسرب لذاكرتهم الشعبية حول علاقات الأنباط مع العالم الآخر بقوله: «أهذا قصر من قصور باريس الحديثة أشرف على إقامته عباقرة المهندسين؟؟ أعمدة شامخة، على جوانب أبواب عالية، وفوق الباب الأوسط، نحت على هيئة جرة بارزة في الصخر، أول ما تشرق الشمس تقع عليها، ولذلك سماها الناس الجرة، وسماها آخرون خزنة فرعون، ولا شيء قبيح في هذا القصر؛ إلا آثار طلقات الرصاص التي شوهت منظر الجرة، نتيجة لقصة خرافية منتشرة عند البدو وهي أن فرعون مصر، خزن أمواله في تلك الجرة التي لا يمكن الإنسان أن يصل إليها، فانهالوا عليها بالرصاص ليثقبوها، ويتساقط ذهبها عليهم ولذلك سموها خزنة فرعون».[1]

المدرج

مسرح البترا أو المدرج النبطي، ويعود بناؤه إلى القرن الأول للميلاد، وهو محفور بالصخر جزئيًّا، باستثناء الجزء الأمامي منه مبنيًّا وليس منحوتًا، ويستوعب المسرح من (7 ـ 10) الآف مشاهد تقريبًا، ويوجد فوق المدرجات قطع صخري مقطوع من بعض المدافن السابقة، كما أن الممرين الجانبيين للساحة مقطوعان في الصخر ومسقفان بالحجارة على شكل عقد، أما الجدار الخلفي فيتكون بالأصل من ثلاثة طوابق ومزين بالكوات والأعمدة وواجهتهُ مغطاة بالألواحِ الرخامية.

بُني مدرج البترا خلال حكم الملك النبطي الحارث الرابع في القرن الأول الميلادي، وبعد أن احتل الرومان مملكة الأنباط عام 106م، أُضيفت بعض التحسينات عليه، لكنه تأثر كباقي أجزاء المدينة بالهزة الأرضية التي حدثت عام 363م، والتي أدت إلى تصدع بعض أجزائه وانهيارها. يصف العناني المدرج بقوله: «إلى الغرب من خزنة فرعون

1- العناني، مذكرات، ص70..

(الخزنة)[1] تجد مدرج بترا العظيم: صخرة واحدة بألوانها المختلفة الزاهية منحوت فيها مدرج يتسع لأربعة آلاف شخص على شكل حذوة الحصان، وفي أعلاه غرف مبثوثة وعلى جنباته نمارق مصفوفة، وفي نهاية المدرج (الحلبة) حيث تقام الألعاب في الأعياد،وتمثل التمثيليات».[2]

المذبح أو مكان النحر المرتفع

يقع على مرتفع مشرف من البترا. يعتقد بأنه ذو أصول أدومية، إذ يشاهد بقايا جدران تشير إلى النمط الأدومي، أعاد استخدامه الأنباط؛ بهدف تقديم القرابين والأضاحي للآلهة تبركًا وقدسية وروحانية، كانت الاحتفالات تتم في المدرج، وتصعد المواكب الدينية إلى المذبح من مناطق البترا، وتقدم القرابين والهدايا وممارسة الشعائر الدينية.[3]

ويتكون من ساحة مركزية. وأول ما يمكن رؤيته في هذه المنطقة مسلتين صخريتين، ربما يرمزان إلى آلهة الأنباط ذو الشرى (آلهة القوة) والعزى (آلهة الخصب والمياه)، ويوجد في الجهة الغربية مذبحان؛ أحدهما مستطيل الشكل ربما استخدم لعملية الطواف، والآخر دائري الشكل يُعتقد أنه كان يستخدم لوضع دماء القرابين، كما يحتوي هذا المعلم الأثري على بركة أو خزان ماء صغير ويمكن مشاهدة الجزء السفلي للمدينة من هذا الموقع.[4]

1- بيركهارت، م.س، ص265.

2- انظر: السلامين، البتراء تاريخها وآثارها ص،279. والعناني، مذكرات، ص71. ونبذة تاريخية عن المسرح النبطي في البترا، نسخة محفوظة، 2015 على موقع واي باك مشين. والمدرج النبطي في البترا، جريدة الدستور، نسخة محفوظة، على موقع واي بلاك مشين.

3- انظر: السلامين، م.س، ص 277ـ279. ونبذة تاريخية عن المذبح | VisitPetra.com نسخة محفوظة، 2015، على موقع واي باك مشين.

4- انظر: نبذة تاريخية عن المذبح | VisitPetra.com نسخة محفوظة، 2015، على موقع واي باك مشين.

ويذكر العناني مشاهداته وتحليلاته أثناء زيارته موقع (المذبح) بقوله: «على جبل عال بين الخزنة والمدرج أقدم مذبح عرفه التاريخ حتى الآن تصعد إليه بدرج منحوت في الصخر لا يتسع لأكثر من شخص واحد، لو زلت بك قدمك على درجة من تلك الدرجات لأندقت عنقك وكان فيها حتفك. وقد اختاروا هذا الجبل المشرف على كل أنحاء بترا ليقيموا عليه مذبحهم، ليتقربوا قرابينهم إلى آلهتهم، نحتوا على قمة الصخرة مكانًا تلقى فوقه النذور، فإذا ما ذبح رئيس الكهنة النذر سال دمه في قناة منحوتة في الصخر تفضي إلى حوض واسع، وفي وسط الحوض مقعد يجلس عليه رئيس الدين ليغسل يديه من حوض آخر فيختلط ماء يديه بدم الضحية ويقتسمه الناس ليتباركوا به»[1]، ، ويلحظ الباحث أن ما ذكره العناني من تحليلات ومشاهدات لا يختلف كثيرًا عما جاءت به المصادر والمراجع والدراسات التاريخية والأثرية، وربما كانت له مصادره والتي لم يتطرق لذكرها.

الدير

أحد المعالم الأثرية في المدينة، هو عبارة عن مبنى منحوت في الصخر، بُني في بدايات القرن الأول الميلادي، ويقع في شمال غرب المدينة، ارتفاعه بحدود (40) متر، وارتفاع بابه الرئيسي (8) أمتار، والغرفة الداخلية الرئيسية ضخمة ويبلغ ارتفاعها 12 متر، ويضاء فقط عن طريق الإضاءة التي تأتي عبر المدخل، وهو أكبر حجمًا من الخزنة، ويتكون من طابقين، ويتم الوصول إليه عبر سلسلة من الأدراج الصخرية والتي تآكلت بفعل العوامل الجوية والطبيعية والبشرية، وشكلت صعوبة فائقة للزوار أثناء الصعود لمشاهدته، بينما اعتاد أهل المنطقة وأطفالها على ذلك.[2]

يقول العناني (في أقصى الغرب من مدينة البترا جبل شاهق تصعد إلى قمته، فإذا أعلى

1- العناني، مذكرات، ص 71.

2- انظر: السلامين، م.س، ص 300 ـ 301. وجريدة الرأي الأردنية (مقالة)، زياد الطوسي، «الدير في البترا يهدده الاندثار»، عام 15/ 1/ 2010م. ووليام ليبي ـ فرانكلين هوسكنز، م.س، ص 227. والعربي، م.س، ج2، ص 210.

القمة قد نحت هيكل عظيم، يطلقون عليه اسم الدير، تدور حوله فيأخذك العجب وتتولاك الدهشة؛ هيكل منحوت من صخرة عظيمة، مرت عليه آلاف السنين وهو يتحدى عوامل الطبيعة....، تدور حول الدير مرة ومرات لتجد لك مكانًا ترقى منه إلى الدير فتتقطع بك السبل).[1]

يذكر العناني معاناة الصعود إلى أعلى الدير، وخبرته المتواضعة مقابل خبرة سويلم ـ الدليل الخبير الأمي ـ التي فاقت خبرته الخمسين عامًا، وهو أحد أفراد عشيرة البدول سكان المغر في البترا ـ والتي جعلت من كهوف البترا مسكنًا ومقرًا لهم زمنًا ـ وهم أهل خبرة ودراية في مجاهيل المنطقة ودروبها.

وما يكاد العناني يصل القمة حتى وقف مذهولًا مما رأى، لقد رأى عظمة الأنباط وروحانياتهم وفنونهم، وتطلعاتهم للدارين الدنيا والآخرة، مشاهدات تربط الماضي بالحاضر، بروحانيته ومعتقداته، بالكون والإنسان والحياة، تربط النهر والبحر مع الأرض في فلسطين والأردن، تشاهد الكون ومجراته، تنسى معاناة الصعود حين تعلم أنه ينقلك إلى عوالم أخرى وفضاءات واسعة، وهذا ما حدث مع صاحبنا العناني، لنرى ماذا يقول ..... .

يقول العناني: «وصلت ممتقع الوجه. وبعد أن استرحت قليلًا واستردت أنفاسي، وقفت أنظر إلى ما حولي، وإذا بالدنيا من حولي، كأني أنظر إلى خارطة جغرافية، وادي عربه من الغرب والبترا تحيط بي، وبعد أن متعت ناظري بهذه الصور العجيبة وأردت النزول قال سويلم: «لا، أنتظر قليلًا قلت: ولماذا؟ قال: لتشهد منظرًا عجيبًا، فانتظرنا حتى قاربت الشمس المغيب، فأخذني إلى كوة في أعلى قمة الدير لا تغرب الشمس حتى يكون آخر وداع لها من هذه الكوة.قلت: «ولم كان هذا؟؟ قال: لقد كانوا عبدة شمس، فهي أول ما تشرق تشرق في قصر الخزنة وآخر ما تغرب في كوة الدير، ومن

1- العناني، مذكرات، ص 72.

أجل هذا بنوا لها هذه المعابد»[1]. ـ حسب رأي سويلم من الناحية المعمارية يتبع النمط النبطي، ويُعتقد أن الأعمدة قد أدرجت لأغراض جمالية، حيث أن الهيكل بأكمله محفور بالصخر، ولا يتطلب الدعم الذي توفره الأعمدة تقليديًّا...

العناني ضيفًا على أهل أم البيارة

«البدول» عشيرة أردنية تضاربت المعلومات حول أصولهم، فمن الباحثين من يرجع أصولهم إلى قبائل الحويطات المقيمة تاريخيًّا في جوار مدينة البترا[2] ـ وهو الأرجح ـ والذين استعملوا الأراضي المجاورة للبترا للزراعة، والرعي، واستعملت الكهوف للتخزين، والسكن؛ احتماءً من برد الشتاء وحر الصيف، ومنهم من يرى أن إضفاء (أحفاد الأنباط) على (البدول) مرده هدف سياحي، وأنهم لا ينتمون للأنباط بأية صلة، وأن تاريخهم في البترا لا يتجاوز المئة عام وأن أصلهم من وادي عربة، وبعض الباحثين يعتقدون أن البدول ليسوا أحفاد الأنباط ولكنهم عرب جاؤوا من مصر قبل قرنَين أو ثلاثة قرون وسكنوا البترا[3]. ويشير الدكتور موسى شتيوي أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأردنية، وما يؤهل الدكتور موسى شتيوي للحديث عن عشائر البدول ليس لأنه من علماء علم الاجتماع فحسب،بل أنه أكثر من ذلك، فقد عاش فترة دراسته الجامعية بينهم، وهو لا يزال يحتفظ في الذاكرة بكثير من ملامح حياتهم الطيبة ـ كما يقول ـ «إلى أن البدول يؤمنون أنهم الورثة الحقيقيون للأنباط، إلا أن روايتهم تلك غير مستندة لدليل علمي».[4]

ظلّت عشيرة البدول تسكن في كهوف (المُغر) البترا، حتى العام(1985م)، حين فرضت الحكومة الأردنيّة إخلاء المغارات والمواقع الأثريّة في المدينة ضمن مشروع

1- العناني، مذكرات، ص73.

2- انظر: العربي، ج1، ص137ـ139. والجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ط 1، 1981م، ص36.

3- موقع البيان، سائحات البتراء يعشقن بداوة الصحراء، 30 نوفمبر 2009 .

4-.،https: / /www.al-monitor.com/ar/contents/articles/originals/201312//jordan-petra-cave-dwellers-neglect-authorities.html#ixzz73P5nqceM

رعته منظمة الأمم المتّحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»، والوكالة الأميركيّة للتنمية الدوليّة (USAID)؛ بهدف حماية المواقع التاريخيّة والأثريّة؛ وأقامت الحكومة لهم منازل مجانيّة مع كافة الخدمات كالكهرباء والماء والهواتف وغيرها في قرية (أم صيحون) المطلة على البترا؛ حماية للبترا واهتمامًا بالمدينة السياحية، وتحسين وضعهم المعيشي والسكني، وإسكانهم بديلًا عن كهوف البترا بالإسكان الجديد، وإشراكهم في الإستراتيجية السياحية.[1]

وأم البيارة قرية صغيرة، تقع شمال ـ غربي البترا على قمة شديدة الوعورة، ومحصنة طبيعيًّا ، يقطنها عائلات من عشيرة البدول، تطل على البترا من الغرب، وقد اشتغل سكان هذه القرية في صناعة النسيج، وما يعطي هذه القرية أهمية أثرية كبرى، هو العثور على أول ختم لملك أدومي، من اللُّقيات المميزة التي وجدت في الموقع، وتحمل علامات تدل على أوزانها، الأمر الذي يعطي انطباعًا عن طبيعة التجارة والبيع والشراء عند الأدوميين، ووجود وحدات قياس واضحة للأوزان، وقد تميزت الأبنية السكنية في هذا الموقع بالبساطة، حيث بنيت من الحجارة المحلية، واعتمدت على الأرضية الحجرية الطبيعية.[2]

يصف العناني في زيارته أم البيارة، وعورة المسالك، جرداء مقفرة، تخلو من مقومات الحياة، الساكن فيها لا يملك سوى بضع شويهات يشربون لبنها، ويأكلون لحمها، إصرارًا على البقاء وعشقًا أبديًّا يقول العناني: «وصلنا إلى حافة جبل شامخ، وجعل يلف سويلم بنا في طريق حلزونية متعرجة، لا يزيد عرضها عن موطئ قدم، وكلما علوت في تصعيدي خلفه، إزددت خوفًا ورهبة، وحينما كنت ألتفت إلى الوادي السحيق بجانبي كانت الدنيا تدور برأسي، استنجدت بسويلم ـ الدليل ـ وسويلم يسخر مني ويقول: أن أطفالنا الصغار ينزلون الجبل ويرقونه في اليوم مائة مرة، وأنت تعجز عن صعوده مرة واحدة!!!..... فوصلت والعرق يتصبب مني. رأس القمة

1- مواقع التراث العالمي في الأردن، دائرة الآثار العامة.

2- السلامين، م.س، ص 298. والعناني، مذكرات، ص 74-77.

يفضي إلى هضبة صغيرة تكثر فيها الكهوف والآبار».[1]

يطرح العناني سؤاله على دليله سويلم البدول، كما يطرح من كل زائر للمنطقة على مر الزمان سؤالٌ برسم الإجابة لديهم جميعًا، والسؤال واحد، والإجابة واحدة من سويلم وسواه ممن يعشقون الأرض، والإنسان، والحرية والاستقلال، فالعزلة حب وتفان، والعشق أبدي للأرض والإنسان، فلا شيء مقابل الأرض، فالأرض أولًا، ولا زواج ولا مصاهرة ولا علاقة تبعدهم عن الأرض؛ وإن حصل الجفاء والترفع من الأهل والعشيرة،كان الشعور متبادلًا، ومع تعاقب الحضارات، والتفاعل الحضاري بمختلف وسائله بقيت البترا رابطة العقد بين الحضارات، واستطاعت أن تحتوي الحضارات ومظاهرها وتذيبها وتلونها باللون العربي الزاهي، ورغم التعاقب والتغيرات بقيت في حالة تحدي للطبيعة واستجابة، واستطاع إنسانها كما حفر الصخر، أن يحفر في ذاكرة الحضارة الإنسانية لوحة فنية يدهش كل من يشاهدها على مر الزمان، وشكلت حضارة البترا نموذجًا من التفاعل الإنساني للبشرية جمعاء، فعندما نقرأ ونشاهد التراث النبطي يلحظ الإنسان تمازج شعوب الأرض وألوانها المختلفة الزاهية، منهم من جاء البترا غازيًا ولكنه فتن بجمالها وتأثر بروحها وأثر بها وكانت قصة حب وتفاعل بشري.

عاش إنسان البترا قسوة الطبيعة، وتغير الزمان، وتقلب الحال، قاوم وتحدى وهو الذي حفر الصخر ونقش على جبالها لوحة فنية تخلب الألباب، تجذب الروح، تنعش البال، لا بديل عن الأرض الإ حب الأرض ولا شئ سوى الحب والحرية.

يقول العناني: «قلت لسويلم: كيف تعيشون على هذه الهضبة الصغيرة الجرداء؟؟ قال: انظر فنظرت وأشار إلى بضع شويهات ـ أغنام من الماعز ـ سمراء تتراقص جداؤها ـ الجدي ابن الماعز ـ من حولها وقال: من هذه الشويهات يقتنيها الواحد منا ويعيش. قلت: وما يجبركم على شظف العيش هذا؟؟ قال: حبنا للحرية والاستقلال. قلت:

1- العناني، مذكرات، ص 74. وانظر: العربي، جولة بين الآثار ،ج2، ص137ـ139.

وهل هذه الهضبة الصغيرة تهبكم الحرية والاستقلال؟؟؟ قال: نعم فنحن منذ الآف السنين إذ استبد بنا حاكم ظالم، أو هاجمنا عدو غاصب، لجأنا إلى هضبتنا الصغيرة هذه فاحتمينا بها. قلت من أين تأكلون وتشربون؟؟؟ قال: أما طعامنا فنعتمد فيه على حليب شياهنا، ولحوم جدائها مع قليل من الطعام المدخر، وأما شربنا فمن هذه الآبار التي تراها أمامك، قلت ألا تتزوجون وتتصاهرون مع السكان المحيطين بكم؟؟؟ قال: منذ الآف السنين استوطن الأرض من حولنا الأنباط، ثم الرومان، والعرب، والصليبيون فلم نمتزج بأحد ولم نتصاهر مع أحد.، قلت: ولماذا هذه العزلة الأبدية؟؟ قال: لأن المجاورين من حولنا يترفعون عن قربنا ومصاهرتنا، ونحن بدورنا نبادلهم هذا الشعور.[1]

لذا جاءت بعض الروايات والأساطير في التاريخ الشفهي المحكي لحضارة الأنباط واضحًا في إجابات سويلم حول أصل البدول؛ وأن روايته تلك غير مستندة لدليل علمي»، وهي مجرد أحاديث تناقلها العوام من السكان، ربما للتبرر عزلة هؤلاء السكان عن المجاورين من أبناء جلدتهم، فعندما سأل العناني عن نسبهم بقوله: «هل تعرفون لكم أصلًا، أو تذكرون لكم نسبًا»[2] أعاد سويلم البدول جذور قبيلته إلى أساطير من روايتين، وكان قد ذكر فيما سبق أن وجودهم سبق الأنباط وغيرهم من المهاجرين والعابرين والتائهين، والأديان من الوثنية وحتى الإسلام، حسب ما سمعه وتناقله الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد هما:

الرواية الأولى تقول: «إن بني إسرائيل عندما مروا بهذه الأرض بعد التيه، مرض أحدهم مرضًا لم يستطع معه الرحيل فتخلفت معه زوجته تخدمه ريثما يتماثل للشفاء غير أن علته طالت ولما شفي استحب البقاء على الرحيل، فخلف ذرية ومنها نحن البدول الذين ترانا من بقاياهم».[3]

1- العناني، مذكرات، ص75 .

2- انظر: العناني، مذكرات، ص76 .

3- م.س، ص76.

أما الرواية الثانية: «أن الأنباط حينما توسعت مملكتهم وفتحوا فلسطين جلبوا معهم من العمال المهرة الكثيرين من اليهود واستخدموهم في أعمال الحفر والزخرفة، فلما اندثرت مدينة الأنباط وزالوا بقي «البدول» من بقايا هؤلاء العمال اليهود، قلت: «هل أنتم يهود وتدينون باليهودية؟؟؟[1]

أما الديانة كما سردها سويلم البدول دليل العناني ومضيفه في أم البيارة فقد عاشوا بين الوثنية والديانات السماوية شكليًّا، متنقلين بين اليهودية تارة والمسيحية تارة أخرى، حتى مجئ الإسلام فخيروا بين الإسلام أو الجزية أو القتال؛ خيارات ثلاث لا رابع لها لخصها الحوار الذي جرى بين القادة من الطرفين؛ والذي أكد فيه المسلمون أنهم خرجوا من بلادهم ابتغاء وجه الله،لا يريدون مالًا ولا أنعامًا وإنما هي مطالب ثلاث «إننا نطلب منكم واحدة من ثلاث، الأولى، أن تسلموا فيكون لكم مالنا وعليكم ما علينا، الثانية أن تدفعوا الجزية، الثالثة أن تتركوا البلاد، وإلا السيف حكم بيننا وبينكم»[2]، قال قائدنا: «أما الجزية فليس معنا ما ندفعه لكم، وأما ترك البلاد فلن نتركها، ونختار الثالثة وهي أن نبدل ديننا بدينكم، فرضي المسلمون بذلك، ولهذا سمونا البدول».[3]

العناني في زيارة مقام النبي هارون ولقاء الحاج داود الأفغاني

يقع مقام النبي هارون على أعلى قمة في البترا، مبنى صغير من الحجارة، وتنتشر حوله الكتابات الإسلامية الأموية والمملوكية، تتقدمه ساحة منبسطة فيها كنيسة قديمة، يصعد من الساحة إلى المقام عبر درج حاد وبداخله قبر مستطيل عليه قبة، ومُغطى بالأعلام الخضراء، ويحوي عدة نقوش إسلامية في الداخل.[4]

1- م.س، ص76 .

2- م.س، ص 77.

3- م.س، ص 77.

4- انظر: المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 7، العدد الأول، 2013م، محمد النصرات، «موسم النبي هارون في البترا تاريخ الموسم والمقام»، ص111.

وتختلط رواية المكان بين الرواية الشعبية، والأخرى التوراتية؛ ولا زال الجدل حول حقيقة الموقع غير محسوم سواء مكان موت أو مكان دفن النبي هارون عليه السلام.[1]

وعلى أية حال لقد احتفى المكان والمقام بأحد أجمل المواسم الدينية وهو الموسم «موسم النبي هارون»؛ ويعتبر المقام عند أهالي المنطقة مزارًا وموسماً دينيًّا، وكانوا يعتقدون بواجب الزيارة، والذين لا يتمكنون من الزيارة يرسلون شمعًا وزيتًا، وكان يأتون إليه من كل القرى والمناطق المجاورة راكبين أو راجلين، رغم صعوبة ووعورة الطريق، ومشقة السفر وكان الموسم أشبه بالحج، ويتم على فترتين: بداية الشتاء، وبداية الربيع، يقدمون الأعطيات،والأضاحي، والقرابين، والنذور، وتقام الصلوات، والعبادات، والدعاء والتوسل لرب العالمين لطلب حاجة دنيوية أو أخروية، وتمجيد وتعظيم صاحب المقام النبي هارون عليه السلام، ورغبة في الإنجاب والخصوبة، وطلب الشفاء من الأمراض، وخاصة ما يتعلق بالجن ـ حسب اعتقادهم ـ وأن بركة صاحب المقام تنزع الجن من الجسد، وتطرد الشياطين، وتبعث على الحظ، وطلبًا للاستسقاء والاستمطار والغيث ارتباطًا بطقوس تسمى «طقوس أم الغيث»[2]

لذا جاء المقام صورة حية تربط الخصب الزراعي (مواسم الزيارة المرتبطة بموسم البذار والحصاد)، بالخصب الإنجابي حيث غالبًا؛ ما كان يزار طلبًا للذرية، ويؤمنون بقدرته على شفاء الأمراض والحسد.

وكان موسماً غنيًّا بالطقوس والاحتفالات، والحكايات والأخبار، حكايات تتعلق حتى بالحجارة، فبعضها يتعلق بالحجر البركاني (الصخر الزيتي) الموجود في المنطقة بكثرة ومدى قدسيته لدى الزوار، وما ينسج من حكايات حوله (ناره من حجاره)،

1- غلوش، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002 م، ص389، «معلومات عن هارون» على موقع viaf.org. Viaf.org.

2- انظر: السلامين، زياد، وفلاحات، هاني. الممارسات الدينية والمعتقدات في وادي موسى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار. المجلد 3، رقم 2، 2009.

كون الحجر يشتعل عند إيقاده، ومعتقد آخر له علاقة بالحجارة التي انبثقت منها عيون الماء لسيدنا موسى.[1]

والعودة بعد الزيارة كما القدوم طقسًا احتفاليًّا تمارس خلاله النشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية (سباق الخيل والرماية)، ويعود الناس سعداء ولكنهم لا يعودون من نفس الطريق التي أتوا منها وإن عادوا فإنهم يعودون بظهورهم متوجهين بوجوهم نحو المقام حيث يعتقدون أنه لا يجوز للزائر أن يعطي النبي هارون عليه السلام ظهره[2] حتى يتوارى المقام عن الأنظار.

ويشير العناني من خلال ما دار من حديث بينه وبين الدليل سويلم، حول المقام وقصة وفاة النبي هارون عليه السلام، وصنع العجل من قبل السامري، وبراءة هارون مما جرى من أحداث في غياب سيدنا موسى عليه السلام، وموقفه بعد عودته من جبل سيناء من أخيه النبي هارون عليه السلام، وتناقض الروايات التوراتية مع الرواية الإسلامية التي أشارت في بعض سور القرآن إلى حصول الحدث وغضب سيدنا موسى من أخيه هارون، ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إسرائِيلَ﴾ [الآيات من سورة الأعراف: 148 - 154]، ودقة القرآن في ظلال هذه الآيات في بيان مجريات ما تم من أحداث دون أن يشير إلى نتائج ذلك على النبي هارون ومغادرته المنطقة (قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ(83) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ(84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي(86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا

1- فريحات، مرام، التعبيرات الثقافية والممارسات الدينية الشعبية، بحث أنثروبولوجي في مجتمع إقليم البترا. مجلة دراسات وأبحاث. جامعة الجلفة: الجزائر. العدد 20 (211ـ187)، 2015.

2- الجويلي، د.محمدي، طقوس الاستمطار عادات تستدعي في مواسم الجفاف، صحيفة العرب نُشر في 2016/ 09/ 19، العدد: 10399، ص12. وليام ليبي ـ فرانكلين هوسكنز، م.س، ص233.

مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾،[سورة طه].

لم تشر الآيات القرآنية إلى مشاركة للنبي هارون قومه لما حدث بعد غياب موسى عليه السلام، أو أنه شاركهم في طقوس عبادة العجل، أو أعتزل بني إسرائيل متعبدًا في هذه المنطقة وتم دفنه فيها كما أشارت الروايات الإنجيلية والتوراتية.[1]

يلتقي العناني خادم المقام الأفغاني الأصل الحاج داود، وينقل عنه أنه من بلاد الأفغان، وبأن والده كان من كبار تجارها، وقد أحيط بعناية كبيرة كونه وحيد والديه، وقد كانا من أهل الصلاح والتقوى، وكان أبوه حريصًا على إحضار العلماء والفقهاء والمدرسين لتعليمه الفقه والسيرة والتوحيد وعلوم اللغة العربية؛ حتى أصبح ملمًّا بالسيرة العطرة سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ودفعه الشوق لزيارة قبر الرسول عليه وآله الصلاة والسلام والبيت الحرام إلى أن طلب من والده أن ييسر له الحج إلى الأرض المقدسة، لكن والده طلب منه التريث والصبر حتى يكتمل نضجه، ويكمل نصف دينه بالزواج ويرزق بالولد وارثًا لهما، ويأمن طريق الحج ومشاقها،وقطاع الطرق.[2]

ولما أعيت والده الحيلة ولم يستطع إقناعه، بالتأخر إلى عام آخر حتى تأمن الطريق، هيأ له قافلة كبيرة ورفاقًا صالحين، وزوده بمبالغ مالية تكفي لنفقته مدة طويلة، وعلى أثر ذلك توجه للحج وزيارة المقدسات، وفي الطريق تعرض له قطاع الطرق وسلبوه بعض ممتلكاته الشخصية، وفي عودته قرر أن يقدس (زيارة القدس والمسجد الأقصى)

1- سفر الخروج، إصحاح 32.

2- انظر: العناني، مذكرات، ص 78-80.

وزيارة قبور الأنبياء والأولياء الصالحين، وفي طريق عودته ووصوله إلى معان زار قبر النبي هارون ولما وجده وحيدًا في هذا المكان الخالي، قرر البقاء في خدمته يقول: «وها أنا لا أزال كما تراني في مكاني منذ نيف وأربعين سنة».[1]

ويذكرنا الحديث مع الحاج داود الأفغاني بمفهوم «التقديس»[2]؛ ندعو الله أن يحرر بيت المقدس وفلسطين من دنس اليهود؛ فقد كان «تقديس الحج» في زيارة المسجد الأقصى؛ ـ ليس خاصًّا بالحاج داود ـ فعادة ما تشد الرحال إلى القدس الشريف والمسجد الأقصى، فكان الحجاج يقومون بموجبها بزيارة القدس إلى جانب مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل الحج أو بعده.

وهو ركن أساسي اعتاد الحجاج المسلمين القيام به في رحلة الحج، وعرف ترسخ مع الوقت لربط المسجد الأقصى في ركن الإسلام الأعظم الحج، والمسجد الحرام والمسجد النبوي[3]، فجغرافية القدس وفلسطين لكل من أحبها وعشقها، وإن كانت هويتها الدينية هوية الأمة العربية والإسلامية.

فالمسجد الأقصى، ليس مجرد مبنى، فالموقع بحد ذاته، حافل بالذكريات والشواهد التاريخية، ولم يستطع الغازي في كل أزمنة الغزو والهمجية للقدس والأرض المباركة؛ أن يطمس هوية المكان والإنسان؛ تلك الهوية الجامعة والمتنوعة والإنسانية، ويستبدلها بهوية كاذبة زائفة عنصرية وكان المسلمون يرسلون الزيت لقناديل المسجد الأقصى؛ من أجل إضاءتها، وبعضهم كان يتبرع بالمال، من أجل إيقاد هذه القناديل، التي كان يصل عددها إلى عشرين ألف قنديل تضيء الحرم القدسي الشريف، خاصة في المناسبات الدينية والاجتماعية في الأعياد، مثل عيد الفطر، وعيد الأضحى، وكانوا

1- م.س، ص80.

2- جميل، كامل، «بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين». عمّان، 1992، ص150. محمود، معين أحمد، «بيت المقدس: مدينة كل الأديان»، بيروت: دار الصادق، 1970، ص 50.

3- عثامنة، خليل، «فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، 1187 -1516». بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006، ص150.

يجمعون الزيت في بئر تحت الأقصى.[1]

و لقد كان أهل الأردن تاريخيًّا بعد كل حج، يذهبون الى المسجد الأقصى و القدس، وإذا عدنا إلى الذاكرة، لوجدت في قاموس حياتهم مفهوم وروح ومعنى مصطلح «التقديس» أي تقديس الحج وبشكل أدق إلحاق الحج بزيارة للقدس الشريف و المسجد الأقصى، وهذا يفسر أيضًا، ارتباط أبناء الأردن تاريخيًّا بالمسجد الأقصى والقدس، فهو ارتباط على صلة بالتاريخ والجغرافيا، وممارسات معتادة ارتبطت بالدين والوعي والقرب والخصوصية، والدلالات التي على صلة عميقة بالأماكن المقدسة.[2]

العناني مشاركًا في فعاليات موسم النبي هارون

ولما كان موسم النبي هارون عليه السلام ـ يعد احتفالًا دينيًّا وشعبيًّا في وادي موسى خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تعدى حدود مناطق جنوب الأردن، إلى مناطق فلسطين ومصر، ولا يعرف بالضبط متى بدأ الاهتمام بالزيارات الجماعية تاريخيًّا للمقام.[3]

لم يكن لزيارة مقام النبي هارون؛ سبب محدد للزيارة بعينها بشكل عام، فقد تعود أهالي وادي موسى والمناطق القريبة على زيارة المقام لأسباب تحددها طبيعة الحاجة، وظروف المحتاج، وطالب الحاجة يؤدي جميع الطقوس والشعائر منها: تأدية الصلوات، والعبادات، والدعاء والتوسل، وتمجيد وتعظيم صاحب المقام، ورغبة في الإنجاب والخصوبة، وطلب الشفاء من الأمراض، وخاصة ما يتعلق بالجن ـ حسب اعتقادهم ـ وأن بركة صاحب المقام تنزع الجن من الجسد، وتطرد الشياطين

1- صحيفة الأنباط، عصام الغزاوي، (زيت القدس والخليل).

2- محمود، معين أحمد، «بيت المقدس: مدينة كل الأديان»، ص 60.

3- الرواضية، المهدي عيد، الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب، ص 97ـ98. والنصيرات، محمد، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، موسم النبي هارون، م7، العدد 1، ص110.

والأرواح الشريرة، وتبعث على الحظ، وينزل المطر[1]. ولا بد للزوار قبيل الزيارة من التحضير والاستعداد أفرادًا وجماعات، وتحديد موعد الزيارة للجميع. والزيارة تتم من قبل الجنسين (الذكور والإناث)، ويسمح للإناث بالدخول إلى المقام أولًا وبعد (خروجهن يسمح للرجال بالدخول)، وأحيانًا يتم دخول الرجال والنساء مع بعضهم البعض.

يذكر الشيخ حمزة العربي بعض فعاليات الموسم، وطقوسه، وتحضيراته، وزواره من الأردن وفلسطين،حيث قام بزيارة وادي موسى والبترا عام (1920م)، ولاحظ بعض العادات المتعلقة بالزيارة عند أهالي المنطقة والزائرين، واحترامهم للمقام، ويقول: «إن هناك موسم خاص لزيارة النبي هارون، وقد اعتاد الرجال والنساء والأطفال من وادي موسى، والشوبك، ومعان، وقرى النعيمات، والحويطات، والطفيلة، وفلسطين زيارة المقام، خاصة في فصل الصيف. وفي بعض الأحيان تكون الزيارة في فصل الخريف أو الربيع».[2]

وتبدأ عملية الزيارة (زوارة) عندما يتم المناداة على الزيارة، وإعلان موعدها من قبل المعنيين من شيوخ منطقة وادي موسى، ويتم ترتيب برنامج الزيارة. ويتجمع الزوار بالقرب من مدخل البترا، ويسير الموكب عبر السيق، مغنيين مبتهجين، وفي نهاية السيق يتوقف الموكب عند الخزنة، وتمارس بعض الأنشطة الاجتماعية.

ويرتبط توقفهم بقصة وجود الذهب في الجرة واطلاق العيارات النارية اعتقادًا بأنها خزنة فرعون وقارون، يرقصون ويغنون مبتهجين فرحين مسرورين، ثم يواصلون مسيرهم باتجاه المقام.

ويسلك الزائر للمقام طريقين الأول: يدعى «درب النبي هارون»، («طريق النبي هارون»)، يستخدم الأفراد فيه الدواب مثل: الخيل، والحمير، والبغال، والجمال، وهو

1- العربي، جولة بين الآثار، ج1، ص 116.

2- العناني، مذكرات، ص 65.

طريق طويل إذا ما قورن مع الثاني، حيث يركب كبار السن والنساء والأطفال.

الطريق الثاني: يدعى درب المقربة (طريق الأقرب) يسلك من قبل المشاة، حيث يسلك الشباب ويواصلون السير على الأقدام.

ومن فلسطين إلى البترا استخدمت الطرق التي كانت تستخدم خلال الفترة النبطية، قال: «إن القادمين من فلسطين إما أن يأتوا عبر طريق بئر السبع، ثم عبر طريق وادي عربة، أو عن طريق أم خشيبة، البيضا، ومن ثم السيق، وتمضي الجموع بعدها حتى تصل إلى مقام النبي هارون.[1]

وحالما يصل الزوار إلى المقام؛ تشتد الحماسة، وتطلق الأعيرة النارية، لمضاعفة الحماسة والإعلان بقدوم الموكب. ثم يتوقف الموكب لتأدية الصلوات عند مشاهدة قبة المقام تعظيماً لصاحب المقام، وكان الأهالي يفضلون المجيء يوم الجمعة من أجل الصلاة خصوصًا في فصل الصيف.[2]

ويصف بيركهارت المقام بأنه من أقدس الأماكن التي تزار في المنطقة، وقد تعود الزوار على أخذ الأغنام، ويقدمون القرابين والذبائح؛ نذرًا للنبي هارون، ويحضرون الأطعمة مثل (الأرز، والخبز، والخضار)، وتجري سباقات الخيل والإبل، يصحبها الأغاني والرقص، ويلبس الرجال والنساء أحسن ما لديهم، وأشار إلى وجود أدوات الطبخ من الأواني النحاسية.[3]

وقد أشار الشيخ حمزة العربي كذلك إلى وجود القدور وبعض الأواني النحاسية،تستخدم لطبخ لحم القرابين، وهي وقف على جبل النبي هارون لاستخدامها من قبل الزوار. وعادة يتم تمويل المقام بما يلزمه من احتياجات.[4]

1- العربي، جولة بين الآثار، ج1، ص102ـ107.

2- م.س، ص 120.

3- بيركهارت، م.س، ص272.

4- العربي، جولة بين الآثار، ص17.

وجرت العادة أن يقوم خادم المقام على زيارة الفلاحين في موسم الحصاد، لأخذ «صاع النبي هارون» من محصول القمح والشعير، وغيرها على شرف النبي هارون، كما يقوم بزيارة بعض المناطق منها الطفيلة؛ من أجل إحضار ما يطلق عليه «صاع النبي هارون» من زيت الزيتون لإضاءة المقام، وكان يأخذ من كل ما يتعلق بالثمار والمزروعات التي تسقى وتروى من مياه عين موسى؛ يكُرس لمقام النبي هارون.[1]

شارك العناني المحتفلين في موسم النبي هارون وفعاليات الموسم من سباق الخيل، والرماية، والتي تقام على هامش الزيارة وبذلك يكون شاهد عيان على هذا المهرجان السنوي، والذي لا يختلف عن مواسم أخرى في فلسطين ـ كما ذكر ـ كموسم روبين، وموسم النبي صالح، فعادة ما يكون موسم النبي هارون في مطلع الربيع، حيث بداية موسم الخير من اللبن والسمن والجميد؛ يستعد أهالي وادي موسى والمناطق المجاورة لزيارة النبي هارون استعدادًا مميزًا عن غيره من الأعياد والمواسم، يجهزون من نتاج سنتهم من اللبن، والسمن، والحبوب، وكل جديد من خيرات العام، ويقدمون الذبائح والنذور، تبركًا، وشفاعة، وغفران الذنوب، ورغبة في قضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، ترتدي النساء أجمل ما لديهن من أثواب طويلة فضفاضة، وبقدر ما يكون الثوب فضفاضًا وطويلًا واسعًا، وأكثر طيات بقدر ما يعبر عن حالة أكثر غنى ويسر لدى الإنسان، ويطلن ويرققن الحواجب، ويكتحلن، ويتعطرن، ويقول العناني: «وكانوا يعيرونني ـ أي مناطق الخليل وحلحول بلد العناني ـ لأن ثيابنا لا تحتوي إلا على طية واحدة. ثم يزججن حواجب (زَجَّجَتْ حاجِبَها: رَقَّقَتْهُ وَطَوَّلَتْهُ) العيون، ويخرجن خصلًا من الشعر هفهافة من تحت غطاء الرأس.

أما زينة الشباب فأثواب فضفاضة، عباءات رقيقة تداعب الريح، شعورهم جدائل وذوائب تتدلى على صدورهم، ويكحلون عيونهم ويتطيبون، يمتطون ظهور الخيل المطهمة (جَوَادٌ مُطَهَّمٌ: مُكْتَمِلٌ، تَامٌّ، مُتَنَاهٍ فِي الرَّشَاقَةِ)، وسيوفهم تتدلى على جوانب

1- انظر: العناني، مذكرات، ص 103-105.

خيولهم، وبنادقهم على أكتافهم، والمشاة مسلحين بالبنادق.وتسير خلفهم الصبايا والصغار وهم بأجمل زينتهم.[1]

يتقدم الجمع شيخ دين معروف بالصلاح، والتقوى، والطهر، وحسن الطالع، فيسير أمام الجميع مفتتحًا الموسم، وبعد أن يقرأ سورة الفاتحة، يخرجون من القرية متوجهين إلى البترا.

وأثناء المسير، يبدأ الجميع بالتراتيل، والأغاني، والأهازيج، والزغاريد، فرحين مبتهجين، ويبدأ سباق الخيل والرماية عند الوصول إلى باب السيق (بداية البترا)، كل يشجع رجال العشيرة وفرسانها ورماتها، والزغاريد والرقص يملأ المكان،كلما أصاب الهدف فارس من فرسان القبيلة، وتكرر الرماية والسباق بعد الخروج من السيق أكثر من مرة، نهايتها في ساحة فسيحة على رأس الجبل؛ حتى إذا ما وصلوا المقام على قمة رأس الجبل، والذي يبعد ما يقرب من عشر كيلومترات إلى الجنوب الغربي من البترا، وتصعد من الساحة الفسيحة في طريق وعرة لتصل إلى رأس قمة جبل النبي هارون، حيث يتراءى للمشاهد وادي عربة والجزء الجنوبي من فلسطين، فيقوم البعض بقراءة الفاتحة والأناشيد الدينية، وبعضهم يصلي ركعتين، ويتناول الجميع وجبة الغداء، ويمارسون مختلف طقوسهم. وعند العودة يعودون كما جاءوا في غناء وأهازيج ورقص، وعند مشارف قرية وادي موسى يقيم المشاركون في الموكب سباقات الخيل والرماية، حيث يستقبلهم السكان (ممن لم يخرجوا مع الموكب)، ولا يتخلف منهم شيخ كبير ولا طفل صغير، ويشاهدون عروض السباق والرماية والأنشطة المختلفة حتى المساء.[2]

1- معجم المعاني الجامع. انظر: العناني، مذكرات، ص104ـ105. والمجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م7، العدد الأول، 2013، النصرات «موسم النبي هارون في البترا» تاريخ الموسم والمقام.

2- انظر: العناني، مذكرات، ص104ـ105. والمجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م(7)، العدد الأول، 2013، النصرات «موسم النبي هارون في البترا» تاريخ الموسم والمقام.

لقاء العناني ماري الأرمنية وعلاقة الأردن بالمشكلة الأرمنية

يقيم الشعب الأرمني في المرتفعات الأرمنية، وينتمي إلى العرق الآري (الهند أوروبي). خضع الجزء الغربي من أرمينيا التاريخية، والمعروفة باسم أرمينيا الغربية للسيطرة العثمانية في عام (1555م) ـ والذي تمت الإشارة إليه فيما بعد، باسم أرمينيا «التركية» أو «العثمانية» ـ.

ولقد عملت الدول الأوروبية على تفكيك الدولة العثمانية، ومحاولة إضعافها وتقاسم ممتلكاتها، من خلال زيادة حدة الصراعات بين القوميات والأعراق، ومنها القومية الأرمنية، والمطالبة بالإصلاحات داخل الدولة العثمانية.

ورفض السلطان عبدالحميد الثاني (1867 ـ1909) تنفيذ الإصلاحات بشأن المشكلة الأرمنية، وأن التقارير الأوروبية بشأن مشكلة الأرمن لا أساس لها، وأنها مفتعلة.[1]

ولكن الدول الأوروبية في عام (1895م)، أجبرت السلطان عبدالحميد على مجموعة من الإصلاحات. والتي تهدف إلى تقليص سلطات الدولة وإضعافها، ولم تنفذ هذه الإصلاحات، مما دفع الحركات الثورية الأرمنية عام (1895م)، إلى المطالبة بإجراء وتنفيذ الإصلاحات وذلك بالقيام بأعمال ثورية ضد الدولة، والتي جوبهت بعنف من قبل السلطات التركية؛ بين سنتي (1894 ـ1896م)، واتهم السلطان عبدالحميد الثاني بارتكاب مجازر دموية، ومحاولة إبادة الشعب الأرمني.[2]

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى؛ وقفت الحركات الثورية الأرمنية إلى جانب روسيا في الحرب ضد الدولة العثمانية؛ على أمل الحصول على الدعم الروسي من أجل الاستقلال، مما اعتبره العثمانيون سببًا بإلحاق الهزيمة بهم، وفي عام (1915م) وخلال الحرب التركية ـ الأرمنية في عام (1920م)، وعلى يد جمعية الاتحاد والترقي، جرت

1- عبد الحميد الثاني (1979م)، مذكراتي السياسية 1891ـ1908، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص 100.

2- م حمد فريد بك (1981م)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، بيروت: دار النفائس، ص55.

عمليات قتل، وتهجير للأرمن[1]. وهجر كثير من الأرمن في مختلف أصقاع العالم، وتوافد على الأردن مجموعة من المهجرين.

واستقر الأرمن في الأردن في مناطق عديدة في معان، الشوبك، الكرك، مأدبا، والرصيفة. أما اليوم فأغلبهم في عمان وخاصة منطقة الأشرفية، وإربد ومأدبا والزرقاء[2]. ولم تكن مارية الأرمنية إلا من إحدى العائلات الأرمنية المهجرة، قدمت إلى جنوب الأردن (وادي موسى)، والتي أشار إليها العناني أثناء اللقاء بها في مدرسة وادي موسى؛ وكانت قد تزوجت من الحاج داود الأفغاني خادم مقام النبي هارون وأنجبت منه الأولاد، والتي أكدت خلال اللقاء على أن مشكلتها ومجيأها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمشكلة قومها ومعاناتهم، وعندما وجدت في الأردن وأهله مقرًّا آمنًا وحاميًا فضلت العيش والاستقرار فيه.[3]

1- شاكر، محمود (1987م)، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، ص55.

2- الأرمن كأحد وجوه عمان المشرقة، جريدة الدستور، محفوظة، 2016 على موقع واي باك مشين.

3- الأرمن والأردن، جريدة الغد، نسخة محفوظة، 2016 على موقع واي باك مشين.

الفصل السادس

الأحوال الاجتماعية

المرأة الأردنية في عهد الإمارة

المرأة الأردنية نتاج حضارة عربية إسلامية لها سماتها وصفاتها ومساهمتها في جميع المجالات الحياتية، حملت هذه الحضارة في ثناياها العادات والتقاليد والنظرة المحترمة لخصوصية المرأة، تبرزها العادات والتقاليد من احترام في شؤون حياتها الخاصة والعامة، وهناك من تناول قضية المرأة كعنصر مستقلّ عن باقي قضايا المجتمع، لكنها تظلّ إشكاليّة تاريخية واقعًا وفكرًا، تضرب جذورها عميقًا في حياة الجنسين الاجتماعية.

ويلاحظ أن معاناة المرأة في العالم، إنما هي جزء من معاناة المجتمعات البشرية، فما الرجل والمرأة إلا صورة واحدة لكائن بشري واحد هو الإنسان، وإنّ الظلم يقع على كاهل الرجل والمرأة معًا؛ لكن المرأة ربما تعاني أكثر من واقع التهميش والاستغلال، والإقصاء، والجرائم، والعنف الجسدي والنفسي، والنظرة الدُّونيّة.

ومن أهمّ مظاهر الظلم، الأميّة، والبطالة، والعنف، وعدم المساواة، وحرمانها من حقوقها، ولم يكن وضع المرأة العربية والأردنية مختلفًا عمّا كان عليه الوضع عالميًّا، حيث مرّت بمراحل من التمييز، أدّى إلى قيود على حقوقها وحريّاتها، والكثير منها يرجع إلى الموروث الثقافي والمعتقدات الاجتماعية، رغم أنّ الإسلام ركّز في جميع تعاليمه وأحكامه على رفعة المرأة وتعزيز مكانتها، وكان اهتمام الإسلام بالمرأة سبّاقًا ونوعيًّا، عززته عادات وتقاليد عربية رسخها وبنى عليها.

إلا أن العهد التركي خلف تركة ثقيلة من التخلف والجهل، حيث ورثت الإمارة تركة كبيرة بكافة أبعادها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية الأمر الذي استوجب النظر في كل شأن نسوي من أجل بناء دولة القانون والمؤسسات؛ فكانت بدايات المرأة الأردنية وبروز دورها مع بداية عهد الإمارة في العام 1921م، فقد عملت الدولة على مواجهة كل التحديات التي تقف عائقًا أمام تقدم المرأة وتمكينها ونيل حقوقها التعليمية والاقتصادية ومساهمتها في مختلف القطاعات.[1]

حيث كان المجتمع الأردني في عهد الإمارة مجتمعًا أبويًّا، ولم تكن الفرصة متاحة للمرأة الأردنية في التعليم كما كانت متاحة للرجال الذكور، وكانت المدارس محدودة للجنسين، لكن التعليم في عهد الإمارة نمى وتطور بشكل متسارع في مجال شؤون المرأة وتمكينها في كافة مجالات الحياة، ويلاحظ الباحث مدى الأهمية القصوى التي أولتها الدولة في الخطط الإستراتيجية المتتابعة من الحرص على توفير كافة السبل التي تهيئ للمرأة التعليم والصحة والمشاركة السياسية، والتمكين في كافة المجالات الحياتية. وعلى الرغم من أن المرأة في عهد الإمارة لم تدخل مجالات العمل خارج المنزل إلا أنها كانت حاضرة وشاركت الرجل في الأعمال الزراعية، وتجهيز المحاصيل داخل وخارج المنزل إضافة إلى العناية والاهتمام بالأطفال وقد أثبتت وجودها في كافة هذه المجالات خلال هذه الفترة.

العادات والتقاليد الأردنية في الزواج

مجتمع الريف والبادية مجتمع مفتوح بطبيعته؛ فلا أسوار، ولا جدران لبيت الشعر أو بيت الطين، وكثير من الأعمال تمارس جماعيًّا معًا. وعلاقة الرجل بالمرأة تقوم على التفاهم، والتعاون، والثقة المتبادلة في أغلبها، وأبناء القبيلة من الرجال والنساء تربطهم أواصر القربى وعلاقة الدم؛ما يجعل المحافظة على شرف القبيلة مسؤولية جماعية وفردية في آن واحد.

1- الموسى، إمارة شرقي الأردن، ص19،67. والشناق، عبدالمجيد، م.س، ص435،

وفي ظل مجتمع فطري تصبح العلاقة بين الرجل والمرأة من الأمور الطبيعية، ويصبح الحب العذري، وتبادل عبارات المودة والإعجاب بين الرجل والمرأة من الأمور الطبيعية التي ينظر إليها المجتمع بشيء من التفهم والتسامح والتغاضي.

لذلك نجد أن المرأة لا تجد حرجًا في التعبير عن إعجابها بالرجل بأبيات شعرية عذبة يرددها السمار، ويحدوا بها الركبان. على الرغم من محافظة المجتمع، وحرصه على التمسك بالسجايا والأخلاق الحميدة؛ لا يجد غضاضة في تداول الأشعار الغزلية وروايتها لما فيها من العفة والحث على مكارم الأخلاق، والمرأة تتغزل بابن عمها الذي لا تعشقه لوسامته أو ثروته أو جمال هندامه؛ بل لما يتمتع به من شهامة وشجاعة وكرم ونبل ومروءة. وهذا ما يختلف فيه الغزل النسائي الذي يتمحور حول قيم الفروسية ومعاني الرجولة الكاملة، عن الغزل الرجالي الذي غالبًا ما ينحى منحىً حسيًّا يتمحور حول وصف المفاتن الجسدية للمرأة.[1]

ومع تغير المفاهيم والعادات والتقاليد التي طرأت على المجتمع العربي الأردني بريفه وباديته وحاضرته، ظل الأردنيون يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم، وخاصة في الزواج والخطبة والمهر والحفل (العرس).[2]

فالزواج ظاهرة فرح اجتماعي، ترتبط بمجموعة من المظاهر والطقوس فرضتها طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي يحياها الإنسان في البادية والريف في أجواء مفعمة بالأحاسيس والمشاعر حول ينابيع وغدران المياه، ودروب الصحراء والفيافي والفضاءات الواسعة، والسهرات والتعاليل على ضوء القمر.[3]

تبدأ مراسم الزواج عند أهل البادية، والريف وفقَ القاعدة الشرعية أي الإيجاب والقبول؛ بحيث تسبقه مقدمات يقوم بها موفد من طرف الخاطب إلى أهل الخطيبة

1- حمد، نوره، «الرجل في شعر المرأة البدوية»، مدونة شخصية ثقافية (رفة البيت)، لأحد، 29 مايو 2016.

2- انظر: خريسات، صالح، تقاليد الزواج في الأردن، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع، 1991م، ص 19ـ20.

3- انظر: العبادي، أحمد عويدي، المناسبات عند العشائر الأردنية، (سلسلة من هم البدو)، ط2، دار البشير، دار العويدي، عمان، 1989م، ص189.

ليأخذ رأيهم حول الموافقة، أو عدمها وغالبًا ما يكون الطرف من النساء. وإذا ما تمّ الإيجاب والقبول، يتم تحديد المهر، وتراعى فيه القدرة المالية، تقرأ الفاتحة ويذبح أهل الخاطب ذبيحتهم، ويتم إعلان الخبر والأفراح، وتتميز مرحلة الزواج للفتاة في المجتمعات العربية بخاصية عامة على مختلف شرائح وفئات المجتمع، وهو الزواج من الأقارب، فاستشارة الفتاة غالبًا ما تكون صورية في هذه الحالات.[1]

زواج القصلة

كان البدو قلما يلجأون إلى القاضي الشرعي أو المأذون لتوثيق عقود الزواج لديهم، ويلجأون إلى طريقة خاصة بهم في إشهار الزواج؛ حيث يمسك ولي أمر الفتاة قصلة قمح أو شعير أو أي نبتة أخرى، ويعطيها ولي أمر العريس أو كبير الجاهة قائلًا له: (خذ هذه قصلة فلانة بنت فلان إلى فلان بن فلان بسنة الله ورسوله)، فيتناول الخاطب القصلة ويقول: «قبلتها زوجة لي بسنة الله ورسوله»[2]، وفي حالة الطلاق يقول الزوج لولي الأمر، أعيد إليك قصلة فلانة.

المهور

فرضت الظروف الاقتصادية نفسها على المجتمع الأردني في كافة مناطقه، فكانت ظاهرة المهور العينية السائدة في مناطق الأردن وبالذات في المناطق الجنوبية.

فبعد الإيجاب والقبول يتم تحديد المهر[3] والذي لا يختلف كثيرًا من منطقة الى أخرى في الأردن، ففي الغالب يكون عبارة عن حلي ذهبية، وخيمة، ومجموعة من رؤوس الإبل أو الأغنام، وربما يكون هناك قطع من الأراضي من ضمن المهر، أو بعض

1- انظر: عبيدات، سليمان أحمد، دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، مؤسسة مصري للتوزيع طرابلس، د.ت.ط، ص13ـ16.

2- انظر: العبادي، المناسبات عند العشائر الأردنية، ص 189.

3- انظر: خريسات، تقاليد الزواج في الأردن، ص 19ـ20.

الأسلحة مما يمتلكها العريس أو والده، والقربى لها دور مهم في تقدير المهر فيجري تسهيله وتخفيضه لإتمام زواج ابن العم من ابنة عمه أو الأقارب الآخرين من أبناء العمومة؛ وربما يخفف حتى يستطيع أهل المرأة رده إذا لم يحدث اتفاق بين الزوجين ـ أي في حالة الطلاق ـ.

حفلات الزفاف وأيام العرس[1]

يبدأ الحفل ليلة الخميس، ويستمر عادة سبعة أيام بلياليها، ويعد الصيف أو (القيظ) أكثر الفصول مناسبة لمواسم الأفراح والسهرات والتعاليل الدافئة، ولا يوجد اختلاط في حفلات الزواج، فالنساء يحتفلن وحدهن، والرجال يلهون ويغنون ويمارسون سباق الخيل، وتمارس الرماية وإطلاق العيارات النارية في ميادين الرماية، وليست بالصورة التي نراها اليوم في المناسبات والأفراح؛ بل هناك تنظيم وترتيب في ميادين الفروسية والرماية، وأيام الفرح والعرس في المجتمع الأردني أيام جميلة؛ يقام (المهرجان الأسبوعي) بحضور الأهل والأقارب والأحباب، ويتسم ببساطته وصدق تعبيره عن فرح الأسرة، حيث تجهز الذبائح من الأغنام والإبل؛ دون إسراف أو تبذير؛ ويشرف على ذبحها وطهيها الرجال، وتتم مراسم الزفاف في مضارب الأهل والعشيرة، حيث يسكن العروسان، ويقضيان ما يزيد عن أسبوع معًا في بيت الزوجية الجديد سواء في بيت من الطين، أو خيمة جهزت للعروسين تدعى (البرزة ـ خيمة صغيرة) بالقرب من خيام الأهل والأقارب.

العنف ضد المرأة ومواجهة الدولة والمجتمع الأردني له

أن زواج الأحفاد أو زواج أولاد العمومة أو الخؤولة من العادات والتقاليد التي كان لها حضور في المجتمع العربي والأردني، وهذا العرف الآن في طريقه إلى التلاشي

1- عبيدات، دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، ص83ـ85. بيركهارت، ملحوظات عن البدو والوهابين، ترجمة أحمد عويدي العبادي، ص 183ـ188.

والزوال، بحكم انتشار القيم الفردية من خلال التحضر، والتعليم، والمدنية، فضلًا عن ضعف العلاقات الاجتماعية.

وكان المجتمع يعد زواج الأقارب مثاليًّا؛ ويقوم بتشجيعه، ويعطي ابن العم الأحقية والأفضلية في الزواج من ابنة العم، بل منعها من الزواج من غيره إذا كانت لا ترغب بالزواج منه، وكما يقال في المثل الشعبي «ابن العم ينزل ابنة عمه عن ظهر الفرس» أحد الأمثلة التي تشجع زواج الأقارب؛ وبرغم أن هذه الظاهرة قلّت، إلا أنها لا تزال موجودة ضمن أوساط معينة؛ كالزواج بين العائلات الثرية اليوم التي تعتقد بوجوب عدم تفتيت ثروة العائلة ووصولها إلى يد أحد من غير العائلة «الغريب».

وهي شكلٌ من أشكال العنف ضد المرأة عالميًّا، ولم ينحصر العنف في هذا الشكل، بل اتخذ أشكالًا عدة في مجتمعات كان من ضمنها حالات في المجتمع الأردني، منها:

• العنف الجسدي: ويشمل ممارسة القوة الجسدية، بطرق تلحق الأذى بجسده المرأة، على شكل قتل ، أو ضرب، أو صفع، أو غير ذلك.[1]

• العنف النفسي: يرتبط العنف النفسي بالعنف الجسدي، إذ إنّ المرأة التي تتعرّض للعنف الجسدي تعاني من آثار نفسية، ويُمارس من خلال أساليب منها إضعاف ثقة المرأة بنفسها، والتقليل من قدراتها وإمكانياتها، وتهديدها، ويظهر أثره عن طريق شعورها بالخوف، أو الاكتئاب، أو فقدان السيطرة على الأمور من حولها، أو القلق، أو انخفاض مستوى تقديرها لذاتها.[2]

• العنف اللفظي: وهو النوع الأكثر انتشارًا ، ويعدّ من أكثر أشكال العنف تأثيرًا على الصحة النفسية للمرأة، وقد يكون من خلال شتم المرأة بألفاظ بذيئة، أو إحراجها أمام الآخرين، أو السخرية منها، أو الصراخ عليها.[3]

1- أبو زيد، رشدي شحاده، العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، ط1، دار الوفاء، مصر، 2008م، ص 76ـ80.

2- رفيق، محمد أحمد، العنف ضد المرأة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص22.

3- انظر: أبو غزالة، هيفاء، برنامج تدريب مدربين حول مناهضة العنف ضد المرأة، 2013م، ص16.

• العنف الاقتصادي: محدودية وصول المرأة إلى حقها المالي، وعدم مشاركتها في اتّخاذ القرارات المالية، والتحكّم في حصولها على الرعاية الصحية، والعمل، والتعليم، وغيرها، ويعود إلى دوافع مختلفة منها دوافع اجتماعيّة تستثني وتقلّل من فرص المرأة في التعليم، والعمل، وثقافية تشمل تقبّل العنف وسيلة للحلّ وتسوية الخلافات بين الأفراد. ونفسية تشمل تعرّض الشخص أثناء طفولته للإيذاء، ومشاهدته العنف بين والديه، وفي مجتمعه، واقتصادية والسبب ضغوطات الحياة والظروف الاقتصادية الصعبة (الزواج بالإكراه طمعًا بالمال أو الجاه).[1]

وما نتج عن ذلك من آثار خطيرة على المرأة، والمجتمع، والدولة؛ من أعباء مادية ومعنوية، إذ شكّل عائقًا لها في الأنشطة المجتمعية، وساهم في عزلتها، وعدم قدرتها على العمل، وهي ذات تكلفة اقتصادية تؤثر سلبًا على النمو والرفاه والمشاركة الاقتصادية المجتمعية، إلى جانب تأثيراته على المرأة من الناحية الصحية والتعليمية.

لذا اعتبرت الدولة الأردنية أن القضاء على العنف بكافة أشكاله؛ استثمارًا اقتصاديًّا يتمثل في خفض التكاليف المباشرة كتكاليف العلاج من الإصابات الجسدية والنفسية، والمستلزمات الطبية والأدوية، والتكاليف غير مباشرة كتلك المتعلقة بتدني إنتاجية المرأة؛ وضعف مساهمتها في الناتج المحلي..

وعملت الدولة الأردنية على سن التشريعات والقوانين التي من شأنها تعزيز وحماية حقوق المرأة؛ لما لها فائدة مالية واجتماعية وتعليمية على المجتمع بأكمله.

ففي ميدان التعليم في البلاد ومنذ بداية نشوء الدولة، عملت على توفير الشروط الموضوعية لنشر التعليم وتعميمه ليشمل كافة قطاعات المجتمع، وكانت تعتبر عملية التعليم ونشره هي الأهم والأصعب من أي مجال آخر، والأكثر تكلفة على الاقتصاد، لكنه يفتح المجال واسعًا لاستغلال طاقات المجتمع الكامنة بأفضل وجه، ويمكن

1- م.س، ص 19ـ20. وانظر: جون لويس بيركهارت، ملحوظات عن البدو والوهابيين، ترجمة أحمد عويدي العبادي، ص183ـ188.

الجميع من تحقيق وفرة اقتصادية من خلال استخدام الطاقات البشرية تلك داخليًّا وخارجيًّا.

وخضعت عملية نشر التعليم وتطويره إلى الشروط المالية القاسية التي عانت منها الدولة؛ الإ إن الإنجازات في مجال التعليم كانت حقًّا قصة نجاح، خاصة عندما نفكر بتكافؤ فرص دخول المدارس للبنات والبنين على حد سواء. على صعيد كل مستويات التعليم، فإن معدلات الالتحاق هي متساوية بين الجنسين إن لم يكن الميزان يميل لصالح الإناث، كما هي الحالة بالنسبة للتعليم في هذه الأيام، وسار الملوك الهاشميون على نهج الملك الهاشمي المؤسس، ففي ظل قيادة جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين منح المرأة المكانة اللائقة بها، عملًا لا قولًا، وتبوأت كثيرًا من المراكز الحساسة، فهي الوزيرة، وعضو في البرلمان، والمحامية، والأستاذة الجامعية، والطبيبة.. إلخ

زواج العناني الأول في منطقة وادي موسى

استطاع العناني أن يعيش حياة المجتمع بكامل تفاصيلها الدقيقة خلال السنوات التي أمضاها في جنوب الأردن، بمختلف الشرائح الاجتماعية وطبيعة عادات وتقاليد المجتمع، ويبدو أن لصاحبه هارون ولد موسى الطويسي دوره الأكبر في ذلك، وعكسها بصورة صادقة وأمينة، فقصة زواجه الأول من (غضية) وهي بنت بادية أحبها وأحبته، لكن هذا الزواج انتهى بالفراق على الرغم من كراهيتهم الاثنين للطلاق، ورغبتهما بالاستمرار، لكن رغبة بنت البادية بالحرية، والبقاء في مضارب الأهل والعشيرة تفوق البقاء داخل جدران مغلقة، وتحضرني وأنا أقرأ قصة زواجهما قصة زواج ميسون الكلبية[1] زوجة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وأم الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، وهي صاحبة القصيدة الشهيرة الآتي منها بعض الأبيات التي تمجد فيها حياة البادية وحريتها بعيدًا عن المدينة وقيودها. وتعد هذه القصيدة

1- ابن كثير، البداية والنهاية لابن كثير، ج8: زوجات وأبناء معاوية بن أبي سفيان (سنة إحدى وأربعين).

الشعرية واحدة من أشهر القصائد النسائية في التعبير عن الحنين إلى العودة للعيش في البادية عن مجتمع المدن متزايد التحضر، ومنها:

ولبس عباءة وتقر عيني	أحب إلي من لبس الشفوف
وأصوات الرياح بكل فج	أحب إلى من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني	أحب إلي من قط أليف
خشونة عيشتي في البدو أشهى	إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلًا	وما أبهاه من وطن شريف

لم يستمر زواج العناني من بنت البادية (غضية) إلا أربعة أشهر يقول العناني: «عشت مع غضية أربعة أشهر بكاملها كأنها ساعة »، لقد أعد العناني لزوجته غضية بيتًا في وادي موسى من أفضل المساكن في وقته، ولكنها رفضت الاستمرار والعيش بين أربعة جدران، بعيدًا عن الأهل والعشيرة، رغم شظف العيش والترحال، والعناني لم يتعود العيش في لهيب الصحراء، والحل والترحال، لقد لخص كل منهما طبيعة الحياة التي يعيش والتي تشظت عليها صخرة حبهما.

أما غضية فكان موقفها يتلخص في بيت من الشعر العامي تجمل فيه حياة الحضر بعيدًا عن مضارب الأهل والعشيرة في البادية تقول فيه:

يا حسرتي يوم سكروا علي الحوش ـ واسمع نهيق العير (الحمير) أحسبه حنين البوش (الإبل)

والعناني يقول: «هل تعتقدين أنني أستطيع العيش على حبات من التمر وقليل من الشنينة؟؟؟»

لقد انتهى زواجهما بعودة غضية إلى أهلها وفراقهما ولكن بالحسنى وتنازل العناني عن كافة حقوقه وفاء للعشرة.[1]

1- العناني، مذكرات، ص 88ـ101.

ربما كان نمط الحياة والفوارق الاجتماعية، تؤدي إلى وجود خلافات بين الأزواج كهذه؛ وغالبًا ما تسفر عن ظلم المرأة في مجتمع ذكوري، ولكن الباحث يشعر أنه كان هناك قبولًا اجتماعيًّا لخروج المرأة عن العادات والتقاليد إذا كانت محقة في أسباب خروجها قبل الزواج وبعده، وإنها ربما تكون أكثر حرية في البادية والريف على الرغم من الممارسات الظالمة التي قد تحدث، وسيأتي لنا العناني بصور أخرى تشعرنا بأساليب خضعت فيها المرأة للظلم، وأخرى قاومت بكل شراسة ما وقع عليها من ظلم..

فشل خطبة العناني في محاولة زواجه الثاني وأسباب الفشل

وأشار العناني في معرض حديثه عن محاولته الزواج مرة أخرى من المنطقة إلى جانب من شؤون المرأة ومعاناتها، وآثار ذلك على كافة الأطراف، ومنها ما تعرض له شخصيًّا، ومن تقدم لخطبتها، بعد فشل زواجه من «غضية « وما أنعكس من آثار ليس على المرأة فقط، بل عليه نفسه، على الرغم من أنه لا زال في ريعان الشباب، قائلًا: «لقد تركت غضية في نفسي فراغًا لم أستطع ملأه وجعلت وصديقي هارون نقضي معظم أوقاتنا في الصيد والرحلات».[1]

فقد حاول العناني مرة أخرى الزواج من فتاة من المنطقة ذات جمال وخلق، لتقف العادات والتقاليد والممارسات السيئة بينهما كدور ابن العم في المنع والزواج والأحقية، ويسرد العناني لصديقه هارون حكاية هذه الفتاة التي أراد الزواج منها فلا يجد إلا التحذير بعدم التفكير في التقدم لخطبتها بقوله ـ أي صديق العناني هارون الطويسي ـ: «دع عنك هذا إن لهذه الفتاة حديثًا طويلًا، لقد مات أبوها وخلفها يتيمة، ولكن أمها قامت على تربيتها وتعهدتها أكثر من الرجال، فنشأت في أحضان الدلال فنبتت زهرة شامخة، يفوح شذاها فيملأ جنبات الوادي ـ أي وادي موسى ـ عطرًا، وتهافت الشباب والموسرون كل يطلب يدها والكل يتمنى أن تكون من نصيبه، غير

1- العناني، مذكرات، ص102.

أن الله سبحانه وتعالى ابتلاها بابن عم لها، عابس الوجه مقطب الجبين، لو اطلعت إليه لاشتد بك الخوف ولملئت منه رعبًا، يملك بندقية وحزامًا من الذخيرة، ولا يملك من حطام الدنيا غيرهما.... ثم أبقاها على هذه الحال خمس سنوات، لا يستطيع أحد أن يدنو منها، ولا يستطيع هو أن يجد رغيفًا من الخبز يأكله، فكيف يستطيع تدبير نفقات الزواج، ودفع المهر، وفتح بيت للزوجة؟؟».[1]

على الرغم من تحذيرات صديقه، تقدم العناني طالبًا يد الفتاة؛ بعد التخلص من ابن عمها الأول عن طريق أخيه الأكبر بالرشوة، ولكنه فوجئ والجاهة المؤلفة من كبار القوم ومشايخ وادي موسى باعتراض هذا الأخ الأكبر مطالبًا بأحقيته ببنت عمه هو أيضًا ـ وهو كما يصفه العناني ـ «متزوج من زوجة تهابها أسود الغاب وأولاده يملأون عليه البيت، وليس له عمل ولا يملك من الأنعام خابطة ولا من الأرض مفرش عباءة، يقف أمام الجاهة، قائلًا: ترى بنت عمي دخلية على الشريف شاكر.... ثم قال: أنا أريد بنت عمي لي، ويعيرني الناس إذا أخذت مني.... تقطع عنقي ولا أتخلى عنها.... وخرجت أمها من خدرها صائحة مولولة: أنني لا أعطي ابنتي إلى شخص بعض أولاده من سن ابنتي، وبكت»[2]، لقد تمت خطبتها من ابن عمها على الرغم منها، وعلى الرغم من أمها التي لا حول لها ولا قوة.

وعاد العناني بخفي حنين وفشلت الخطبة، ولم تقف على هذا؛ لقد أشار العناني إلى ما تعرضت إليه الفتاة بعد زواجها من صنوف الأذى الجسدي والنفسي من قبل ابن العم الزوج، وما لحق العناني من الأذى ومحاولة قتل باءت بالفشل، وأعقبها قيام المدعو بتقديم شكوى كيدية بحق العناني واتهامه بإفساد العلاقة الزوجية، ويطلب نقله من وادي موسى فأجيب طلبه، وينقل على أثرها العناني إلى الشوبك المحطة الأخيرة في الأردن، وبعدها عاد إلى فلسطين.[3]

1- م.س، ص103.

2- العناني، مذكرات، ص109.

3- م.س، ص106ـ111.

ويشعر الباحث أثناء قراءته للمذكرات أن المرأة الأردنية لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما تتعرض له من عادات وتقاليد وممارسات تستهدف كيانها وشخصيتها ووجودها وأن هناك رفضًا ومقاومة وخروج في بعض الأحيان على العادات والتقاليد، وخاصة مع بداية وعي وتجاوب من قبل الأهالي والدولة التي بدأت تؤكد على أهمية دور المرأة في التنمية والمجتمع، وتقف مع المرأة في مواجهة العادات والتقاليد والمعتقدات التي تمارس العنف.

فقد أشار العناني إلى بعض حالات الظلم التي واجهت المرأة ودعتها إلى المطالبة بحقوقها، ورفض بعض الممارسات الاجتماعية التي تنتقص من حقها في العيش والحياة الفضلى، وقد كان لإدارة الدولة وموظفيها وعامليها من معلمين، وأطباء، وغيرهم الدور الأكبر في نشر الوعي والتعليم والتثقيف ومحاربة المعتقدات والممارسات الخاطئة في المجتمع.

وكان يعول على المعلم ويلقى على كاهله في ـ كثير من الأحيان ـ حل مثل هذه القضايا الاجتماعية والمعتقدات الدينية والممارسات السائدة بعد تحسن صورته في عهد الإمارة عما سبق؛ حيث عملت الدولة على تقدير المعلم واحترامه، والتأكيد على أن المعلم ليس سائلًا من الدرجة الأولى وهي الصورة التي سادت في المجتمع سابقًا، والتي أعطاها معلمو الكتاتيب في الفترات السابقة الذين كانوا يتناولون أجرهم أرغفة من الخبز والبيض، وما يجود به أهالي الطلبة من الأطعمة وغيرها.[1]

فقد أشار العناني سابقًا في حديثه عند مغادرته بصيرة باتجاه وادي موسى إلى استنجاد أهل فتاة به في منطقة من المناطق التي مر بها أثناء مسيره إلى وادي موسى، وكانت الفتاة في حالة غيبوبة تامة؛ معتقدين بأنه مس من الجن راجين الخطيب (المعلم) العناني علاجها، وبعد أن أفاقت من غيبوبتها وحاز العناني على ثقتها ـ على حد قوله ـ وفي أثناء الحديث معها أشارت إلى كراهية الارتباط بزوجها قائلة: «زوجني أبي طمعًا

1- م.س، ص 84.

في ماله الوفير.». وخلال لقائه بالزوج وحديثه معه أدرك أن معاناة المرأة تلك سببها هذا الزواج غير المتكافئ.[1]

وقد أشار العناني إلى حالات من رفض المرأة للعلاقة الزوجية وطلب المفارقة، وإن كانت يومئذ لا تلقى قبولًا كاملًا من المجتمع الأردني في عهد الإمارة، لذلك دعيت في مسميات اجتماعية تثير الاشمئزاز والاحتقار فتدعى (المرأة الطامح) وهي المرأة التي تطلب الطلاق من زوجها، وتغادر إلى بيت أهلها أو ولي أمرها، أو أحد أقاربها، وترفض الرجوع إليه لأسباب عدة، وإن كانت بعض هذه الأسباب منطقية ومحقة ومنها رغبة الزوجة بالإنجاب إن كان الزوج يعاني العقم (العنة ـ الضعف الجنسي)، وقد أشار العناني إلى حالة من هذه الحالات تطلب فيها الزوجة الطلاق وهي محقة: «...وقد مضى ـ على زواجهما ـ عليها عشر سنوات لم تنجب فيها أولادًا، وهي تريد أولادًا ولذلك قررت أن تطمح ـ تطلب الخلع ـ وتتخلص من العلاقة الزوجية»[2] . وغالبًا ما كانت تحدث المشاكل والصراعات في حالة رفض الزوج، وعدم قبوله لأخذ كافة ما دفع من مهر وتكاليف عند طلب الزوجة(الطامح) ـ التي تطلب الخلع ـ أو الطلاق.

وقد استطاعت الدولة الأردنية بالتنسيق مع قضاة العشائر من حل كثير من المشكلات والتحديات التي واجهت المواطن الأردني في بداية عهد الإمارة ثم تلاها القوانين والتشريعات الأردنية التي حافظت على الحقوق الشخصية، وسنت العقوبات التي تحد من الجرائم الواقعة على الأفراد والممتلكات وتعاقب عليها.

العناني منقولًا إلى الشوبك والعودة إلى فلسطين

تقع قلعة الشوبك على قمَّة جبل صخري مخروطي يُشرف على بلدة (نجل)، على

1- العناني، مذكرات، ص50.

2- م.س، ص113 .

الجانب الشرقي من وادي عربة، والوصول إليها عبر طريقٍ واحد منحدر متعرِّج من جهة الشمال الشرقي، وبفضل هذا الموقع؛ حازت القلعة حصانةً طبيعيَّة.[1]

وتُحيط بالقلعة ثلاثة أسوار، أوَّلها يقوم على صخورٍ كانت تخرج منها ثلاث عيون مياه، والثاني كان يزرع وراءه القَمح الذي يطعم سكَّانَ القلعة، وأما الأخير فهو السور الداخلي الرئيسي، وبُنيت الأسوار من أحجارٍ صلبة رماديَّة، وكانت توسَّط الأسوار أربعة أبراجٍ بعضها دائري وبعضها الآخر مُربَّع الشكل.[2]

تتكونُ قلعة الشوبك من أبنيةٍ متعددةٍ من الحجر الأبيض، وما زال فيها بقايا من الحمَّامات، والصهاريج، وأنابيب المياه، والسراديب، وأحجار الرَّحى لعصر الزيتون، والآبار، والطرق، والأدراج، والبوابات، والأقواس، وليوانٍ هو عباره عن قاعةٍ كبيرةٍ مستطيله الشكل؛ في الجانب الشمالي الشرقي من القلعة، وفيها ثلاثة أروقةٍ، كما يوجدُ في الجهةِ الجنوبية الغربية بئر يمكن النزول إليها عبر ممرٍّ لولبي. وقد تزينت القلعة ببعض الكتابات والزخارف.[3]

وتدعى قلعة الشوبك (مونتريال) بمعنى (الجبل الملوكي) في اللغات الأوروبية، وهي من القلاع الصليبية في الأردن، قام بلدوين الصليبي ببنائها على بقايا حصن قديم، لمواجهة ومقاومة الزحف الأيوبي عبر صحراء الأردن لاستعادة سواحل بلاد الشام من سيطرة الصليبيين؛ إذ كانت تساعد على قطع طرق مُواصلات القوافل التجارية، والحملات العسكريَّة بين الشام ومصر، وقد ضرب عليها القائد صلاح الدين الأيوبي حصارًا في سنة 1187م أثناء توجُّهه نحو معركة حطين، ونجح بالاستيلاء عليها. ولم تلعب دورًا تاريخيًّا مُهمًّا بعد انتهاء الحروب الصليبية.[4]

1- ذياب، محمد، لواء الشوبك، المكتبة الوطنية، ط1،2011، ص16ـ17. ووليام ليبي ـفرانكلين هوسكنز، م.س، ص ص155.

2- الهباهبة، طه، الشوبك التاريخ والوجدان الشعبي، ص200. العربي، جولة بين الآثار، ج2، ص161ـ 264.

3- الرشايدة، فواز عوده، تاريخ الشوبك (1893ـ1946م) ،ص102.

4- الرواشدة، الشوبك الأرض والإنسان، ص 55..

لقد كانت محطة العناني الأخيرة هي مدرسة الشوبك ـ كانت في القلعة ـ وفي نهاية السنة الدراسية من عام (1933م) غادر الأردن بعدها إلى العمل في فلسطين.

وصف العناني قلعة الشوبك بقوله: «.. أشرفت على قلعة الشوبك، وإذا بها بعض بيوت بقية قلعة قديمة على قمة جبل تحيط بها أودية من جميع الجهات، ولها مدخل واحد في طريق يدور بين الأودية، ويتسلق الجبل القائمة عليه القلعة، في طريق متأبطة بطن الجبل، وسائرة في خشية وحذر، حتى تصل إلى مدخل القلعة، وأنت بين اليأس والرجاء، في بلوغ قمة هذا الطود وفي خلال ربع ساعة تستطيع أن تدور حول هذه القلعة وقد حفر في منتصف هذه القلعة بئر عميقة، تتصل من أعلى القمة إلى أن تصل إلى مستوى الينابيع في الوادي بواسطة درج، ..... وعندما تحاصر القلعة من الأعداء يستقون من تلك البئر ولا يهتمون بالحصار مهما طال أمده، ويستطيع قلة من المحاربين حماية القلعة، لأنه لا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد، ولم يقطن القلعة إلا بضع عائلات فقيرة وبعض التجار، أما بقية عشائر الشوبك فكل عشيرة لها خربة تقيم فيها وأشهر هذه الخرب خربة أبو مخطوب وهي مقر عشيرة الهباهبة «.

أما ما يقول العناني عن المدرسة الزراعية في الشوبك فكانت عبارة عن غرفة واحدة تعمل على فترات متقطعة، يزداد أعداد الطلاب في فصل الشتاء عما هو عليه في فصل الربيع عندما يرحل الأهل طلبًا للماء والكلأ؛ فيتناقص عدد الطلاب حتى أنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد،

وكان للمدرسة حديقة زراعية (المزرعة) في وادي نجل، وتبلغ مساحتها عشرين دونماً، تسقى مزروعاتها من الفول والجلبانة (البازيلاء) من سيل نجل، والمسافة بين المدرسة في القلعة والمزرعة في نجل تزيد عن الخمس كيلومترات.

يقول العناني: «عندما كنا نخرج لتطبيق درس الزراعة العملي، كان لا بد لنا أن نخرج من منتصف النهار، حتى نستطيع قطع المسافة ذهابًا وإيابًا، ونطبق الدرس، وأغلب الأحيان كنت أخرج مع ثلاثين طالبًا إلى المزرعة فيختفون واحدًا إثر واحد

خلف الصخور فلا يصل معي منهم أكثر من خمسة طلاب، هم سكان نجل فقط، وأذكر أني عاقبت طالبًا على هذا الفرار فترك المدرسة كلية، والتحق بالجيش العربي، وهو الآن قائد أحد الألوية الأردنية ويسمى محمد مطلق الهباهبة»، أنتهى العام الدراسي، وبدأت العطلة الصيفية، وجاء للعناني كتاب من مدير المعارف أديب وهبة بعدم مغادرة الشوبك والبقاء حتى ينضج محصول المزرعة، ويتم جمعه وبيعه، يقول العناني: «وعلى هذا الحال فسأحرم من العطلة الصيفية، مقابل ثلاثين كيلو غرام من الفول تساوي ثلاثين قرشا، ومائة كيلوغرام جلبانة (البازيلاء) تساوي نصف دينار، وجمعت ما تساوي حاصلات الحديقة فإذا بها لا تساوي دينارين ونصف، فتظلمت إلى مدير المعارف السيد أديب وهبة، وتبرعت بثمن محصول الحديقة من راتبي على أن يسمح لي بقضاء العطلة الصيفية في بلدي فجاءني الرد بأن هذا الأمر مختص بمدير دائرة الزراعة. فكتبت رسالة خاصة إلى مدير الزراعة أشكو له ما أقاسي من ضيق وألم وبعد انقضاء شهر ونصف من المكاتبات سمح لي بتسليم الحديقة إلى المختار مقبل أبو دحية (الدحيات) فسلمته إياها، ولم أعد للأردن حيث عملت في فلسطين بعد ذلك»[1]

1- انظر: العناني، مذكرات، ص126ـ127.

الفصل السابع

من شخصيات الرعيل الأول
التي وردت الإشارة إليهم في المذكرات

الأمير شاكر بن زيد (1885 ـ 1934)[1]

وأشار العناني في مذكراته إلى ذوات وشخصيات عروبية إسلامية كان لها لمسات كبيرة في بناء وتأسيس الإمارة من أحرار الأردن والبلاد العربية، ويلمس الباحث من خلال الإشارة التي جاءت على ذكر الأمير شاكر بن زيد؛ إلى المكانة الشعبية الكبيرة التي حظي بها لدى الشعب الأردني، ناهيك عن الثقة الملكية الكبيرة من لدن الملك المؤسس..

هو الأمير شاكر زيد بن فواز بن ناصر بن فواز بن عون من كبار الأشراف العبادلة الذين تولوا الإمارة في الحجاز.

ولد في مكة المكرمة سنة (1885م)، وتلقى تعليمه فيها، نشأ مع الأمير عبدالله بن الحسين، وكان له صديقًا وفيًّا ومخلصًا (خوي)، ونال احترام الأمير عبدالله وثقته، وكان اليد اليمنى للملك المؤسس، وغالبًا ما كان يرافقه في حله وترحاله وسفراته، وعندما قامت الثورة العربية الكبرى عام (1916م)، شارك في قيادة جيش الثورة العربية، وهاجم الحاميات التركية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، واشترك مع الأمير

1- انظر: إمارة شرقي الأردن، ص 386ـ387. العبادي،محمد يونس، الأمير شاكر بن زيد (1885ـ1934)، سيرته ومسيرته من خلال الوثائق التاريخية.

عبدالله بن الحسين في حصار الطائف. وبعدها قدم مع الأمير عبدالله إلى الأردن عام (1920م).

وبعد تأسيس الإمارة، شارك في العديد من الوزارات الأردنية التي تولت الحكم خلال الأعوام 1921ـ1924م بصفته نائبًا للعشائر، وشغل منصب رئيس لجنة الإشراف على البدو، ولما كان ذو معرفة واسعة بالقضاء العشائري والتقاليد العربية؛ كان يقوم بعقد الصلح بين القبائل والعشائر الأردنية.

لذا كسب مكانة كبيرة في المجتمع الأردني، وخاصة ما يتعلق بشؤون وقضايا القبائل والعشائر الأردنية داخل الأردن، ومناطق الجوار في سوريا وفلسطين والسعودية والعراق، وعمل على إطفاء روح العداء والكراهية والغزو بين القبائل والعشائر الأردنية، وعرف عنه النظرة الثاقبة عند الفصل في قضايا المنازعات العشائرية، وعدالة الأحكام والترفع عن الانحياز.[1]

الأستاذ مصطفى الدباغ [2]

أشار العناني في معرض أحاديثه إلى أحد معلميه، وهي الإشارة الوحيدة التي أوردها العناني حول معلميه في فلسطين؛ الأستاذ مصطفى الدباغ، وهو من الشخصيات التربوية الكبيرة والتي نالت احترام وتقدير الجميع.

من مواليد مدينة يافا، تلقى تعليمه الأساسي في يافا، وأكمل الثانوية في لبنان، استدعي عام (1915م) للخدمة في الجيش العثماني، وتلقى تدريبه العسكري في مدينة بعلبك (لبنان)،ثم أرسل إلى معسكرات الجيش في إسطنبول، ثم خدم بعدها في ولاية الحجاز، وما لبث أن نُقل إلى عمل إداري، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عمل مع الشريف حسين في الحجاز، ومع الأمير فيصل في قيادة الجيش العربي.

1- العناني، مذكرات، ص 111.

2- العناني، مذكرات، ص 12. العودات، يعقوب. «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين»، عمّان: د.ن، 1976، ص 50. «مؤسسة القدس للثقافة والتراث». alqudslana.com. مؤرشف من الأصل في 19 أكتوبر 2018. اطلع عليه بتاريخ 4 أغسطس 2018.

عاد إلى فلسطين عام (1919م)، وعمل مدرسًا ثم مديرًا لمدرسة المعارف في الخليل، ثم مدرسًا للاجتماعيات في دار المعلمين بالقدس عام (1925م)، ومفتشًا للمعارف في مدن نابلس، وغزة، ويافا. غادر يافا عام (1948م) بعد حصارها وقصفها واحتلالها من قبل القوات الصهيونية.

عمل، بعد النزوح إلى سورية، مدرّسًا في مدينة دير الزور، ثم انتقل إلى بيروت عام (1949م) ليعمل مفتشًا لمدارس جمعية المقاصد الإسلامية فيها، لينتقل بعدها إلى عمّان، حيث عُيّن مساعدًا لوكيل وزارة المعارف الأردنية (1950)، فوكيلًا لوزارة المعارف (1954). ومن الأردن انتقل إلى قطر، ليشغل منصب مدير المعارف (1959 ـ 1961). وبعدها عاد إلى بيروت وتفرغ للبحث والتأليف.

ومن أهم ما كُتب عن فلسطين وتراثها الإسلامي والعربي، وعن تاريخها وسكانها وأقسامها الطبيعية والتقسيمات الإدارية فيها موسوعة «بلادنا فلسطين «، من آثاره الأخرى: «مدرسة القرية»، «الموجز في تاريخ فلسطين منذ أقدم الأزمنة حتى اليوم»، «قطر ماضيها وحاضرها»، «جزيرة العرب: موطن العرب ومهد الإسلام»، جزآن، «القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين»، «الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين»، «الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين».

توفي مصطفى مراد الدباغ في بيروت في 1 تشرين الأول/ اكتوبر 1989، ودُفن فيها.

محمد الشريقي (1898 ـ1970)[1] [2]

محمد بن يوسف الشُّرَيْقي ولد في مدينة اللاذقية عام (1898م)، وحكم عليه بالإعدام سنة (1916م) غيابيًّا من قبل السلطات الفرنسية، عمل في الحكومة الفيصلية

1- الزركلي، خير الدين (2002م)، الأعلام، م(7)، ط (15)، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ص 16. الخطبا، فوزي فلاح « محمد الشريقي حياته وآثاره»،دار الينابيع للنشر، 1991، ص 18.

2- التراثـ السياسي/ الديوانـالملكيـالهاشمي/ وزراءـالبلاطـالملكيـالهاشمي، محمدـيوسفـالشريقي، نسخة محفوظة 15_05_2020 على موقع واي باك مشين https: / /royalheritage.jo/

بدمشق، هاجر إلى الأردن في سنة (1922م)، وأسس في عمّان جريدة(الشرق العربي)، عمل في الإدارة الأردنية في مرحلة تأسيس الإمارة، وهو من رجالات الحركة الوطنية العربية الذين ساهموا في تأسيس إمارة شرق الأردن بإخلاصٍ وتفانٍ.

تولى عام (1928م) وظيفة مفتش تربوي في مديرية المعارف الأردنية (وزارة التربية والتعليم لاحقًا)، حتى عام (1939م)، حيث عاد إلى سوريا لإكمال دراسته في الجامعة السورية وحصل على شهادة ليسانس (بكالوريس) في عام (1941م).

عاد إلى العمل الوظيفي في الأردن، وشغل منصب وزير الخارجية، ووزيرًا للبلاط الملكي الأردني، عُيِّن عضوًا في مجلس الأعيان الأردني خلال الفترة 1952 ـ1958، ثم عاد مرة أخرى للعمل في مجال السلك الدبلوماسي، وشغل منصب سفير الأردن في كل من مصر، وتركيا، حتى أحيل على التقاعد عام (1962م).

بعد التقاعد تفرغ لأعماله الأدبية والكتابية حتى وفاته في عمان عام (1970م)

وهو شاعر قومي ووطني، مؤمن بوحدة عروبته، وبحتمية الوحدة بين مصر والشام.

ومن مؤلفاته: ديوان شعر، من وحي العروبة، نهج الأدبين القديم والحديث، رسالة في الأدب، خواطر وأفكار، التفاؤل والتشاؤم في الحياة والشعر، ترجمه عن التركية،مسألة السكان والوطن العربي، ترجمة عن التركية،الحقوق الدستورية، خطب ومحاضرات.

أديب وهبه[1]

الأستاذ «محمد أديب»حسين وهبه ولد في السلط في عام(1892م)، من عائلة وهبة التي تنحدر جذورها من مدينة نابلس، قدم والده للسلط وعمل موظفًا في بلديتها، وتزوَّج من أحدى بنات السلط، وقد أنجبت له من الأبناء نمر وأديب وثلاث بنات،

1- العمد، هاني صبحي، أحسن الربط في تراجم رجالات السلط، الأهلي،2007، ص50.

وقد أنهى أديب وهبه دراسته الثانوية عام (1910م) من مدينة القدس، حيث درس مبحث التاريخ والجغرافيا في مدارسها، ثم سافر إلى الأستانة (أستانبول) والتحق بالكلية الحربية، وتخرج برتبة ضابط في الجيش العثماني عام (1915م)، وخدم في الولايات العربية وبالذات في العراق أثناء الاحتلال البريطاني، هب مع أحرار العراق والعرب لتحرير الأرض العربية من ربقة الاحتلال البريطاني والفرنسي، وقد وقع أسيرًا في يد البريطانيين ثم أطلق سراحه.

أستفاد البريطانيون من كفاءة أديب وهبه فعيَّنوه كاتبًا في وزارة المالية في بغداد عام (1917م)، ثم نقل من المالية الى التدريس في دار المعلمين في بغداد، وأثناء قيام الثورة العربية الكبرى؛ قدم استقالته عام (1917م)، والتحق بالملك فيصل بن الحسين في دمشق، وشارك في تأسيس الحكومة العربية الفيصلية، وخدم في الجيش الفيصلي، وعين قائدًا للدرك في السلط، واستمر بعد تأسيس إمارة شرقي الأردن في وظيفته.

استفادت الدولة الأردنية في فترة تأسيس الإمارة من خلفية أديب وهبه الأكاديمية، وعين مديرًا للمعارف إلى عام (1923م)، ولما كان من أهداف البريطانيين ملاحقة أحرار العرب ومناضليهم، والضغط على الحكومات الأردنية لمعاقبتهم. وكان أديب وهبه من ضمن الأحرار الملاحقين، فقد أصدرت حكومة الركابي أمرًا بنقله مديرًا لمدرسة السلط الثانوية، ولكن السلطات البريطانية أمرت باعتقاله مع ثلة من رجالات الحركة الوطنية الأردنية؛ لكنه تمكن من الفرار ومغادرة الأردن إلى الشام، وبقي هناك حتى صدور عفو أميري، ثم عاد إلى عمان، ليشغل منصب نائب مدير المعارف في(1924م)، ثم منصب مدير المعارف (وزير المعارف) في حكومة حسن خالد أبو الهدى عام (1926م) وكان يطلق على الحكومة اسم (المجلس التنفيذي)، وبقي في منصبه حتى عام (1940م). عين بعدها بالعديد من المناصب في الإدارة الأردنية، حتى عام (1944م) حيث أُحيل على التقاعد.[1]

انتقل عام (1949م) إلى الرفيق الأعلى.

1- وزارة التربية والتعليم، وزراء سابقون. moe.gov.jo. مؤرشف من الأصل 2020، ص 155.

القاضي عبدالرحمن سليمان الرشيدات قاضي الصلح في الكرك[1]

ولد عبد الرحمن سليمان الرشيدات في إربد سنة 1889م، أكمل دراسته الأبتدائية في دمشق، ثم في الآستانة (استنبول) ثم التحق بالكليَّة الملكيَّة في أسطنبول، وقد أهلته دراسته للالتحاق بالمناصب الإداريَّة في الدولة العثمانيَّة. عُيّن حاكماً إداريًّا في تبوك ـ السعودية ـ ثم في حمص ـ سوريا ـ ، وعندما شكَّل الملك فيصل الأول بن الحسين الحكومة العربيَّة في دمشق سنة 1918م، انتخب عبد الرحمن الرشيدات نائبًا عن لواء عجلون في البرلمان العربي السوري في عام (1919م)، وعلى أثر معركة ميسلون عام (1920م) وسقوط الحكم الفيصلي، ومغادرة الملك فيصل سوريا، عاد الى الأردن، وعندما تشكلت الحكومات المحلية في الأردن، عُهد إليه بمنصب النائب العام في حكومة لواء عجلون عام (1920م). وعند قدوم الأمير عبدالله بن الحسين إلى شرقي الأردن، وإنشاء إمارة شرق الأردن في عام (1921م)، تسلم عبدالرحمن الرشيدات عدة مناصب قضائيَّة، منها رئيس محكمة الكرك، وقاضي محكمة استئناف عمَّان. وفي سنة 1942م تولى منصب وزير المواصلات، وفي عام 1944م استقال من الوزارة وعَهد إليه الأمير عبدالله بن الحسين بمنصب سفير الأردن لدى الهند وإيران. وعند تشكيل مجلس الأمة الأردني عين عضوًا في مجلس الأعيان في سنة 1947م، وشغل هذا المنصب حتَّى سنة 1959م. وفي سنة 1952م، كان عضوًا في مجلس الوصاية الذي مارس حكم المملكة قبل بلوغ جلالة الملك الحسين بن طلال السن الدستوريَّة، وبقي وصيًّا على العرش إلى أنْ بلغ المغفور له الحسين بن طلال السن القانونيَّة في اليوم الثاني من شهر أيار 1953م.

توفي المرحوم في 27 نيسان سنة 1961 في مدينة القدس، ودفن في مدينة إربد.

1- العمري، عمر صالح، وبني ياسين، محمد أحمد، الحكومات الأردنية في عهد الملك عبد الله الأول بن الحسين (1921-1951)، دار الخليج للنشر والتوزيع ،ص 50. البطاينة، فيصل، (ملف الحياة السياسية والنيابية في الأردن منذ تأسيس الدولة)ـنسخة مؤرشفة»، ص21.

الدكتور شوكت عبدالعزيز الساطي طبيب الصحة[1]

الدكتور شوكت عبدالعزيز الساطي (1902 ـ 1983م): ولد في سوريا، ودرس الطب في مدينة اسطنبول، وتخرج منها عام 1923م، وانتقل الى دمشق، ثم إلى عمان وعين طبيبًا للحكومة في السلط، وغيرها من مدن الأردن وتولى مهام مديرية الصحة العامة ، عندما أنشئت مديرية الصحة العامة مع بداية عهد الإمارة في شرق الأردن عام (1926 - 1950م)، حيث كانت هذه المديرية إحدى الدوائر الملحقة بوزارة الداخلية، وكانت تعتمد على استقدام الأطباء من البلاد العربية المجاورة (فلسطين ـ سوريا ـ لبنان) إضافة إلى الأطباء الأردنيين. ولقد استمرت أعمال مديرية الصحة العامة حتى عام 1950م، حيث تأسست أول وزارة للصحة، وقد نال د. الساطي عددًا كبيرًا من الأوسمة والميداليات تقديرًا لخدماته، وكان قد عمل طبيبًا للأسرة المالكة منذ عام 1939م.

الشيخ إرفيفان المجالي

الشيخ إرفيفان محمد المجالي مواليد بلدة الربة ـ الكرك سنة (1862م)، لم ينل حظه من التعليم كأغلبية الأردنيين، الذين عاصروا الحقبة العثمانية، وما فيها من الضعف، وتفشي الأمية والجهل، إذ اقتصرت مهام الدولة على جمع الضرائب الجائرة، وتعداد الأنفس، ولكنه استطاع بدهائه وذكائه الفطري والمكتسب، أن يستخدم حنكته السياسية؛ فكانت أولى مواجهاته ضد الاتحاديين الأتراك في ثورة الكرك (1910 الهيّة ـ الكرك)، حيث أعلنت الثورة وبدأت المعارك بين الطرفين، وألحقت بعشائر الكرك الخسائر الفادحة؛ ثمنًا للتضحية والبطولة، فمنهم من أعدم، وأسر، ومنهم من استشهد.

انسحب الشيخ إرفيفان المجالي من أرض المعركة وذهب إلى مضارب الشوبك

1- موقع جبال البلقاء الإخباري، الشؤون الصحية وأطباء الرعيل الأول «في السلط ـ عهد الإمارة».8/ 8/ 2021.

الأبية، طارد الأتراك الشيخ إرفيفان ومن معه من المقاتلين، وحصلت معركة الشوبك؛ حيث تمكن الجند الأتراك من إلقاء القبض على النساء بعد مقتل مرافقهم صخر المجالي، وكانت من بين المعتقلات زوجة إرفيفان بندر المجالي،أم القائد العسكري المشير حابس المجالي أحد قادة الجيش العربي ـ فيما بعد ـ حيث تمت ولادته في السجن، ليصبح كونه وليد الحبس والمعتقل رمز الفداء والبطولة، وبطل معارك القدس في باب الواد، واللطرون، والشيخ جراح وسلوان استطاع الشيخ إرفيفان أن يتخلص من قبضة القوات التركية، بعد إصدار حكم الإعدام عليه شنقًا، واتجه متخفيًا إلى شمال الحجاز؛ بعيدًا عن ملاحقة العسكر التركي، حيث نزل في مضارب أحد وجهاء المنطقة الشيخ قبلان أبو رمان بحجة أنه رجل يبحث عن عمل يكفي مؤونته، فعمل كـ (قهوجي) لدى الشيخ سلامة أبو رمان، كان هذا الفعل رغبة في مزيد من كسب الوقت، وبعيدًا عن أعين الأتراك.

كان للشيخ إرفيفان صديق وفي، وصاحب نفوذ وقوة، الشيخ حرب العطيّات أحد شيوخ بني عطية، والذي جاء مهدِّدًا ومتوعدًا الوالي التركي، بأنه إن تمكّنوا من القبض على الشيخ إرفيفان المجالي، فإنه يجب أن يطلق سراحه ويصدر العفو عنه، وأن لا يمس بمكروه، وإلا كانت العواقب وخيمة، فوافق الوالي العثماني؛خوفًا ووجلًا من ثورة جديدة فرسانها بني عطية، وأصدر عفوًا عن الشيخ إرفيفان المجالي.

وبدأت عملية البحث عن الشيخ إرفيفان من قبل صديقه (الشيخ حرب العطيّات) في كل مكان حتى أعياه البحث، وأخيرًا التقى به أثناء رحلة البحث في مضارب الشيخ قبلان أبو رمان، وعندها عرف الشيخ حرب أنه أمام الشيخ إرفيفان، انتفض فرحًا وشوقًا، وأخبر مضيفه الشيخ سلامة أبو رمان بأن القهوجي ما هو إلاّ الشيخ إرفيفان المجالي، واختلطت مشاعر الفرح والسرور والفخر بمشاعر التضحية والفداء في نفوس الجميع.

أخذ (الشيخ حرب العطيّات) الشيخ إرفيفان المجالي إلى الوالي التركي، وأجبر

الوالي على إصدار وتسليم قرار العفو عن الشيخ إرفيفان فأصدره حالًا، وبعد فترة وجيزة من إصدار العفو، تم اعتقاله بالقوة، وأخذه إلى سجن القلعة في دمشق، وبقي في السجن إلى أن صدر العفو العام عن جميع أهالي الكرك، وعاد إلى الكرك.

ومع إعلان المملكة الفيصلية، استلم الشيخ إرفيفان إدارة منطقة الكرك عام 1920، وعلى أثر سقوط المملكة الفيصلية على يد الاحتلال الفرنسي (معركة ميسلون)، حضر الشيخ إرفيفان مؤتمر السلط عام 21/ 8/ 1920 برئاسة هيربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني، والذي عقد بحجة مساندة أهالي منطقة شرقي الأردن، وعندما شكلت (الحكومات المحلية) في شرق الأردن عام (1920م)، تم اختيار الشيخ إرفيفان المجالي رئيسًا لحكومة الكرك، التي أطلق عليها مسمى (الحكومة الوطنية المؤابية).

وعندما جاء الأمير عبدالله بن الحسين إلى الأردن، وحُلّت الحكومات المحلية، وأُنشئت حكومة مركزية، بقي الشيخ إرفيفان متصرفًا في الكرك.

مثّل الشيخ إرفيفان المجالي الكرك ومعان في المجالس التشريعية عدة مرات (1929م - 1931م ـ 1934م ـ1937م ـ 1942م ـ 1942م)؛ وفي هذا دلالة واضحة على الإجماع الشعبي الذي حظي به الشيخ إرفيفان المجالي من الأهالي.

وكان له مواقف وصولات وجولات، ودور مؤثر في قرارات المجلس التشريعي، وإصرار على استقلال وطنه عن الاستعمار البريطاني حيث طالب بإلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية والاستقلال، وكان مع زملائه من أحرار الأردن الوجه المعارض لسياسة الاستعمار البريطاني والمطالب بالاستقلال، وشارك في الحياة الحزبية والسياسية في الأردن، حيث أسس مع مجموعة من الأردنيين حزب سياسي وطني أطلق عليه (حزب التضامن الأردني) وهدف هذا الحزب إلى الدفاع عن أبناء العشائر الأردنية وحقوقهم الوطنية، ولم يعمر هذا الحزب طويلًا، ثم ترأس الشيخ إرفيفان المجالي حزب (الإخاء الأردني)، الذي أنشئ في تاريخ 25/ 9/ 1937 وكان مركزه في مدينة عمان، وأشار بيان الحزب التأسيسي إلى أنه يمثل طبقات الشعب الأردني كافة، ويسعى إلى خدمة الأردن، وتحقيق الاستقلال من الاستعمار البريطاني.

كان للشيخ إرفيفان دور في مساندة ومساعدة الثوار السوريين، عندما فتحت الكرك أحضانها للثائر السوري سلطان باشا الأطرش، حيث لجأ القائد العام للثورة السورية سلطان باشا الأطرش ومن معه إلى الأردن، وزاروا الكرك وحظوا بالترحاب والحماية من الملاحقة الفرنسية.

وتقديرًا للشيخ إرفيفان المجالي وإقرارًا بدوره الوطني في الدولة الأردنية،صدرت الإرادة الأميرية من صاحب السمو الأمير عبدالله بن الحسين ـ الشهيد الملك المؤسس ـ بمنح لقب باشا للشيخ إرفيفان المجالي، وقد نشرت الإرادة الأميرية في الجريدة الرسمية للإمارة الأردنية عام 1923.

توفي الشيخ إرفيفان المجالي[1] عام 1945 ودفن في الكرك.

خلف التل[2]

ولد خلف التل في إربد عام (1890م)، درس في المدرسة الابتدائية بإربد سنة (1896م)، وكانت المدرسة الوحيدة في منطقة إربد، وقد أسسها الشيخ مصطفى صالح التل عام (1879م) على نفقته الخاصة، أكمل تعليمه الإعدادي في مكتب»عنبر«عام (1900م)، ثم التحق بالكلية الحربية عام (1915م)، وتخرج فيها برتبة ملازم، بعدها أرسِلَ إلى بعلبك، وكانت الدولة العثمانية ترسل جميع الخريجين من الطلاب العرب لتدريبهم في مركز التدريب في بعلبك؛ ثم إلحاقِهم بالقوات المقاتلة إبان الحرب العالمية الأولى، وخلال تدريبه هناك شاهد العشرات من المواقف الاستفزازية من قبل الضباط

1- انظر: بيتر جوبسر، السياسة والتغيير في الكرك ـ الأردن، ترجمة د.خالد الكركي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان،1988، ص121. عبيدات، محمود سعد، مشاهير في التاريخ الأردني، جريدة شيحان، 22/ 3/ 2003. صالح إرفيفان المجالي، سيرته وحياته، جمع وإعداد راتب صالح المجالي، المطبعة العسكرية، 1997، ص150. العناني، مذكرات، ص9ـ10.

2- العناقرة، د. محمد،المجاهد خلف محمد التل، جريدة الدستور، الخميس 2 نيسان / 2009. الوزير خلف التل رفض الاستقالة تحت ضغط الإنجليز فعزله أبو الهدى ونفاه إلى الطفيلة، صحيفة الدستور، 16 / 4/ 20، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الأتراك بحق العرب، في الوقت الذي علقت فيه المشانق لزعامات الوطنية العربية من الجمعية العربية الفتاة في ساحات بعلبك، وقد تركت أثرًا عميقًا في نفسه، وعندما تأسَّست الحكومة العربية في دمشق بقيادة الملك فيصل ابن الحسين، انضم إلى الجيش العربي الفيصلي. عاد بعد معركة ميسلون إلى مسقط رأسه إربد، وقد شارك السوريين في ثورتهم ضد المستعمر الفرنسي، والعراقيين في ثورتهم ضد المستعمر البريطاني .

وكان يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغات التركية، والإنجليزية، والفرنسية، وقد تحدث السير أليك كركبرايد المعتمد البريطاني عن خلف محمد التل في كتابه (خشخشة الأشواك). وبعد معركة ميسلون، استأذن أبناء الأردن من القيادات الفيصلية الملك فيصل بالعودة للأردن؛ لمجابهة المطامع الاستعمارية، والمخاطر الصهيونية؛ ريثما ينتهي الملك فيصل من مفاوضاته مع البريطانيين.

ولما كانت منطقة شرقي الأردن تخضع لإدارة الحكومة العربية الفيصلية في دمشق (1918 ـ1920). فعلى أثر معركة ميسلون، شكلت الحكومات المحلية حكومة السلط، وعجلون، وحكومة الكرك، ولكن هذه الحكومات خلقت لتموت.

مما دفع قادة منطقة عجلون إلى الدعوة بعقد مؤتمر أم قيس عام (1920م)، ودعوة أحرار الأردن والقيادات الأردنية، ووجهاء العشائر الأردنية لإطلاع الحكومة البريطانية على رغبات الشعب الأردني، وتقديم مطالبهم نيابةً عن أهل الأردن للمندوب السامي البريطاني الميجر سمرست. وتمثلت المطالب في تشكيل حكومة وطنية جامعة، برئاسة أمير عربي هاشمي، تقديم بريطانيا الأسلحة والمساعدة الفنية للجيش، ومنع هجرة اليهود إلى الأردن، شغل خلف محمد التل منصب المنسق العام لمؤتمر أم قيس.

وعند قدوم الأمير عبد الله إلى معان عام (1920م)، بادر للالتحاق بركب الأمير،كلف بعدة مهام، وشغل مناصب عسكرية ومدنية، ففي عام (1923م) كلف عضوًا ممثلًا لشرقي الأردن في لجنة ترسيم الحدود بين الأردن وسوريا مع الضابط البريطاني أليك

كركبرايد، وكان من أشد المعارضين لتقسيم بلاد الشام، وحاول إفشال المباحثات مع الجانب الفرنسي، فضغط الإنجليز لإبعاده عن اللجنة؛ فتمَّ نقله قائدًا لمنطقة البلقاء (1924م -1925م). وقائدًا لمنطقة الكرك حيث التفت حوله العشائر وحل النزاعات بحنكته وصد هجوم الوهابيين على الأرض الأردنية، وشهدت له مدن الأردن، قيادته الحكيمة الفذة.

شغل السيد خلف محمد التل منصب وزير الداخلية في مرحلة الانتداب البريطاني خلال سنوات الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، في وقت كانت تمارس فيه الضغوط على الحكومة الأردنية؛ لملاحقة أبناء الأردن الأحرار، ولاعتقال رجالات الحركة الوطنية الأردنية المعارضين للوجود البريطاني في الأردن وفلسطين، وكان على خلف التل بحكم وظيفته كوزير للداخلية أن يصدر أوامر الاعتقال، ولكنه كان يرسل البعض من طرفه لزيارة بيوت الأشخاص الذين كان الإنجليز يضغطون لاعتقالهم لتحذيرهم، وبعد أن يتأكد أنهم تواروا عن الأنظار وأصبحوا في مأمن كان يوقــِّع أوامر القبض عليهم.[1]

وقد تعرض أثناء توليه المناصب في الحكومات الأردنية إلى العزل، النفي والإبعاد، والإقامة الجبرية؛ جراء مواقفه الوطنية مع الحركة الوطنية ورجالاتها الأحرار، ورفضه ملاحقتهم من قبل المستعمر البريطاني.

فعندما شغل منصب وزير الداخلية سنة (1938م) في حكومة توفيق أبو الهدى. في تلك السنة زادت الحركة الوطنية الأردنية من هجماتها ضد الانتداب البريطاني، وقامت السلطات البريطانية بتوجيه التهم إلى أحرار الأردن، وتم توجيه التهمة له بمساعدة الوطنيين الأردنيين في تلك الحادثة وتم نفيه إلى الطفيلة عام (1941م).

أصدر الأمير عبدالله الأمر بالعفو عنه لعدم قدرة الانتداب البريطاني على إثبات

1- عبيدات، محمد سعد،(المجاهد خلف محمد التل)،صحيفة الدستور،25 حزيران، 2011. وزير الداخلية خلف التل يُنبـِّه الوطنيين، صحيفة الدستور، 2003.

التهم الموجهة إليه، وعيّن بعدها قنصلًا في سفارة الأردن ببغداد، ومنحه الأمير عبد الله في أثنائها رتبة الباشوية، وبقي على رأس عمله إلى أن توفي عام 1943، ودفن في مدينة إربد.

حسن أبو غنيمة عام (1928م)[1]

ولد حسن علي أبو غنيمة في إربد عام (1885م)، ودرس فيها المرحله الأساسية، ثم أكمل دراسته الثانوية في مكتب عنبر بدمشق، بعدها غادر إلى إسطنبول ودرس بدار المعلمين، وحصل على الشهادة الجامعية في العلوم، عين في صنعاء باليمن معلمًا، ثم مديرًا لدار المعلمين، ثم غادر اليمن إلى بيروت حيث عيًّن مديرًا لدار المعلمين فيها، وبعد دخول الفرنسيين لبنان اضطر أبو غنيمة التوجه إلى سوريا، حيث عمل مديرًا بمدرسة تجهيز المهاجرين في دمشق، ومن ثم مديرًا لدار المعلمين فيها، وذلك في العهد الفيصلي.

بعد معركة ميسلون عام (1920م)، نشط حسن أبو غنيمة في تنظيم المظاهرات ضد الفرنسيين؛ فأبعدوه إلى حماه مديرًا لمدرسة تجهيز حماه، وعندما تشكلت الحكومات المحلية في الأردن، استدعي ليكون وزيرًا في حكومة عجلون العربية برئاسة علي خلقي باشا الشرايري في إربد، فلبى الطلب وجاء إلى شرق الأردن، وبعد تأسيس إمارة شرقي الأردن وتشكيل مديرية للمعارف، انتدب ليكون أول مفتش للمعارف فيها، وعُهد إليه بإدارة مدرسة تجهيز (ثانوية) عمان، ثمَّ السلط، ثمَّ الكرك مديرًا لمدرستها، ثمَّ إربد، وبعد إحالته إلى التقاعد أسَّس مدرسة خاصة في إربد أسماها (مدرسة الأمة العربية).

كان أبو غنيمة واحدًا من الروَّاد الأوائل الذين ساهموا في تأسيس مسيرة التربية والتعليم، وقد تخرَّج على يدي الأستاذ حسن أبو غنيمة أجيال من رجالات الأردن

1- أسماء في الذاكرة: حسن أبو غنيمة أول أردني حمل شهادة في تخصص الطبيعيات، صحيفة الدستور، الخميس 26 آب / أغسطس 2010. العناني ،مذكرات، ص 8.

الذين ساهموا في بناء الأردن، وكان حتى يوم وفاته يؤكد على أهمية العلم والتعليم مردِّدًا مقولته المعروفة (عَلَّم ولدك ولا تورثه فأعظم إرث هوالعلم).

توفي الأستاذ حسن أبو غنيمة عام (1976م).

علي نيازي بيك التل[1]

هو علي نيازي المصطفى اليوسف التل. شغل منصب حاكم منطقة (عربكير) القريبة من الحدود التركية ـ العراقية، وكانت تحت الحكم العثماني، وبعد القضاء على الحكومة العربية الفيصلية في معركة ميسلون عام (1920م)، شارك في إدارة حكومة عجلون المحلية، وهوَ عمُّ الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل (عرار).

وكان أحد أعضاء لجنة إعداد أول قانون انتخاب في الأردن سنة (1923م)، حيث كان من بين مجموعة من الشخصيات التي أوكلت لهم هذه المهمة، وذلك كممثلين عن المناطق الرئيسية، ومنهم عن منطقة إربد علي خلقي الشرايري، وعلي نيازي التل.

ويذكر العناني عن علي نيازي التل، «بأنه كان ضابطًا في الجيش التركي، ثم عُيِّن مديرًا لمخيم المساحة في منطقة معان ووادي موسى وكان معسكره في منطقة بسطة من قرى النعيمات، وكان عمره آنذاك بين الخامسة والخمسين والستين، وأنه كان يملك المال والجاه».[2]

فلاح محمد المدادحة[3]

فلاح محمد المدادحة مواليد الكرك عام (1900)، أكمل دراسته في مدرسة الكرك الثانوية، ثم عُيِّن موظفًا في محكمة الكرك، وتدرج في سلك القضاء حتى أصبح رئيس

1- صفحة من تاريخ الأردن، عمون يوم 4/ 1/ 2008.

2- العناني، مذكرات، ص115.

3- وكالة عمون الإخبارية بتاريخ 26 ـ05ـ2011 مؤرشف 2019 «ذكرى وفاة وزير الداخلية الأسبق فلاح المدادحة.

محكمة، أنعم عليه الملك المؤسس بلقب (الباشوية) سنة (1946م)، ثم انتقل إلى وزارة الداخلية متصرفًا لعجلون ولقدرته الإدارية؛ تولى عدة مناصب وزارية في عهد الملك المؤسس عبد الله الأول بن الحسين، والملك طلال بن عبدالله، وفي عهد الملك الحسين بن طلال. وكان نائبًا لرئيس مجلس الأعيان، وحاكمًا إداريًّا عامًّا لفلسطين، ومحافظًا للقدس الشريف.

من مواقف الرعيل الأول وحرصهم الدستوري موقف السيد فلاح المدادحة وزير الداخلية آنذاك، فقد قام جلالة المغفور له الملك الحسين بن طلال بزيارة إلى سجن المحطة، ولقاء القائد العسكري صادق الشرع المتهم بالمحاولة الانقلابية الفاشلة والإفراج عنه، دون علم وزير الداخلية، وحينما سمع فلاح المدادحة بزيارة الملك لسجن المحطة، توجه فورًا إلى الديوان الملكي وقابل جلالة المغفور له الملك الحسين ابن طلال؛ واستفسر منه عن الزيارة؛ فأخبره الملك أن ما سمعه صحيح.

فوضع فلاح المدادحة استقالته بين يدي الملك؛ وحينما استفسر جلالته عن ذلك، قال المدادحة: أنه لا يجوز تعطيل الدستور، والإفراج عن أي سجين يتم وفق الدستور؛ ولا بد من أن تكون الإجراءات دستورية من خلال رئاسة الوزراء التي تأمر وزير الداخلية ووزير العدل بالتنسيب بعفو خاص يوشحه الملك بالإرادة الملكية السامية...

توفي فلاح المدادحه في عام 1965م.

أليك كركبرايد المعتمد البريطاني في الأردن (1939 ـ1946م)[1]

ضابط بريطاني من مواليد عام (1897م)، شارك في الحرب العالمية الأولى، وتنقل بين مصر وشرق الأردن، وفلسطين وسوريا أثناء الحرب، وعمل في مختلف المهام

1- انظر: الموسى، سليمان، غربيون في بلاد العرب، عمان، 1969، ص221 ـ225. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دمشق، 1970، ص426. أليك كركبرايد، خشخشة الأشواك، ترجمة أحمد عويدي العبادي، عمان، 1987، ص 65ـ66. الموسى، سليمان، الثورة العربية الكبرى الحرب بالأردن 1917ـ1918 مذكرات الأمير زيد، عمان، 1976، ص 140. الزركلي، خير الدين، ما رأيت وما سمعت، القاهرة 1923، ص9.

الحربية والاستخباراتية البريطانية في المنطقة العربية، كان ملمًّا بتاريخ الحضارات في بلدان الشرق الأوسط مثل تركيا وسورية والعراق وشمال الجزيرة العربية، وملمًّا بالتنقيب عن الآثار ودراسة التاريخ واللاهوت، وكان مهتمًّا بالمخطوطات الأثرية بغية الوقوف على أسرار الحضارات القديمة.

عاش حياة البادية والريف والمدن العربية، وشارك في شتى ألوان الحياة وتفاصيلها القاسية، وأتقن اللهجات العربية، وتمكن من معرفة العادات والتقاليد الاجتماعية للمنطقة وتطوراتها التاريخية؛ مما أهله لمعرفة كافة المواقع الإستراتيجية وبالذات في الأردن وفلسطين، إذ أصبح مرجعًا للمعلومات الدقيقة عن منطقة شرق الأردن وفلسطين وطبيعة تكوينها، ومعالمها الطبوغرافية والجغرافية للحكومة البريطانية.

وعندما عهد لبريطانيا من قبل دول الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى؛ بحماية الأماكن المقدسة في فلسطين حال دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، عملت بريطانيا خلالها جاهدة من أجل تكليف نخبة من الضباط تكون على أهبة الاستعداد لتقديم العون والمساعدة للجيش البريطاني.

وبعد معركة ميسلون عام (1920م)، وإنهاء الحكم الفيصلي في سوريا، بعث المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل في فلسطين رسالة إلى الحكومة البريطانية، يقترح إرسال مجموعة من الضباط البريطانيين ممن يجيدون اللغة العربية للمنطقة لتولي إدارة المناطق في شرقي الأردن، وتسيير شؤونها دون مساعدة مادية، كان منهم (أليك كركبرايد)، وكان قد أمضى بضعة أشهر في منطقة الكرك إبان الحكومة الفيصلية ـ حسب قوله ـ وقد أقام قداسًا دينيًّا في بيت الشعر في الكرك.

توزعت مهام الضباط البريطانيين المكلفين بإدارة شؤون الحكومات المحلية، حيث كانت حكومة عجلون وعلى رأسها الميجر سمرست، وحكومة السلط الميجر كامب، وحكومة الكرك عين الكابتن أليك كركبرايد، وعين الكابتن ألن كركبرايد شقيقه في عمان، وكان الهدف من تعيينه إخضاع الإدارة المالية في الأردن للنفوذ البريطاني،

وأنيطت بالباقين مهام استشارية في تسيير شؤون المناطق والاتصال المباشر في الإدارة البريطانية في فلسطين.

شكل كركبرايد عام (1920م) «حكومة مؤاب الوطنية»، وضم المجلس (12) عضوًا يمثل شيوخ العشائر في المنطقة، وبرزت مشكلة اختيار رئيس هذا المجلس، وقد طلب من كركبرايد أن يكون رئيسًا، فرفض كونه مخالفًا لمهمته الاستشارية وطلب إليه أن يختار أحدهم فلم يجب كركبرايد لذلك كونه إذا اختار أحدهم فإنه سيخسر صداقة الآخرين وأخيرًا استقر رأيهم بعد طول نقاش لتولي رئاسة الحكومة،من قبل إرفيفان المجالي.

وعمومًا فإن الحكومات المحلية في الأردن وخلال عمرها القصير واجهت عدة صعوبات، منها لم يكن لها صفة دولية أو معترف بها، وتعدد المستشارين البريطانيين، واعتمدت في إدارتها على رؤساء العشائر دون عامة الشعب ورأيهم. وكانت بدون مخصصات مالية، فمثلًا حكومة مؤاب لم يقبل الأعضاء فيها فرض ضرائب جديدة، وقد برزت عدة مشاكل خلال فترتها القصيرة والتي لا تتجاوز أشهر أولها حدود المنطقة، ولم يكن هناك حتى طوابع مما اضطر القائمين عليها لتخطيط أوراق وختمها بالختم الوطني، إلا أن حكومة فلسطين البريطانية لم تعترف بذلك وحلت الأزمة بأن أرسلت كمية من الطوابع لتمشية المراسلات المحلية.

وقد تولى اليك كيركبرايد منصب المعتمد البريطاني في البلاد من سنة (1939م -1946م)، واستمر الإشراف البريطاني بوساطة المعتمد والمستشارين البريطانيين والموظفين العرب المعارين من حكومة فلسطين إلى حكومة شرقي الأردن إلى عهد الاستقلال. وقد دللت الممارسات البريطانية على أنها عين السياسة الاستعمارية المباشرة التي سيطرت على كل جوانب الحياة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية بما يخدم أولًا وأخيرًا المصالح الاستعمارية لبريطانيا في المنطقة.

مصطفى وهبي التل (عرار)[1]

مصطفى وهبي صالح التل (1899ـ1949) شاعر الأردن الكبير، ومن أبرز الشعراء العرب، لقب بعرار. في شعره جودة ورصانة، ومناهضة للظلم ومقارعة للاستعمار. حصل على وسام النهضة من الدرجة الثالثة. من أبنائه وصفي التل الذي شغل منصب رئيس الوزراء في الأردن خلال السبعينيات من القرن العشرين وسعيد التل الذي شغل منصب نائب لرئيس الوزراء في الأردن خلال الثمانينيات من القرن العشرين. حصل على إجازة المحاماة عام 1930. يتقن العديد من اللغات.

ولد مصطفى وهبي التل في إربد عام 1899 في بيت جده مصطفى اليوسف التل وقد سمي (مصطفى) تيمنًا باسم جده وأُضيفت إليه كلمة وهبي حسب التقاليد التركية وهي إضافة اسم إلى اسم الوليد الأصلي. ورث الشاعر عن والده حسًّا مرهفًا وخاطرًا متوقدًا وذكاءً خارقًا وجنوحًا إلى النظم.

تلقّى تعليمه الابتدائي في إربد. وواصل تعليمه في مدرسة عنبر في مدينة دمشق عام (1912م). وخلال دراسته شارك في الحركات النضالية ضد الظلم التركي، وتعرض للنفي والإبعاد مبكرًا، ولكنه عاد إلى اربد في صيف عام (1916م)، ليعمل معلمًا في مدرسة خاصة كان قد افتتحها والده وسماها «المدرسة الصالحية العثمانية». بقي مصطفى في إربد.، ثم غادرها عام (1917م) برفقة صديقه محمد صبحي أبو غنيمة إلى اسطنبول، ولكنهما لم يبلغاها، إذ استقر المقام بمصطفى في «عربكير» حيث كان عمه علي نيازي ـ سبق ذكره ـ قائم مقام (متصرف). مارس مهنة التعليم ولكنه لم يلبث أن استقال منها عام (1919م).

قضى مصطفى عام (1919م) في إربد، واستطاع الرجوع إلى مدرسة عنبر دمشق

1- انظر: عشيّات وادي اليابس، تحقيق: زياد صالح الزعبي، مطابع المؤسّسة الصحفيّة الأردنية/ الرأي، عمّان، 1982. وصدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1998. أبو صوفة، محمد، أعلام الأدب والفكر في الأردن، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1983. الأسد، ناصر الدين، أدبيان من الأردن، منشورات جامعة عمان الأهلية، ط1، 1993.

في مطلع العام الدراسي (1919 ـ1920م). ولكن عودته صادفت قيام حركات طلابية شارك فيها، بل كان مع بعض أصدقائه على رأسها، ما جعل السلطات تقرر نفيه إلى حلب، وسمحت له بإكمال دراسته فيها، فسافر إليها في شباط 1920.

مكث في حلب حتى منتصف عام 1920. حيث غادرها بعد أن حصل على الشهادة الثانوية من المدرسة السلطانية. وفي أثناء دراسته تعلم اللغة التركية، وهي اللغة الرسمية، كما عرف الفارسية ومنها ترجم رباعيات الخيام، وفي أواخر العشرينيات درس القانون معتمدًا على نفسه، وحصل على إجازة المحاماة في عام (1930م).

عمل مصطفى في عام (1931 ـ1922) معلمًا في مدرسة الكرك. وفي مناطق مختلفة من الأردن، وحاكمًا إداريًّا لنواحي في الأردن، وهي وادي السير، والزرقاء، والشوبك. وعمل خلال الأعوام (1942 ـ1931) معلمًا في إربد، ثم في سلك القضاء ابتداء من 1/ 1/ 1933، وشغل عدة وظائف منها: مأمور إجراءات عمان، ورئيس كتّاب محكمة الاستئناف، ومدّعي عام السلط، ومساعد النائب العام. ثم عاد إلى وزارة المعارف فتسلم وظيفة المفتش فيها. ثم عُيّن رئيس تشريفات في الديوان العالي، فمتصرفًا للواء البلقاء (السلط)، ولم يمكث طويلًا في منصبه إذ عُزل، وسجن في سجن المحطة في عمان بضعة أشهر.

بعد خروجه من السجن في نهاية عام (1942م) مارس مهنة المحاماة في عمان حيث افتتح مكتبًا خاصًّا به. كان له صلات واسعة مع كثير من الشعراء والأدباء من الأردن والعالم العربي، كما كانت صلته وثيقة بالملك عبدالله الأول بن الحسين، حيث كانت تجتمع نخبة من الشعراء والأدباء، وتدور بينهم مساجلات ومعارضات شعرية بالحضرة الملكية.

عند الحديث عن عرار وأدبه لا بد من التطرق لطفولته غير المستقرة وبيئته الاجتماعية، وما عاشه من صراع وكفاح مستمر ضد الظلم والتهميش لم تلن له قناة أو تهن له عزيمة في ظلام السجن أو المنفى والإبعاد.

لقد عاش في كنف والده صالح المصطفى اليوسف التل، ومن أشهر طباع الوالد (العزم، ونفس كريمة، أعصاب قوية وذكاء متوقد)، وفي رعاية جده مصطفى اليوسف الملحم التل وكان الجد أميًّا لكنه سعى إلى تأسيس مدرسة ابتدائية في إربد وفيها تعلم والد عرار صالح ونال شهادة الابتدائية، وحفظ القرآن، والقراءة، والكتابة والخط العربي. وشب صالح والد عرار وأخذ يقرض الشعر، وكتابة العرائض والاستدعاءات. ثم التحق بمدرسة (عنبر) في دمشق، وحصل على الشهادة الإعدادية وعين معلماً في مدرسة معان، وإربد، وخلال عمله مدرسًا أحدثت ناحية الكورة / لواء عجلون فعين مديرًا، وبعد فترة نقل مديرًا لناحية الجولان (سوريا) فقدم استقالته وعين معلماً في إربد وما لبث أن زاول المحاماة، وبعد مدة عُين في محكمة إربد الابتدائية. فمفوضًا للشرطة في إربد، ومن هذه نقل إلى الكرك وبعد أن قامت الثورة العربية الكبرى نقل مفوضًا للشرطة في درعا سوريا. وفي العهد الفيصلي (1918 ـ1920) عيِّن وكيلًا لقائم مقام إربد فوكيلًا لقائم مقام (حوران) وعندما تألفت الحكومة الوطنية في لواء عجلون (أيلول 1920) عُيِّن مدعيًا عامًّا وقاضيًا لمحكمة صلح جرش فمدعيًا عامًّا للسلط فقاضيًا لمحكمة صلح مأدبا. كانت حياة أسرة عرار حافلة بالنزاع والصراع، وكان لها تأثيرها الكبير على حياة عرار فيما بعد .

الثائر الفلسطيني عيد الصانع الترابين (هبوب الريح)[1][2]

هذه الشخصية الثائرة التي استطاعت أن تزعزع استقرار الإنجليز في الجنوب الفلسطيني وصولًا للبترا في الأردن.

من مواليد بئر السبع عام (1892م)، استشهد على يد العصابات البريطانية ـ الصهيونية (24 - 10 - 1932م) عن عمر يناهز (40 عاما)،أسس عيد الصانع مجموعة

1- العارف، عارف. تاريخ بئر السبع وقبائلها، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999،ص 250.

2 - http: / /trabeenayyat.blogspot.co.il /20161932_1922 /04 /.html.

جهادية من أبناء بئر السبع لمقاومة المستعمر البريطاني الذي أشاع مصطلح (الأشقياء) على كل عمل مقاوم وطني من الأردن وفلسطين، وهي من أوائل حركات المقاومة العربية، وقد أرهق عيد الصانع ورفاقه المناضلين الاستعمار البريطاني ومجامع الصهاينة في المنطقة، ولقِّب (هبوب الريح) لسرعة اختفائه وصلابة قوته، وكان يقوم بعمليات سريعة التنفيذ والدقة رغم الملاحقات والاستطلاع الاستعماري لمعرفة من وراء تلك العمليات الخاطفة فلا يجدون أحدًا، ويقول القائد البريطاني كيف لم تجدوا أحدًا؟؟ تكررت العمليات ونفس الشيء يعودون إلى قائدهم وقبل أن يقولوا له شيئًا يشاهد على وجوههم الخيبة فيقول لهم: آه أكيد هبوب الريح!! يعني يقوم بعملية سريعة ويختفي عن الأنظار بلمح البصر، وبقي هو ورفاقه شوكة في حلق البريطاني لمدة عشر سنوات حتى استشهاده وتواصل النضالي الفلسطيني.

وقد استشهد بعد معركة حامية الوطيس،بعد حصار القوات البريطانية له ولرفاقه، ورفضهم الاستسلام على الرغم من نفاد ذخيرتهم.

وقد تم خلالها ملاحقة المناضلين الفلسطينيين ورفاقهم على جانبي النهر الخالد من الأردنيين والفلسطينيين والعرب الأحرار، ومن ضمن من تمت ملاحقتهم على الجانب الأردني ومن المتعاونين مع هبوب الريح سلامه البدول ورفاقه والذي ورد ذكره.

وقد قام التلفزيون الأردني بإنتاج مسلسل (هبوب الريح) عام (1985م) يروي قصة الشهيد البطل.

الفصل الثامن

مفاهيم ومصطلحات وردت في المذكرات

الوجه

في التقاليد والعادات العربية، هو الكفيل الموكل بإجراء المصالحة وإتمام التصالح، وما يتفق عليه الطرفان المتعاقدان على فعل خير، أو كف واتقاء شر، والوجه والكفيل هما كلمتان تدلان على معنى واحد، ويستعملان بالمعنى الواحد؛ فإن العرب إذا أرادوا عملًا لا يقدرون عليه أو يخشون منه عاقبة، أو خديعة، أو إفساد في المجتمع؛ عمدوا إلى شخص يتصف بالأخلاق الحميدة كالكرم والشجاعة والوفاء والإقدام، غيورًا على الحق والإنصاف ماضيًا في عزمه وأفعاله»يا فلان كن وجهًا (كفيلًا) علي في الأمر الفلاني».[1]

والوجه عادة ما يكون من رجال العشيرة، أو من غيرها، وأيًّا كان فمن الواجب القيام بالمهام الملقاة على كاهله، وأمين باستيفاء الحق للمظلوم، ويسعى جاهدًا لتحقيقه، ورد المظالم بالحق، ويحاول منع مبدأ القصاص الخاص؛ إذ يحول دون اقتضاء الفرد حقوقه من المعتدي بوسائله الخاصة عن طريق الثأر، أو الانتقام في كافة مجالات قضايا الاعتداء سواء على الأموال، والأفراد، والأعراض، وسواء قام المعتدى عليه بمفرده، أو بمساعدة أقاربه وعشيرته، لأن المعتدى عليه إذا لجأ إلى القضاء الخاص أي اقتضاء حقه بنفسه، في حالة وجود الوجه، فإنه يكون قد ارتكب جريمة إضافية هي

1- انظر: أبو حمدان، محمد حسان، تراث البدو القضائي، وزارة الثقافة، عمان،2017، ط5، ص448،270.

جريمة (تقطيع الوجه)[1]، وهي من أخطر الجرائم في المجتمع، وعقوبتها شديدة، إذ تعد خرقًا لما اتفق عليه، ومن حق الوجه (الكفيل) إلزام المعتدي بحقه وحق الطرف الآخر نتيجة نقض العهد الذي كان في وجهه وكفالته.

فورة الدم [2]

يعتري شعور الانتقام والتوتر والثأر أولياء المقتول أو المعتدى عليه من ذويه أو أقاربه من أفراد العشيرة عند وصول خبر اعتداء الجاني ويطلق عليها (فورة الدم) وكل ما يحصل في هذه الفترة من هدم، وحرق، وغضب، وتخريب في ممتلكات أهل القاتل، أو المعتدي؛ يسمحون له تحت تسمية (فورة الدم ويقولون عنه تحت الفراش)؛ لذا يتم الاستعجال بأخذ العطوة الأمنية ومدتها ثلاثة أيام وثلث، وهذه التصرفات الانفعالية الانتقامية التي تصدر من قبل أهل المعتدى عليه أو عشيرته؛ طلبًا للانتقام والثأر، فيقوم الوجهاء وأهل الحل والعقد إلى أهل المعتدى عليه بأخذ العطوة الأمنية؛ لتهدئة النفوس وأغلبها في جرائم القتل أو العرض. والأسراع في أخذ العطوة يصبح أمرًا مستعجلًا وضروريًا؛ تلافيًا وتطويقًا للمشاكل، والحد من الخسائر المادية والمعنوية، ولا بد من العمل فورًا بإجراءات «الجلوة»[3]. كما في حالة حدوث جريمة القتل.

الدخيل[4]

دخول شخص في حمى فرد أو جماعة طالبًا للحماية والمساعدة. وهي أكثر العادات احترامًا في الأردن والمنطقة العربية، وتجد الدعم الأقوى بين القبائل العربية، وغالبًا ما يلجأ الدخيل عادة إلى الشيوخ والزعامات المعروفين بالخبرة والحزم وقوة البأس،

1- م.س، ص270. نعمان، الأرشمندريت بولس،خ أعوام في شرقي الأردن، وزارة الثقافة، 2011، ص106ـ108.

2- م.س، ص409.

3- انظر: أبو حمدان، تراث البدو القضائي، ص448،270. الأرشمندريت بولس،خمسة أعوام في شرقي الأردن،ص106ـ108.

4- م.س، ص 298.

أو العشيرة صاحبة القوة والنفوذ، طالبين المساعدة في الوصول إلى حقه وحمايته من الخصم.

ويطالب العربي بالدخالة بالقول: «أنا دخيلك، فاحمني، وارحمني»[1]، والرجل المخاطب بذلك القول؛ ملزم أن يحمي الدخيل (طالب الحماية)، ويدافع عنه و يوصله إلى مأمنه.

عادة ما يدخل الرجل الدخيل خيمة أو منزلًا، أو حرمًا معينًا، ويطلب أن يكون دخيلًا على صاحبه وطالبًا الحماية. وصاحب الخيمة أو المنزل أو غير ذلك؛ ليس ملزمًا أن يضمن له ملاذًا آمنًا فحسب، لا بد أن يرافقه إلى مكان سوف يكون فيه آمنًا. ويرسل رسولًا إلى خصم الدخيل يخبره ويقول له: «ترى فلان دخيل في بيتي احذر أن تصيبه بأذى»، فيجيبه الرجل: «أطلب خصمي إلى القضاء فيقول أعطه» «عطوه» ـ و(العطوة)[2] هي هدنة من الوقت، يمتنع فيها الخصم عن الشر إلى ما بعد المحاكمة، وفترة الدخالة فقط لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، وربما تمدد حسب عوائد القبائل ونظرتها للدخالة .

إن قانون الدخالة صارم في القضاء البدوي؛ لدرجة أن الرجل الدخيل يمكن أن يحمل عصا ـ على سبيل المثال ـ تشير إلى الشيخ الحامي الذي منحه الأمان، ويمكن أن يسافر بأمان في مناطق الخصم دون أن يعترضه أحد، وتختلف العادات بين القبائل بالنسبة للدخالة وإجراءاتها ومددها وهامش حرية الدخيل.

ويعد أسلوب الدخالة من أهم الأساليب بالقضاء العشائري؛ إذ تهدف الدخالة إلى إزالة حدة التوتر والخلافات بين شرائح المجتمع في البادية والريف، وإعادة توازن المجتمع، وإحقاق الحق، وإنصاف المظلوم، وتحقيق العدالة والمساواة، والعمل على حل الخلافات والمنازعات بين الأفراد والجماعات، والاحتكام إلى القضاء العشائري

1- العناني، مذكرات، ص18.

2- انظر، أبو حمدان، تراث البدو القضائي، ص299. حدادين،عباس، تراث قريتي ،ط1، 2009، ص153.

الذي لا زال يعمل به في بعض المناطق العربية، ومنع القصاص الخاص ورد النقا.

الطنيب والقصير

الطنيب كلمة مشتقة من الطنب وهو حبل بيت الشعر (الخيمة)، لأن الدخيل المستجير إذا انهزم أمام خصمه أو عدوه، ولقي في طريقة ـ بيت شعر ـ يمسك بأطناب البيت، أو يدخل حرم المنزل، فيصبح دخيلاً، ويجبر صاحب البيت بأن يدافع عنه، وربما يكون الطنيب في العرف القبلي هو الجار وحق الجيرة. ومن أمثال العرب: من تعلق بأطناب بيتي فهو آمن من ذمتي.

وله أولوية الحماية والمساعدة، وللجيرة احترامها، وأحكامها، وما يتعلق بالجار ذو القربى، والجار الجنب، الذي ينتمي إلى عشيرة أخرى، كما يميزون الجار الذي لجأ طلبًا للحماية، والجار الذي لجأ للاستئناس من وحشة الصحراء، وتبعًا لهذا التمييز أطلق على كل من هؤلاء اصطلاح معين، فالطنيب[1]: هو الرجل الذي يلجأ إلى عشيرة غير عشيرته حيث يطلب الحماية والمساعدة من خطر يتهدده؛ ويهدف إلى الحصول على الحماية له ولعائلته وأمواله. (القصير)[2]: هو الرجل الذي يرتحل مع عائلته إلى عشيرة غير عشيرته طلبًا للاستئناس من وحشة الصحراء، فهو لا يتوقع اعتداءً معينًا، ولكنه لا يطيق الحياة بمفرده في الصحراء.

البشعة[3]

البَشْعة: من العادات والتقاليد الموروثة، وكان لها قوة القانون؛ استخدمتها القبائل العربية للحكم على براءة أو إدانة المتهم، بعد استنفاذ جميع الأدلة والإثباتات على الجرم، وذلك بقيام المتهم بتلحيس النار بلسانه، حيث تتم عملية (البشعة) بأن يجلس

1- أبو حسان، تراث البدو، ص 278. الأرشمندريت، م.س، ص 116.

2- م.س، تراث البدو، ص 278. الأرشمندريت، م.س، ص 116.

3- أبو حسان، م.س، ص 230. زكريا، أحمد وصفي (1983)، عشائر الشام، ط5، دمشق: دار الفك، ص 271.

المتهم بجانب (المُبشِّع) وهو الشخص الذي يقوم بالعملية، وهو من وجهاء قبيلته، ويحظى باحترام وثقة الجميع، ويجلس معه الخصوم والشهود لمشاهدة ما يجري..

وتتم العملية بتسخين قطعة الحديد على النار، ـ وعادة ما تكون قطعة الحديد (يد محماس «الميسم» القهوة العربية ـ تحميص ـ تحميص القهوة، من أدوات تحميص القهوة)، حيث يقوم «المبشع» بتسخينها، حتى يصبح لونها أحمر كالجمر، ثم يخرجها ويقلبها، ثم يرجعها إلى النار مرة أخرى، وكل هذا يتم أمام ناظري المتهم والحضور، وعلى مرأى من الخصم ومن معه، وخلال هذه الفترة يقوم المُبشع بدور المحقق؛ فيتحدث إلى المتهم طالبًا منه إظهار الحقيقة، ومُظهرًا له مدى خطورة حرق النار للسانه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقوم بمراقبة ملامح وجه المتهم عن قرب والانعكاسات البادية عليه، وعندما تصبح يد المحماس (قطعة الحديد) قد جهزت، يطلب المبشع من المتهم مد لسانه ليضعها عليه بسرعة ومهارة لا يتقنها إلا قلّة ممن عرفوا هذا الفن وتمرسوا عليه، ثم ينتظر الجميع بضع دقائق، ثم يطلب المبشع من المتهم مد لسانه مرة أخرى أمام الحاضرين، فإذا ظهرت البثور على لسانه فإن ذلك يعني تجريمه، أما إذا بقي لسانه سليماً فذلك يعني إعلان براءته من التهمة المنسوبة إليه، ويصرخ المتهم قائلاً: (بيّض الله وجه المُبشّع وبيض الله وجه الكفيل)؛ والكفيل هو الشخص القاضي الذي يتحاكم عنده، وقد تم إلغائها في كثير من البلدان العربية.

طريقة التنقيط[1]

طريقة التنقيط من وسائل إثبات الجريمة في حالة غياب الإثبات والأدلة والقرائن، وعادة ما توكل هذه المهمة إلى فرد من عائلات معروفة ومشهود لها بالصلاح والتدين، والنقاء، والأمانة والصدق من كلا الجنسين، وهي طريقة متوارثة في العائلة، ففي حالة الجرم والاتهام، يفض الخلاف بين الطرفين بأن يتفق الطرفان بالاستعداد والذهاب إلى

1- انظر: أبو حسان،م.س، ص 254ـ256.

المنقط، ويعين الخصم والمتهم كل منهما كفيلًا والالتزام بالنتيجة سواء أكانت بالإدانة أو بالبراءة، يحددان موعدًا للالتقاء في (بيت المنقط)، وفي يوم الموعد المحدد يصطحب الطرفان (السامعة) وهم الشهود الذين يرافقون الطرفين لحضور،إعلان نتيجة المنقط بهدف تثبيت قرار المنقط وإذاعته بين العشائر، ويلاحظ أن الاتفاق كان مباشرًا بين الطرفين على إنهاء الخلاف بينهما.

وفي حالة أخرى تتم الإحالة من قبل قاضي عشائري في حالة صعوبة الفصل بالقضية، وفي حالة رفض الإحالة من قبل أحد الطرفين يعتبر فاقدًا لحقوقه ويسمى (مفلوج)؛ لذلك يجب إطاعة حكم القاضي وتنفيذه..

وبعد أن يعين كل من الطرفين كفيلًا ضامنًا للحق كما هو العرف، وجرت العادة أن يدفع المتهم مبلغًا من المال مقداره خمسة دنانير رسماً إلى المنقط في القضايا الهامة كقضايا القتل أو العرض ويسمى هذا المبلغ (النقط) وهي لقاء أتعاب القاضي.

يقوم المنقط بالإجراءات والطقوس والممارسات الخاصة من تحضير النار، وإحراق البخور، وبعد فترة قصيرة يقوم المنقط بإعلان النتيجة سواء أكانت بالبراءة أو بالإدانة، ويصح لأي من الطرفين وفي حالات استثنائية أن يطلب من المنقط تعزيز أقواله باليمين بأنه صادق فيما توصل إليه من نتائج، وقد جرت العادة أن يستجيب المنقط لهذا المطلب.

التوكيل في قضايا النقط: يصح لأي من الطرفين أن يوكل عنه إنسانًا آخر شريطة أن يكون من أقاربه حتى الدرجة الخامسة للذهاب إلى المنقط وحضور إجراءات التنقيط وإعلان النتيجة.

طريقة التوسيد[1]

(طريقة التوسيد) من وسائل إثبات الجريمة في حالة غياب الإثبات والأدلة

1- انظر: أبو حسان،م.س، ص 257.

والقرائن، فعندما يصعب على المتضرر الأدلة والإثباتات يلجأ إلى طريقة التوسيد، وعادة ما توكل هذه المهمة إلى فرد من عائلات معروفة ومشهود لهم بالصلاح والتدين، والنقاء، والأمانة والصدق من كلا الجنسين، وهي طريقة متوارثة في العائلة و يدعى من يقوم بهذه الطريقة (المتوسد). وتتلخص طريقة التوسيد بما يلي:

يقوم الخصم بالاتفاق مع المتهم أو بدون اتفاق معه على أخذ شيء من ملابس المتهم أو عدة شعرات من جسمه ويسلمها إلى (المتوسد) ويقوم المتوسد بوضع هذه المواد تحت الوسادة التي ينام عليها، وبعد أن تمضي ليلته يقوم في الصباح ويعلن النتيجة. ويلاحظ بأن ذهاب المتهم إلى (المتوسد) ليس شرطًا أساسيًّا فقد يحصل الخصم على شعر أو قطعة ملابس من المتهم بطريقة ما، وبعد أن يعرف النتيجة يبدأ بمطالبة المتهم بالحقوق المترتبة على ارتكابه الجريمة المذكورة.

بيت الشعر

أن طبيعة الحياة في الريف والبادية فرضت على الفلاح (القروي) أو (البدوي) هذا النمط من السكن لحالة الحل والترحال، وسهولة الإنتقال طلبًا للماء والكلأ، وكان محل فخر واعتزاز، حجم بيت الشعر وعدد أعمدته، وكذلك مقدار ما يملك صاحبه من أعداد الماشية والدواب والخيل والإبل.

تصنع بيوت الشعر عادة من شعر الماعز، أو شعر ماعز يتخلله صوف الضأن، ويتكون من مجموعة الشْقَاق (تلفظ بتسكين الشين وفتح القاف ـ يأتي شرحها): عادة ما تغزل من قبل النساء، ثم تُربط مع بعضها بعضًا لتؤلف بيت الشعر، ويفضل شعر الماعز لأنه يقاوم البلل، وعند سقوط المطر يشكل سدادة تمنع تسرب الماء إلى داخل البيت، ويزداد تراصها حين هطول الأمطار، حيث تصبح غير قابلة للنفاذ.

ويتكون بيت الشعر من ثمانية غالبًا أو أقل أو أكثر من (الشْقَاق) موصولة بعضها ببعض بواسطة خيوط من الصوف لتشكل السقف والجوانب، والطرائق التي تُخاط

بعكس اتجاه الشقاق حيث تشكل دعائم إضافية للبيت والتي تثبت في المواقع التي توضع فيها الأعمدة؛ وذلك لحماية الشقاق من التآكل والاهتراء بفعل احتكاك العمود مع الشقاق.

وصاحب بيت الشعر يعتز ببيت الشعر ويتغنى به في شعره، ويكون مصدر إلهام وفخر على غيره من المساكن.

وقيل: لا تذم بيوتًا خف محملها.....وتمدحن بيوت الطين والحجـر

وهو مقدس، وله كرامة، وحقوق مثل حماية (الدخيل) أو (الطنيب)، وحرمة المْحَرم على الرجال الأجانب من غير أهل البيت أو محارمهم، وحرمة البيت عادة عند العرب تكون بحدود (50م) تقريبًا داخل دائرته.

بالإضافة إلى صنع بيت الشعر يقوم الفلاح والبدوي بصنع بعض أدوات بيوتهم كالمفارش، والبسط، والعدول، والفراش، والمخدات، وقد يصنعون الملابس منها.

أقسام بيت الشَعَر:

1- الرواق: وهو الغطاء الخلفي لسقف البيت ويكون مصنوعًا من شعر الماعز أو الصوف ويتكون من عدد من الشقاق ويرتبط الرواق مع سقف البيت بواسطة وصلات تسمى الخلال (وهي تشبه المسمار وتعمل على تثبيت الرواق بالسقف، وتصنع عادة من الخشب، أو الحديد).

2- الرُفَه (تلفظ بضم الراء وفتح الفاء): وهو الغطاء الجانبي من اليسار واليمين لبيت الشعر أي نهاية بيت الشعر من جهة اليمين واليسار وسميت بذلك لأنها تَرُف وتتحرك بفعل الرياح والهواء.

3- الشِقْ (تلفظ بكسر الشين وتسكين القاف): وهو القسم الرئيسي لبيت الشعر وهو (مكان جلوس الضيف) وفيه يجلس الرجال ويتسامرون ويكون عادة على يمين البيت عند معظم عشائر الأردن.

4- المْحَرَم (تلفظ بتسكين الميم وفتح الحاء والراء): وهو المكان المخصص لجلوس النساء وسمي بذلك لأنه يحرم على الرجال الأجانب دخوله، والفاصل بين الشق والمحرم غطاء يسميه بعض البدو الساحة أو الزرب وتكون جهة المحرم من اليسار بالنسبة للبيت وبذلك يكون بيت الشعر مغلق من ثلاثة جهات أما الجهة الرابعة فتبقى مفتوحة وعادة تكون باتجاه الشرق عند معظم عشائر الأردن.

5- الأعمدة: وهي التي يتم بها رفع البيت، والتي غالبًا ما يسمى بيت الشعر تبعًا لعدد الأعمدة المستخدمة بالخيمة (كلما زاد عدد الأعمدة كان البيت أكبر).

وهناك أسماء تطلق على بيوت الشعر عند العرب مثل: الصهوة وهي خيمة من عمودين وثلاثة أقسام، مثولث وهي الخيمة المكونة من ثلاثة أعمدة وأربعة أقسام، المروبع (أربعة أعمدة وخمسة أقسام)، المخومس (خمسة أعمدة وستة أقسام)، القطبة: وهي خيمة صغيرة مكونة من عمود واحد وقسمين ولكنها أكبر من الخربوش، والخربوش وهي خيمة صغيرة مكونة من قسمين عادة ما تكون للعائلات الفقيرة أو الأرامل أو مسكنًا سابقًا للرعاة.

ويزين بيت الشعر بأنواع الأثاث ويفرش بأجمل الفرش ويعلق على أعمدته السلاح اللامع كالسيف والبنادق. وبدأ الناس يهجرون بيوت الشعر، ويسكنون بيوت الحجر، وقليل من يسكن بيوت الشعر في الأردن هذه الأيام، وإذا شوهد في المدن أو القرى فيكون بجانب المساكن الكبيرة (الفلل) للطبقات الغنية وغالبًا ما يكون صاحبها من أصول بدوية؛ فقد اعتبرتها كنوع من الوجاهة تبنى بجانب البيوت الدائمة.[1]

1- انظر: موقع التراث العربي في شبكة أورط: cc3.ort.org.il /morashot
وموقع وزارة الثقافة الأردنية، التراث غير المادي.

الخاتمة

التغير والتبدل والتكامل والتطور تتشكل في عملية الحركة الدائبة والدائمة، وهي أحد أهم ملامح الإنسان، والكون، والحياة، فكل شيء يتحرك أو يتحول لشيء جديد، بعد أن تتفاعل عناصره لتنتج شيئًا جديد.

فالتغيير ظاهرة طبيعية تخضع جميع مظاهر الكون لها انبثاقًا من البعد الحركي والزماني، ولا تتوقف على البعد المادي في الكون فالتغيير يشمل البعد المعنوي في حركة الحياة ثقافيًّا واجتماعيًّا وتاريخيًّا، فإذا كان هذا الإنسان في عمق الحركة الكونية فإنه لا شك يتفاعل مع حركة المتغيرات ليخلق لنفسه سلوكًا جديدًا يتناسب مع واقعه الجديد.

والتغيير سنة ثابتة من السنن الإلهية تفرض نفسها على حيـــاة الإنسان؛ بحيث لا يتجاوز السنة الإلهية، أو يقاومها ويختار الركود والبقاء، وقد قال الله تعالى في كتابه الحكيم: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).سورة الرعد،الآية(11) ، فالأمم لا تستطيع أن تغير واقعها إلَّا بعد أن تغير من ذاتها؛ فعلى الإنسان فهم التغيير في الحياة وامتلاك القدرة على التنبؤ بالمستقبل، والتحكم في إدارة الحياة، ومعرفة الحركة الإنسانية ودوافعها.

والإنسان قادر على التكيف مع المتغيرات، فهو يختار ويقرر بنفسه، لذلك تختلف استجابة كل إنسان عن الإنسان الآخر تجاه الظروف، ومن ثم فإن الإرادة الإنسانية تلعب الدور الأساسي في صنع المتغيرات والتعايش معها، والاستجابة للتأثيرات والتجديد والابتكار والتطور. وهو عامل من عوامل نشوء الثقافات الإنسانية، وكذلك فإن السمة الإنسانية المنبعثة من عقله هي البحث عن الكمال والتغيير نحو الأفضل، والباعث على السعي المستمر والحركة الدائمة؛ فالحركة تعني التغيير، وفي

الإنسان التغيير يعني الارتقاء نحو الأعلى والأفضل. والذي يغذي هذا الميل الإنساني نحو الارتقاء؛ طبيعة التعلم البشري التي تجعل الإنسان كائنًا لا يتوقف عن اكتساب المعرفة والعلم؛ فإنه يبحث عن الأفضل دائمًا، فطبيعة المعرفة البشرية هذه هي عملية تغيير تنشد الكمال، بالإضافة إلى ما قد تصنعه هذه المعارف المكتسبة من تأثيرات وتفاعلات ومتغيرات؛ تحفز على التفاعل والتلاقح بين القديم والجديد من جهة وبين الثقافات الإنسانية من جهة أخرى.

وكل هذا يعني أن روح التغيير موجودة في أعماق الإنسان وأنها سنة تاريخية واجتماعية لا يمكن إلغاؤها فالتغيير يعني الحياة والتطور، كماء النهر الجاري والجمود والركود يعني الموت والتخلف.

والتاريخ البشري فيه من نماذج الشعوب والأمم التي ركدت وجمدت لكنها لم تسقط ولم تندثر؛ بل ارتفعت وارتقت،وتحدت كل المعوقات وعوامل التخلف وتغلبت عليها.

وخير مثال في التحدي والاستجابة الشعب الأردني؛ فقد كانت شرقي الأردن منطقة ممزقة، غير معترف لها بكيان، وليست ذات شخصية دولية بين الأمم. وكانت تعاني من تراجع في أعداد السكان، وتفشي الأمية والجهل في صفوف مواطنيها، وتعيش حالة من الفوضى؛ لما كان في العشائر من الثارات والغزوات، وغياب السلطة الحاكمة، وانعدام الأمن والأمان، ونقص في الخدمات العامة من التعليم، والصحة، والإدارة والبرق والهاتف، ووسائل الزراعة الحديثة، وتعاقب سنوات الجدب والجفاف والقحط، والكوارث الطبيعية والبيئية.

ولكن الشعوب والأمم تستجيب للتغيير، ولا تحكم على نفسها بالموت والاندثار، تبدأ عندما تفهم بأنها يجب أن تغير من واقعها استجابة للمستجدات والتطورات ومواكبة الحركة البشرية، ولا تختار الانحطاط بديلاً عن التقدم والرقي وهكذا كان الشعب الأردني.

فقد استطاع الإنسان الأردني أن يستوعب المتغيرات، ويمتلك المرونة للتكيف مع المتغيرات؛ فقد واجه التحديات وانتصر عليها وغير الواقع المأساوي المعاش آنذاك. واستطاع الأردن بشعبه وقيادته الهاشمية أن يحقق المعجزات، ويصبح قصة نجاح قل نظيرها، وتغير الحال بعد أن كانت أرض الأردن تتوزعها أربع حكومات محلية لا تمتلك المال، والسيادة، والاعتراف في ظل حكم أجنبي سلطوي، منفصلة عن بعضها البعض، ممزقة الشمل والائتلاف.

فعملت القيادة الهاشمية والشعب على لم شعث البلاد، وتحقيق الوحدة، وهي ما تنعم به اليوم، وأنشئت المدارس والجامعات والمستشفيات، واستتب الأمن، وزاد الوعي، وتبوأ أبناء الأردن الأكفاء أرقى المناصب في الدولة، وأرسلت البعثات العلمية إلى مختلف بلدان العالم؛ وفي ذلك دلالة على الشوط الذي قطعه الشعب والقيادة الهاشمية.

فخرجت البلاد من آفة التمزق إلى الوحدة، ومن الخمول إلى الكيان السياسي، ومن التقهقر إلى العمران، وتمكن أبناء الأردن من التحكم في مقدرات بلدهم وإدارتها.

والمطلوب منا جميعًا بعد مرور مئة سنة من عمر الدولة الأردنية التكاتف بين القيادة والشعب كما كنا دائمًا لتحقيق المزيد من التقدم والنجاحات في ظل الانفجار المعرفي والمتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية؛ لكي تستمر مسيرة العطاء والخير، ونحقق مزيدًا من النجاحات والتقدم والتغلب على كافة التحديات والمعوقات في سبيل أردن الخير.

مسرد الأعلام

مسرد الأماكن

(أ)

(ب)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

المصادر والمراجع

1. ابن العربي، الشيخ حمزة التقرتي ثم المدني، جولة بين الآثار، ج1، ج2، تحقيق وتقديم ودراسة الدكتور تركي أحمد المغيض، دار الكندي للنشر والتوزيع ، إربد، 2000م.
2. ابن كثير، البداية والنهاية (زوجات وأبناء معاوية بن أبي سفيان).
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 2003م.
4. أبو الشعر، هند، تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني (1516 ـ1918م)، اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن عمان الأردن، 2001.
5. أبو حسان، محمد حمدان، تراث البدو القضائي، ط5، 2017م.
6. أبو زيد، رشدي شحادة، العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته، ط1، دار الوفاء، مصر، 2008م.
7. أبو عليه، حسن عبدالفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية، الرياض، دار المريخ، 1991م.
8. أحمد، معين أحمد، بيت المقدس: مدينة كل الأديان، بيروت، دار الصادق، 1970م.
9. ألماظ، ماري شهرستان، «المؤتمر السوري العام 1919 -1920»، ط1، بيروت، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.
10. أنطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
11. لبطاينة، فيصل، ملف الحياة السياسية والنيابية في الأردن منذ تأسيس الدولة، نسخة مؤرشفة.
12. البطوش، بسام، مواقف لا تنسى عرار يتحدى الضابط البريطاني فريدريك.ج.بيك (مقالات)، صحيفة الدستور، 2011/4/2.
13. بيركهارت، جون لويس، رحلات في سورية والأراضي المقدسة، ترجمة شاهر حسن عيد، دار الطليعة، دمشق،2007م.
14. بيركهارت، جون لويس، ملحوظات عن البدو والوهابيين، ترجمة وتعليق أحمد عويدي العبادي، دار جرير، عمان، ط1، 2018م.

15. بيك، فريدريك.ج، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها، ترجمة: بهاء الدين طوقان، عمان، الدار العربية للتوزيع والنشر، 1935م.
16.التل، مصطفى وهبي(عرار)، عشيات وادي اليابس، تحقيق زياد الزعبي، وزارة الثقافة،2007م.
17. الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، ط1، منشورات النادي الأدبي، الرياض، 1981م.
18. جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، بيروت، 1998م.
19. الجباوي، علي، عشائر النور في بلاد الشام، ط1، 2006م.
20. جريدة الدستور، (الأرمن كأحد وجوه عمان المشرقة)، محفوظة، 2016م، موقع واي باك مشين.
21. جريدة الدستور، أسماء في الذاكرة: «حسن أبو غنيمة أول أردني حمل شهادة في تخصص الطبيعيات»، الخميس 26 آب/ أغسطس 2010.
22. جريدة الرأي، (الأرمن والأردن)، نسخة محفوظة 2016، موقع واي باك مشين.
23. جوبسر، بيتر، السياسة والتغيير في الكرك ـ الأردن، ترجمة د.خالد الكركي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1988.
24. الجويلي، محمد، طقوس الاستمطار عادات تستدعى في مواسم الجفاف، صحيفة العرب، نشر 19/ 9/ 2016، العدد (10399).
25. الحسيني، محمد، تاريخ الثورة العربية الكبرى، م2، الدار العربية للموسوعات، 2013م.
26. الحصري، ساطع، حولية الثقافة العربية، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة السنة الأولى، ج1، (1948 -1949).
27. الحصري، ساطع، يوم ميسلون، دار الاتحاد، بيروت، 1945م.
28. حكمت، نجمية، 65 عامًا من حياة امراة أردنية،رحلتي مع الزمن، وزارة الثقافة، 2011م.
29. حماد، حسين فهد، موسوعة الآثار التاريخية، دار أسامة للنشر، عمان، 2003م.

30. خريسات، صالح، تقاليد الزواج في الأردن، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع، 1991م.
31.خريسات، محمد، والعبيدي، رابعة، الشوبك في الزمان والمكان، منشورات عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، 2016.
32.الخطبا، فوزي فلاح، محمد الشريقي حياته وآثاره، دار الربيع للنشر،1991م.
33. دائرة المعارف الحديثة.
34. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، طبعة جديدة، دار الهدى، 1991م.
35. الرشايدة، فواز عوده، الشوبك الأرض والإنسان، وزارة الثقافة.
36. رفيق، محمد أحمد، العنف ضد المرأة، دار الكتب العلمية، بيروت.
37. الرواشدة، محمد، الشوبك الأرض والإنسان، عمان (الأردن)، وزارة الثقافة، 2002.
38. الرواضية، عبدالمهدي عيد، الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب، أمانة عمان الكبرى، 2002.
39. الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، بيروت، ط8، د.ت .
40. الريحاني، أمين، ملوك العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،2021.
41. الريحاني، أمين، ملوك العرب، مذكرات الأمير زيد الحرب في الأردن (1917 -1918م)، ط2، مركز الكتب الأردنية، عمان، 1990م.
42. الزركلي، خير الدين، الأعلام، م7،ط19.، بيروت، دار العلم للملايين.
43. الزركلي، خير الدين، عامان في عمان(1921 -1923م)، تحقيق ومراجعة عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009م.
44. الزركلي، خير الدين، ما رأيت وما سمعت، القاهرة 1923.
45. سادلير، فورستر، رحلة عبر الجزيرة العربية 1819م، ترجمة أنس الرفاعي، الهيئة المصرية للكتاب، 2013م.
46. سعيد ، أمين، الثورة العربية الكبرى، م1، م2، مكتبة مدبولي، مصر.
47. سفر الخروج، (32).

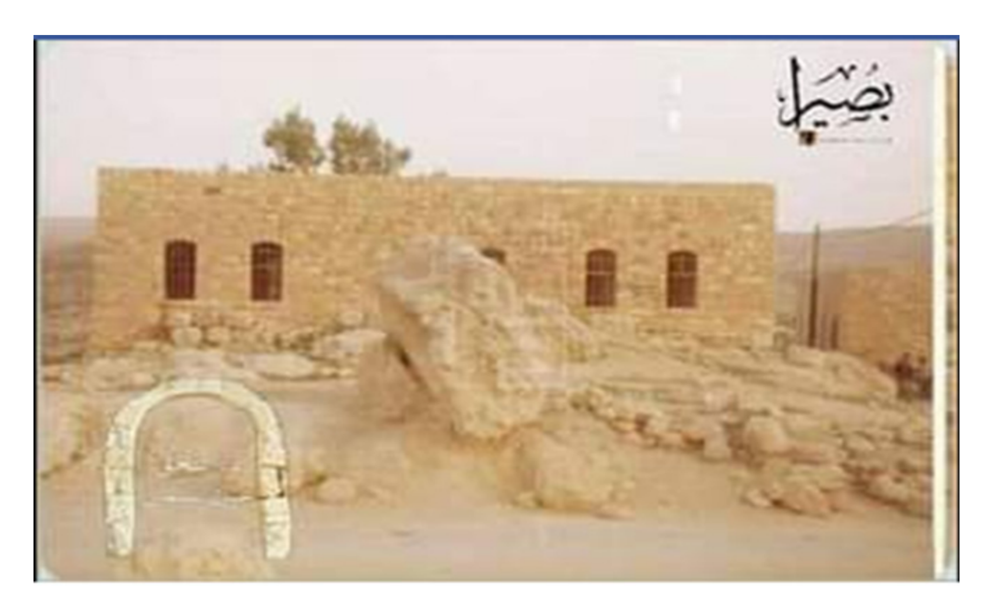
48. السلامين، زياد ، وفلاحات، هاني ، (بحث) «الممارسات الدينية والمعتقدات في وادي موسى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م3، رقم 2، 2009م.
49. السلامين، زياد مهدي، البتراء تاريخها وآثارها، منشورات وزارة الثقافة، 2018م.
50. السوارية، نوفان ، والطراونة، محمد، إضاءات جديدة على ثورة الكرك 1910م، دار رند للنشر والتوزيع، 2000م.
51. شاكر، محمود (1987م)، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني، ج8، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي.
52. الشناق، عبدالمجيد زيد، تاريخ الأردن وحضارته، ط4، مطبعة الجامعة الأردنية، 2002م
53. الصباغ، ليلى، معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني، ط1، ج2، 1999م.
54. صفحة الأردن في موقع التراث العالمي (اليونسكو).
55. طقوس، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين منذ قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، دار النفائس،ط3، 2013.
56. العبادي، أحمد عويدي، المناسبات عند العشائر الأردنية، ط2، دار البشير، عمان، 1989م.
57. العبادي، محمد يونس، الأمير شاكر بن زيد (1885 ـ 1934م)، سيرته ومسيرته من خلال الوثائق التاريخية.
58. عباس، إحسان، بحوث في تاريخ بلاد الشام، (تاريخ دولة الأنباط)، ط1، عمان.1987م.
59. عبدالحميد الثاني (1979م)، مذكراتي السياسية، (1891-1908م)، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
60. عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط6، 2016.
61. عبدالكريم، أحمد عزت وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربية، 1989م.

62. عبدالله الأول بن الحسين «جواب السائل عن الخيل الأصائل»، وزارة الثقافة، 2011م.
63. عبيدات، محمد سعد (المجاهد خلف محمد التل)، صحيفة الدستور، 25 حزيران 2011.
64. عبيدات، محمود سعد، مشاهير في التاريخ الأردني، جريدة شيحان، 3/22/ 2003.
65. عثامنة، خليل، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي 1187 - 1516م، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006م.
66. عربيات، سليمان، الزراعة في عهد إمارة شرق الأردن (1921 - 1946م)، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، 2013م .
67. العزيزي، روكس بن زايد، (الخيل في حياة الأرادنة).
68. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، ج3، بيروت، 1972م.
69. علي، محمد، لواء الشوبك، المكتبة الوطنية، ط1، 2011م.
70. العمد، هاني، أحسن الربط في تراجم رجال السلط، الأهلي.
71. العمري، عمر صالح، وبني ياسين، محمد أحمد، الحكومات الأردنية في عهد الملك عبد الله الأول بن الحسين (1921 -1951)، دار الخليج للنشر والتوزيع.
72. العناقرة، د. محمد، المجاهد خلف محمد التل، جريدة الدستور، الخميس 2 نيسان/ 2009.
73. العناني، عمر، سمر البادية، ضرب المكانس، من يوميات معلم في البادية، عمان، دار وائل، 2001.
74. العودات، يعقوب، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، عمان، 1976م.
75. الغزاوي، عصام ، صحيفة الأنباط، «زيت القدس والخليل».
76. غلوس، أحمد أحمد، دعوة الرسل عليهم السلام، ط1، مؤسسة الرسالة، 2002م.
77. فريحات، مرام، (بحث أنثروبولوجي في مخيم إقليم البترا) التعبيرات الثقافية والممارسات الدينية والشعبية، مجلة دراسات وأبحاث. جامعة الجلفة، الجزائر العدد (20)، 2015م.
78. فريد بك، محمد (1981م)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، بيروت دار النفائس.
79. قاسمية، خيرية، الحكومة الفيصلية (1918 - 1920م)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م.

80. قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.
81. القسوس، نايف جورج، مذكرات عودة سلمان القسوس الهلسا (1877-1973م) ملحق بها ثلاثة أجزاء من الوثائق والأوراق الأردنية.
82. القضاة، أحمد حامد إبراهيم، (بحث منشور)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار،م11، (الكوارث الطبيعية في إمارة شرق الأردن الجراد كحالة 1928-1930).
83. القوابعة، سليمان ، رواية «حوض الموت»، وزارة الثقافة، عمان، 2009م.
84. كامل، جميل، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان، 1992م
85. كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة، دار الحديثة، م1، ط7، بيروت.
86. كركبرايد، إليك، خشخشة الأشواك، ترجمة أحمد عويدي العبادي، عمان،1987.
87. اللصاصمة، احمود حرب، الهاشميون والوحدة العربية في التاريخ المعاصر، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان،2009م)، التطورات السياسية في بلاد الشام.
88. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دمشق، 1970، ص426
89. ليبي، وليام، وهوسكنز، فرانكلين، وادي الأردن والبترا، ترجمة وتعليق أحمد عويدي العبادي، ط(1)، الأهلية للنشر والتوزيع 2018م.
90. المجالي، راتب صالح، صالح رفيفان المجالي، سيرته وحياته، المطبعة العسكرية، 1997.
91. المحاسنة، هادي عبدالفتاح، (بحث منشور) أحوال التعليم في منطقة شرق الأردن في العهد العثماني.
92. محافظة، علي ، تاريخ الأردن المعاصر (عهد الإمارة 1921-1946م)، ط1، نشر بمساعدة من الجامعة الأردنية، عمان، 1973م.
93. محافظة، علي وآخرون، التربية الوطنية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2016.
94. محافظة، علي، «الحياة الاقتصادية في عهد الإمارة 1926-1946م»، مجلة التنمية الأردنية، العدد الأول، وزارة الثقافة والإعلام، 1973م.
95. محافظة، علي، العلاقات الأردنية ـ البريطانية 1921-1957م، بيروت،1973م.

96. محافظة، علي، قرارات المؤتمر السوري الأول، الفكر السياسي في الأردن وثائق ونصوص (1916-1946م).
97. المسيري، عبدالوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م2، دار الشروق 1999م.
98. الملاح، هاشم يحي، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
99. الملك عبدالله الأول بن الحسين، مذكرات أمة، ج2، ط1، المركز الوطني للوثائق والبحوث، عمان 2009م.
100. مؤسسة القدس للثقافة والتراث.
101. سليمان الموسى، إمارة شرقي الأردن، نشأتها وتطورها في ربع قرن (1921م-1946م)، وزارة الثقافة.
102. الموسى، سليمان، غربيون في بلاد العرب، عمان،الأردن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1969.
103. الموسى، سليمان، مذكرات الأمير زيد،الحرب بالأردن 1917-1918، ط1، عمان مركز الكتب الأردني، 1976.
104. الموسى، سليمان، من تاريخنا الحديث.
105. موقع التراث العالمي في الأردن/ دائرة الآثار العامة الأردنية.
106. موقع التراث العربي في شبكة أورط: cc3.ort.org.il/morashot
107. موقع الديوان الملكي.
108. موقع جبال البلقاء الإخباري، الشؤون الصحية وأطباء الرعيل الأول «في السلط ـ عهد الإمارة « .8/ 8/ 2021.
109. موقع وزارة الثقافة الأردنية، التراث غير المادي.
110. النصيرات، محمد، (بحث) (موسم النبي هارون في البترا تاريخ الموسم والمقام)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م2، العدد الأول، 2013م.

111. نعمان، الأرشمندت بولس، خمسة أعوام في عمان، وزارة الثقافة،2011م.
112. نوار، عبدالعزيز سليمان، ونعنعي، د.عبدالمجيد، أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، ط5، 2000م.
113. هايمان، نيل م.، الحرب العالمية الأولى، ترجمة حسن عويضة، أبو ظبي ،ط1، 2012م.
114. الهباهبة، طه، الشوبك التاريخ والوجدان الشعبي.
115. وكالة عمون الإخبارية بتاريخ 26 ـ 05 ـ2011 مؤرشف 2019 ، ذكرى وفاة وزير الداخلية الأسبق فلاح المدادحة.
116. ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1996م.



مدرسة بصيرة القديمة بجانب المسجد التي خرجت الرعيل التربوي الأول



منظر عام من قرية بصيرة في فصل الربيع



للاطلاع على قائمة منشورات وأخبار الوزارة
يُـرجى زيـارة العنـاويـن التـاليـة :



موقـع وزارة الثقـافة الإلكتـروني
www.culture.gov.jo



رابط صفحة وزارة الثقـافة على الفيس بـوك
www.facebook.com/culture.gov.jo